

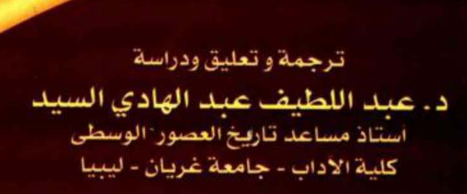
رسائل جاك دي فيتري

نقلاً عن لغتها اللاتينية

دراسة وثائقية فى تاريخ العلاقات بين الشرق و الغرب ١٢٠٠-١٢٤٠م

الطبعة الاو

٢٠٠٥



ترجمة و تعليق ودراسة

د. عبد اللطيف عبد الهادي السيد

استاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى

كلية الاداب - جامعة غريان - ليبيا

رسائل جاك دى فيترى

نقلاً عن لغتها اللاتينية

دراسة وثائقية فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب ١٢٠٠ ـ ١٢٤٠م

ترجمة وتعليق ودراسة

د. عبداللطيف عبدالهادى السيد

أستاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة غريان - ليبيا

إهداء

إلى أطفال وأبطال الحجارة

وشهداء فلسطين

أهدى .. لهم هذا العمل المتواضع

المترجم

د.عبداللطيف عبدالهادى السيد

شكر وتقدير وعرفان

إنه لمن دواعي سعادة الإنسان وغبطته أن يرى الحلم وقد تحقق؛ وها هو أول ميلاد لعمل طالما انتظرت تحقيقه، إنه ميلاد كتاب جديد؛ ليس فقط لأنه أول عمل أقوم بنشره، بل لأنه أول عمل لترجمة النص الأصلي "لرسائل جاك دى فيترى" المؤرخ الفرنسي وأسقف عكا (١٢٢٩م).

لقد قمت بترجمة ونقل هذه الرسائل من المجموعة اللاتينية للحروب الصليبية '*Bongers, Gesta per framcos*'؛ وإن كان بعض المؤرخين الغربيين مثل "روهرشت، وفونك" قد قاما بتقديم وعرض مقدمة لهذه الرسائل باللغة الفرنسية القديمة دون نقل الرسائل من لغتها الأصلية لأية لغة أخرى، وقاما بنشرها فقط كما هي بلغتها والتى قمنا بنقلها إلى اللغة العربية لأول مرة.

ولتكتمل أعمال جاك دى فيترى ، قد رأى المترجم أن يعرض إلى جانب هذه الرسائل لكتاب "تاريخ مملكة بيت المقدس " المأخوذ عن الترجمة الإنجليزية لإستيوارت ضمن مجموعة "*P.P.T.S*"، "لجاك دى فيترى" وجعله ملحقاً على الرسائل، هذا فضلاً عن العظات والخطب الأخرى والتى لم تنشر من قبل.

ولا يفوتنى هنا أن أقدم خالص تقديرى وعرفانى لأستاذى الجليل، الأستاذ الدكتور / قاسم عبده قاسم أستاذ تاريخ العصور الوسطى ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة الزقازيق الذى كان خير سند وخير معين لهذا الجهد الكبير. كما أقدم

شكرى وعظيم الإمتنان لأستاذى الفاضل الأستاذ الدكتور / اسحق تاوضروس عبيد أستاذ ورئيس قسم التاريخ السابق بكلية الآداب جامعة عين شمس لتشجيعه إياى على ضرورة إتمام هذا العمل، وأما الأخ والزميل والصديق الدكتور/محمد مؤنس أحمد عوض أستاذ التاريخ الإسلامى بآداب عين شمس فكلمة شكر غير كافية فى حقه لأن إخلاصه وتشجيعه لى كان منذ بدأت أول خطوة فى مرحلة الدراسات العليا. فنعم الأستاذ الجليل، له منى عظيم الشكر والتقدير. ولا يفوتنى أن أشكر كل من الأستاذ الدكتور / عبد الغنى محمود عبد العاطى، عميد آداب المنصورة، والأستاذ الدكتور / وسام عبد العزيز فرج، رئيس قسم التاريخ بآداب المنصورة، إذ تتلمذت على أيديهما فى السنة التمهيدية للماجستير، وكانا دائماً عوناً لى بين الحين والآخر.

وأخيراً أدعو الله أن يلقى هذا الجهد قبولاً عند المتخصصين وغير المتخصصين، أولئك الذين يهتمون بدراسة التاريخ ويقدرون أهميته فى حياة الإنسانية.

المترجم

د/ عبد اللطيف عبد الهادى

المحتويات

مقدمة المترجم

تعتبر دراسة التاريخ بصفة عامة ودراسة تاريخ العصور الوسطى بصفة خاصة دراسة شيقة وممتعة، ويرجع ذلك إلى ما تتمتع به هذه المرحلة من أحداث ووقائع تاريخية لم يكن لها مثيل فى العصور الأخرى من حيث التأثير والتأثر فى حياة الشعوب، سواء فى الشرق أو الغرب على السواء.

كما أن فترة العصور الوسطى فترة ومرحلة دسمة فى مادتها التاريخية الأصلية، حيث تسابقت وتنافست أقلام المؤرخين فى الشرق والغرب فى مجال التدوين التاريخى، بل وكثرت بسبب تلاحق الأحداث وأهميتها فى حياة البشرية.

وتعتبر رسائل جاك دى فيترى، والتى تمثل مرحلة هامة من مراحل الصراع الصليبى الإسلامى فى غاية الأهمية، ولايمكن الاستغناء عنها بأى حال من الأحوال، خلال النصف الأول من القرن ١٣م باعتبار صاحبها مؤرخ ومعاصر للأحداث والوقائع التاريخية المتلاحقة فى الشرق والغرب على السواء.

كما ترجع قيمة هذه الرسائل فى أن صاحبها جاك دى فيترى ـ كان يمثل الجانب الرسمى للبابوية فى الحملة الصليبية على مصر عام ١٢١٧ ـ ١٢٢١م.

هذا إلى جانب ما تبرزه هذه الرسائل من تعصب لدى الدعاة للحروب الصليبية فى الغرب الأوربى ضد الإسلام والمسلمين.

وترجع قيمة الرسائل فى أن المترجم قام بنقلها لأول مرة من لغتها الأصلية اللاتينية إلى اللغة العربية، مع ملاحظة أن النص اللاتينى يقابله النص العربى، حرصاً منا على توفير الوقت والجهد للباحثين والمتخصصين فى مجال التدوين

التاريخى فى العصور الوسطى، وعلى وجه التحديد فى مجال الصراع الصليبى الإسلامى، وهذه ميزة لم تكن متوفرة فى كثير من الأبحاث والدراسات التاريخية.

وحرصاً منا على أن تكون أعمال جاك دى فيترى كاملة هنا، قمنا بنقل كتاب "تاريخ مملكة بيت المقدس" من الإنجليزية إلى العربية وهو من تأليف جاك دى فيترى أيضاً ـ ضمن مجموعة "*P.P.T.S*"، مجلد/١١، وجعلناه ملحقاً على الخطابات ضمن ملاحق الكتاب.

هذا وجعلنا فى نهاية الكتاب، قائمة بالمصادر الأصلية التى أفادت الباحث عند التعرف على شخصية ومؤلفات جاك دى فيترى.

المترجم

✍ جاك دى فيترى فى مجال التدوين التاريخى ✍

ولد جاك دى فيترى فى بلدة فيترى عام ١١٨٧م، التى تقع على نهر السين فى فرنسا، وتلقى تعليماً دينياً فى باريس، وسرعان ما أصبح أحد رجال الدين المرموقين، وكان تأثيره على الحركة الصليبية فى بداية القرن ١٣م لا يقل عن تأثير بطرس الناسك أواخر ق ١١م.

ففى عام ١٢١٣م قام جاك دى فيترى بالوعظ ضد الألبيجنسيين فى جنوب فرنسا وكان دور جاك دى فيترى هنا كبيراً عندما شارك بنفسه فى حملة سيمون دى منتفرات للقضاء على الألبيجنسيين.

وفى عام ١٢١٥م شارك جاك دى فيترى فى مجمع اللاتيران الرابع الذى دعا إليه البابا إنوسنت الثالث "*Innocent III*" بهدف إعداد حملة جديدة ضد مصر، وكان جاك دى فيترى هنا ممثلاً لكنيسة القديس نيقولا فى مدينة "ونى"فى فرنسا، فى عام ١٢١٧م صاحب جاك دى فيترى الحملة الهنغارية على الشام بهدف هدم قلعة الطور التى بناها العزيز والعادل.

وفى عام ١٢١٨-١٢٢١م اشترك جاك دى فيترى فى الحملة الصليبية الخامسة على مصر، وكان من بين قادة هذه الحملة، الذين كان لهم دور بارز فى وضع الخطط الدفاعية والهجومية للجيش الصليبى، وكان يرسل التقارير تباعاً إلى البابا هونوريوس الثالث حول أحوال الصليبيين فى دمياط. وترجع أهمية كتابات جاك دى فيترى هنا فى أنه كان شاهد عيان للوقائع والأحداث التى وقعت بين الصليبيين والمسلمين.

وبعد إخفاق الحملة، عاد جاك دى فيترى إلى الشام وظل بها حتى عام ١٢٢٥م، ثم رحل إلى أوربا وظل في إيطاليا حيث تسلم منصب الكردينالية عام ١٢٢٨م، وهو العام الذى تنازل فيه أيضاً عن منصب أسقفية عكا، ذات الأعباء الثقيلة.

وفى ١٢٢٩م تولى منصب أسقفية بيت المقدس، وظل جاك دى فيترى فى الغرب حتى مات عام ١٢٤٠م قبل أن يتسلم هذا المنصب الدينى الرفيع.

وأما عن أهم أعمال جاك دى فيترى التى خلفها لنا فى أسلوب متميز تتمثل فيما دونه عن حياة ست ـ مارى دو"ونى" كتابين لهما قيمة عظيمة فى التاريخ وهما: "*The History of Jerusalem*" "تاريخ مملكة بيت المقدس" وكتاب عن الحرب الصليبية "*Les histoire des croisides*" هذا فضلاً عن عدد كبير من العظات والخطابات التى تمثل الجانب الأكثر أهمية فى ميراثه الأدبى.

والشئ المثير للدهشة أن التنويه عن أعمال جاك دى فيترى فى العصور الوسطى لم يكن يتناسب مع هذا العمل الكبير، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى أن كثير من هذه الأعمال لم يكن لها تأثير إلا على الفترة التى دونت فيها وأرخت لها فى النصف الأول من ق ١٣م.

كذلك أن أعمال جاك دى فيترى فى معظمها لازالت بلغتها الأصلية ولم تُنشر بعد، ومن ثم فقد ظلت خارج دائرة الضوء، خاصةً خطاباته التى لازالت بلغتها اللاتينية، والتى قمنا بترجمتها لأول مرة إلى اللغة العربية.

وهذا من أهم هذه الدوافع التى وجدها الباحث ضرورية لاتخاذ كتابات جاك دى فيترى موضوعاً للدراسة فى تاريخ الحركة الصليبية والتى كانت الوسيلة التى استغلها جاك دى فيترى كمادة أوفر للوعاظ من بعده.

والكتابان سالفى الذكر ضمن مؤلَّف جاك دى فيترى "التاريخ الشرقى" "*Historia Oriantals*"، الذى ينقل لنا صورة تثير الدهشة والحيرة معاً عن العمليات الحربية للحملة الصليبية، وكذلك وصفاً تفصيلياً عن الأرض المقدسة.

وينقسم "التاريخ الشرقى" إلى ثلاث مؤلفات أحدهم قام بنشره "*Bongars*" بلغته اللاتينية ضمن مجموعة أعمال الملوك الفرنجة "*Gesta Dei per francos*" والثانى هو "التاريخ الغربى" وهو عبارة عن تاريخ الكنيسة الغربية فى الفترة التى عاشها المؤرخ وإن كان جاك دى فيترى قد بدأ فى هذا الكتاب يعرض لتاريخ الكنيسة منذ نشأتها وحتى وقت كتابته لتاريخها، حيث يعرض النظم الكنسية وما يجب إصلاحه فيها.

وأما خطابات جاك دى فيترى فهى تمثل أهم أعماله الأدبية إبان الفترة موضوع الدراسة.

✍ مؤهلات جاك دى فيترى فى مجال التدوين التاريخى "كمؤرخ" ✍

توفرت لدى جاك دى فيترى بعض المؤهلات اللازمة للكتابة فى مجال التدوين التاريخى، أهمها :

- 🕮 ما تلقاه من تعليم فى مدارس باريس خاصة اللاهوت والقانون الكنسى.
- 🕮 تجربته كمبعوث وممثل للبابا فى كل من أوروبا والشرق اللاتينى والحملات الصليبية.
- 🕮 رحلته إلى الشرق وتوليه منصب أسقفية عكا وقضاء سنوات شبابه ورجولته هناك نحو ثمان سنوات فى مصر والشام.
- 🕮 مشاركته فى الحملات الصليبية سواء فى أوروبا أو الشام ومصر وبالتالى مشاركته فى الأحداث التاريخية، فجاءت كتاباته من منابعها الأصلية.
- 🕮 توليه العديد من المناصب الكنسية منذ كان راهباً فى كنيسة ست ـ نيقولا بمدينة "ونى" *"Oigne"* عام ١٢١٠م وحتى توليه لسمى المناصب الكنسية عام ١٢٣٠م وهو أسقف بيت المقدس.
- 🕮 اعتماده على مصادر موثوق بها كانت معاصرة ومعايشة للأحداث التى تناولتها وهى الفترة التى سبقت موضوع البحث، وأهم هذه المصادر: فوشيه الشرتارى والمؤرخ المجهول وأعمال وليم الصورى.

✍ دوافع جاك دى فيترى للكتابة ✍

<u>كانت دوافع جاك دى فيترى للكتابة منها ما هو معلن ومنها ما هو خفى :</u>

- <u>*الدوافع المعلنة*</u>: كما يقول جاك دى فيترى فى مقدمة كتابه إن "قصص الفشل" التى حاقت بالملوك الشرقيين وبطولاتهم، هى التى دفعته لأن يكتب الرد الذى يُسكت به خصومهم.
- <u>*أما الدوافع التى لم يعلن عنها جاك دى فيترى*</u>: فهى نفس الدوافع الخفية والمستترة للحركة الصليبية، وإن كان قد عبر عنها من غير عمد وقصد عندما ارتحل إلى الشرق ، وأهم هذه الدوافع :

استغلال فكرة الحركة الصليبية ضد كل المنشقين والمعارضين لتعاليم العقيدة الكاثوليكية سواء أكان مسلماً أم مسيحياً فى الشرق والغرب.

تحقيق مبدأ السمو البابوى وعالمية الكنيسة الكاثوليكية "تعميد المسلمين فى الشرق".

توسيع الممتلكات الكنسية على حساب المسلمين فى الشرق "موارد مصر والشرق".

الوقوف على مصادر ومنابع تعاليم الكنيسة والنهل من منابعها الأصلية فى فلسطين وذلك لتقديم "مادة أوفر للوعاظ" وهو الهدف عند جاك دى فيترى من كتابة التاريخ.

✍ خطة جاك دى فيترى فى كتابة التاريخ ✍

<u>قسم جاك دى فيترى أعماله التاريخية إلى قسمين</u> :

<u>الأول</u> : يضم التاريخ الشرقى.

<u>الثانى</u>: يتعلق بالكنيسة الغربية.

ويهم الباحث هنا القسم الأول الذى يتعلق بتاريخ الشرق، وكانت خطته كما حددها فى المقدمة أن يضم الكتاب الأول تاريخ بيت المقدس ووصف للأرض المقدسة ، أما الكتاب الثانى فيتناول التاريخ الغربى مع اهتمام خاص بجماعات الرهبان الأكليروس العلمانى ، ثم يختتم الكتاب بفصل عن الحملات الصليبية يشرح قيمتها الدينية وجدواها ، وهناك كتاب مفقود لجاك دى فيترى لم يُعثر عليه حتى الآن وهو الذى يتناول الأحداث التى تلت مجمع اللاتيران ١٢١٥م والحملة الصليبية الخامسة، لأنه أشار عن ذلك فى مقدمة كتابه "التاريخ الشرقى" غير أنه يبدو أنه تراجع عن كتابته، واكتفى بالتقارير التى كان يبعث بها إلى البابا وهو فى دمياط وهى عبارة عن الخطابات التى بلغ عددها سبع خطابات، والتى أمكن جمعها ونشرها باللغة اللاتينية "*Huygens*" طبعة ليدن ١٨٩١م.

✍ منهج جاك دى فيترى فى الكتابة التاريخية ✍

كان منهج جاك دى فيترى فى كتابة التاريخ يعتمد على موهبته ومهارته الفنية فى الكتابة وأن عقليته كباحث تغلبت على الواعظ بداخله :

- فاعتمد على وليم الصورى كواحد من مصادره فى الحديث عن جغرافية وتاريخ الفترة التى يغطيها كتاب وليم.
- استقاء معلوماته التاريخية خلال الفترة موضوع البحث من خلال مشاهداته ومعايشته للحدث التاريخى نفسه "شاهد عيان".

اعتماده على بعض المترجمين الذين نقلوا له بعض المعلومات السليمة عن الإسلام والمسلمين.

- التحرر فى الكتابة جعله يعبث بالمضمون كيفما يحلو له.
- كان يخاطب العالم المسيحى اللاتينى عموماً.

✍ عيوب جاك دي فيترى كمؤرخ ✍

كانت عيوب جاك دى فيترى كمؤرخ واضحة تماما :

- فهو لم يكن صاحب نظرة تحليلية فقد كان يعنيه ما يحدث ويوجد فى لحظتها أكثر مما يهمه سبب أو كيفية حدوثه.
- تحرره فى الكتابة جعله يخل بالمضمون وعلى الرغم من هذا فإن عنايته بجمع المعلومات لتكون بمتناول الوعاظ أمر له قيمته، وكتابه (التاريخ الشرقى) يعطى للباحث المحدث فكرة طيبة عما إذا كان الرجل المتعلم - الذى كان يستقى معلوماته من مصدرها - يعرفها وعن ماهية فكرته عن الإسلام تم التعرف عليها من خلال الترجمة[1]

مدينة فيترى على نهر السين[1]

تقع مدينة فيترى على نهر السين، على الشاطئ الشرقى للنهر جنوب شرق باريس على مسافة ٦ كم من العاصمة، وتتمتع هذه المدينة بشهرة كبيرة فى مجال الصناعة، نظراً لما تقتنيه من صناعات ومصانع مختلفة، منها على سبيل المثال لا الحصر: أنها مركز هام لشبكة كهربائية تغذى حولى ٧٠٠٠٠٠ كم فى عدة ولايات، كما أنها مركز صناعى هام للصناعات المعدنية مثل مصنع سبائك الحديد والأوانى المعدنية ومصنع محركات الطائرات وآخر للكابلات الكهربائية وعوازل الحرارة. كذلك تتميز المدينة بالمنتجات الكيماوية والصابون وصناعة الورق والجلود وغيرها من الصناعات المختلفة.

وإلى جانب كونها مدينة صناعية كبيرة، فإن لها شهرة دينية أيضاً ففيها توجد كنيسة ست ـ مريم العذراء، وكنيسة سان جرمان التى شيدت أواخر ق ١٣م وأوائل ق ١٤م إلى جانب العديد من الكنائس الأخرى التى شيدت فى ق ١٨م.

---

[1] إلى جانب مدينة فتيرى التى تقع على نهر السين فى فرنسا توجد خمسة مدن أخرى تحمل نفس الاسم وهى :

- Vitry - aux - loges France
- Vitry - eu - Artois France
- Vitry - la - ville France
- Vitry - le - fraucois France
- Vitry - Sur - Sine .

انظر مادة فيترى

* The time Atlas of the world.
* La Rousse De xx, Slecle, tom 6. Paris
* lA Grand Encyclopedie, Tom. 31, Paris.

وإلى جانب شهرة مدينة فيترى "على نهر السين" الصناعية والدينية فإن لها شهرة فى مجال الزراعة، فهى غنية بمشاتل الأشجار والبساتين المختلفة والمتنوعة، حيث تقوم السفن بنقله إلى جهات أخرى تصلح تربتها لنمو الأشجار.

وقد عُرفت هذه المدينة باسم فيترى *Vitry* نسبة إلى إحدى الأسر العريقة التى كانت تحكمها قديماً، حيث كانت تحمل لقب *Vitry*. والمدينة واحدة من الحصون والقلاع القوية، لحماية العاصمة "باريس" من ناحية الجنوب الشرقى، وهى أشبه بسور عال يساوى طابقين تقريباً من الحجارة القوية. وهذه المدينة هى مسقط رأس جاك دى فيترى.

تقع مدينة فيترى على نهر السين، وهى مسقط رأس المؤرخ الفرنسى جاك دى فيترى، الذى مات فى روما عام ١٢٤٠م. وقد درس جاك دى فيترى فى جامعة باريس ثم صار قساً ثم كاهناً لمدينة "ونى" *'Oigne'*، التى تقع على نهر السامب، وظل كذلك حتى عام ١٢١٠م.

خطابات جاك دى فيترى

Letters d'Jack d'Vitry

By

Jack d' Vitry

مقدمة الرسائل

يبرز اسم "جاك دى فيترى" بصورة متميزة بين كثير من الأسماء اللامعة فى القرن الثالث عشر الميلادى، وقد ولد جاك دى فيترى فيما بين عامى ١١٦٠، ١١٧٠م ، وفيما يبدو فى مدينة "ونـى" *"Oigne"* وقام بإتمام دراسته فى باريس. وخلال الفترة من عام ١٢١١/١٢١٦م عمل كاهناً قانونياً لكنيسة سان نيقولا دى ونى، فى أسقفية "لييج" القديمة. وهناك تعرف على "ست " مارى دى ونى" وحياة بعض رجال الدين، وقد تلقى بعضهم رسائل جاك دى فيترى. وفى عام ١٢١٣م قام بالدعوة ضد الألبيجنسيين وكان لفصاحة لسانه وبلاغته دور كبير فى دفع حماس الجماهير، إبان الحملة الصليبية الخامسة .

وبعد أن تم اختياره أسقفاً لمدينة عكا فى ٣١ يوليو عام ١٢١٦م بالأرض المقدسة، شارك بدءاً من يونيو عام ١٢١٨م وحتى سبتمبر ١٢٢١م فى الحملة الصليبية الخامسة ضد مصر.

وبعد النجاح فى الاستيلاء على دمياط فى الخامس من نوفمبر ١٢١٩م تحولت تلك الحملة لنكبة لا مثيل لها، وعاد جاك دى فيترى، إلى أوربا فى نهاية عام ١٢٢٥م، وبعد ذلك فى يوليو ١٢٢٩م تم تعيينه أسقفاً وكاردينالاً "لتسكولم" وتوفى فى أول مايو عام ١٢٤٠م، وتم إحراق جثمانه بعد ذلك بعام فى مدينة "ونى".

تلك فى سطور بعضاً من حياة "جاك دى فيترى" لقد تم تصوير حياة "جاك دى فيترى" فى سطور رائعة فى تلك الدراسة التى أعدها "ف. فانك" هذه الدراسة التى على الرغم من ظهورها منذ حوالى خمسين عاماً، فإنه لم تتفوق عليها دراسة أخرى لوقت قريب.

وتعطى كتابات "جاك دى فيترى" الدلائل على الحركات الدينية فى فلّندر وشمال إيطاليا والحملة الصليبية، وكذلك الحياة اليومية فى منتصف القرون الوسطى فى باريس ومملكة بيت المقدس وعكا، وكانت تلك الدلائل تتسم بأهمية كبيرة فى تاريخ العصور الوسطى .

لقد خلفت لنا حياة "مارى دى ونى" بالإضافة إلى كتابين أهمية وقيمة كبيرة، وذلك لأن الكاتب كان يمتاز بموهبة وأسلوب ممتع، إن تلك المقدمة سيتم تخصيصها للتعريف بالرسائل والمعايير التى أفادت فى التفرقة بين ما هو صحيح وما هو خطأ، أما مهمة إرساء النص فإنها مهمة عالم فقه اللغة والتى يتحتم عليه الاقتصار على جوانب محددة طالما سيكون للكثير من الكتابات التى يفترض إعادة نشرها أو طبعها بطريقة أكثر إرضاءاً .أما بخصوص حدة الآراء والوقائع المنقولة فى النص، والمناقشات التى تدور حولها سوف يتم ترك ذلك للمؤرخين.

وكان "روهرشت" المؤرخ الشهير لمملكة بيت المقدس، أول من اهتم بجمع كافة الرسائل المبعثرة فى العديد من الأماكن، ولكن لسوء الحظ فإن تحمسه واهتمامه بالعثور على النصوص والمخطوطات بجهد كبير، كان يفوق نوعاً ما قدراته فى فقه اللغة، لذلك كانت إصدراته بها بعض العيوب الواضحة بجلاء.

فمقارناته بين النصوص كانت غير كافية، والملاحظات على المخطوطات كانت قاصرة على ذكر بعض الجوانب فقط. وانعدام التجانس بين النص والتعليقات، والسطور غير مرقمة ، أما الأكثر سوءاً، فهو عدم اهتمام العالم الألماني تحديد ارتباط المخطوطات ببعض، واكتفى بنقل النصوص كما وجدها. ولكن يجب الاعتراف أنه دون المؤلف الخاص لـ "روهرشت" فلا يوجد هناك إصدار آخر أكثر أهمية وأكثر إرضاءاً.

إن الشئ المذهل والمدهش عن مؤلفات "جاك دى فيترى" ما لوحظ فى كتب ومؤلفات العصور الوسطى، من عدم وجود أية علاقات بين تلك الكتب ومخطوطات ومؤلفات "جاك دى فيترى "، فلم يوجد لها أى أثر أو تأثير فى أى مؤلف من مؤلفات العصور الوسطى، وعموماً، فإذا افترضنا معرفة بعض المخطوطات أو مجموعة منها، فإن التأثير المباشر لرسائل "جاك دى فيترى" كان قليل القيمة والأهمية، ذلك لأن تلك الرسائل كانت مخصصة لدائرة محددة، وكانت بعيدة عن دائرة الضوء والتداول، ولم تحظ فى أى وقت بأى نوع من الشهرة، ومن هنا تأتى أهمية وقيمة الدراسة.

وفى بعض مؤلفاته، لاسيما ما يتعلق "بتاريخ الشرق" يقوم "جاك دى فيترى" بعمل وثائق حول الأرض المقدسة وقام بجمعها فى أحد خطاباته.

وأعتقد من جهة أخرى عدم وجود صلة بين مؤلف "تاريخ دمياط" وجاك دى فيترى. فتلك المدونات فى أسلوبها ليس لها فى رأىّ قيمة حاسمة.

وبالنسبة للمخطوطات فلنبدأ الآن بوصف أهمها، وهو ـ أى روهرشت ـ الوحيد الذى ينقل لنا الرسالة الأولى، وجزء كبير من الرسالة الثانية.

✍ المخطوطات ـ النص والنشر ✍

إن مخطوط المكتبة الجامعية فى "جانز" والذى يحمل الرمز "ج" تم وضعه فى قائمة "سان جنوا" تحت رقم "١٠" يعود إلى نهاية القرن ١٣م ويتكون من ستة وعشرين صفحة .. وكل صفحة فى الحجم المتوسط قوامها خمسة وثلاثون سطراً والعبارة البادلة فى الخطاب الأول مبتورة..والمخطوط رقم٢٦٧ يضم مجموعة من الرسائل الحقيقية، تم وضعها فى الدير الرئيسي فى "جانز" وكان الهدف منها أن تكون نماذج للدارسين، ونجد أن الكثير منها قد كُتب بأحرف صغيرة متشابكة مما يصعب قراءتها. وقام "نابليون دى ياو" بنشر مايقرب من خمسين رسالة نذكر من بينهم الحياة الحميمة فى فلندر فى العصور الوسطى وفقاً لوثائق تم..فى نشرها "بروكسل١٩١٢م" وهى قصيدة نثرية على غرار الشعر.

والمخطوط "ج" رقم ٥٥٤ كان سالفاً جزءاً من المخطوط رقم ٢٦٧ ولكن تم فصله عنه فى فترة غير معلومة. ولكن مازال فى الإمكان تحديد موقعه القديم . والمخطوط رقم ٢٦٧ غير تام، إذ أن الفصول الستة الأولى ناقصة، وعلى ذلك فيمكننا أن نخلص أن رسائل "جاك دى فيترى" تمكننا من قرأة المخطوط بطريقة أو بأخرى، وأنه تمت إضافتها إلى المخطوط البدائى. غير أننا نلاحظ فى بعض الأحيان يتم تفسيرها بطريقة خاطئة. بسبب دمج رسائل "جاك دى فيترى" للمخطوط بدلاً من أن تضاف للنهاية.

ومن جهة أخرى نجد أن رسائل "جاك دى فيــترى"، كتبها كـاتب واحـد فقـط وأنه لم يكن من بين ناسخى المخطوط رقم ٢٦٧، لكن الكتابة تتشابه بشـكل كبـير مع كتابة الأغلبية .. وذلك كى لانعلل أن تلك الرسائل قـد تمـت كتابتهـا فـى الديـر الرئيسى فى "سان بيير دى جاند" ويبدو أن من كتب تلك الرسالة كان معاصراً لأغلبية النُساخ الآخرين الذين نجدهم فـى مخطـوط ٥٥٤،٢٦٧. علـى أن مخطـوط "سان بيير" قد ذكر فيه بعض المقتطفات. ولم يعى "رودرشـت" أى منهـا، وإنمـا نُشـر فقـط العنوان الموجود فى "ج" ولقد تأكدت بنفسى من ملاحظـة "هامـب" المذكـورة آنفـاً، وقررت أن أى شئ لم يتـم فقـده كـان يمكـن قراءته منـذ سـتين عامـاً ، بـل حتـى اعتقدت أنه في الإمكان تكملة قراءة العالم الألمانى وأن أتعرف على المرسل إليهـم الرسائل.

وبداية السطر الأول كان مهلهل مما تسبب فى فقدان خطاباً علـى الأكـثر. وبعد ذلـك حـافظ المخطـوط علـى كلمـات الخطابـات السبعة، وتوالـت آثــار غـير مفهومة. ووفقاً لما تم تركه تستطيع على الأقل إعادة صياغة بداية الجملة الأولـى بمقارنتها بعنوان الخطاب السابع ، وبداية السطر الثانى كذلك به نقصان، ويمكـن قياس ذلك النقصان وتقديره بحوالى إحدى عشر حرف. وبالنسبة للسـطر الثـالث فقد تم بتره فى بدايته، "حيث كان هناك نقص حوالى من ٩:١٠ حروف" وكذلك فى النهايـة.. والسطر الرابع يبدأ بنقص حوالى سبعة حروف.

وإذا أخذنا فى الاعتبار النقص والنتائج الأكيدة لأبحاثنا والفروض التى تم صياغتها فإننا قد ننتهى إلى نتيجة ما.

وقد تمكن بارون "سان جنوا"، فى ملاحظته التى ظهرت فى أبحاث الأكاديمية العلمية الملكية للعلوم والآداب والفنون فى بلجيكا، فإن لمين مكتبة "جانز" كان يلفت الانتباه إلى المخطوط .. وكان يقوم بنشر الخطابات ٢٠١، والتى لم تكن معروفة فى ذلك الوقت ، وأعلن عن مخطوط ثان فى المكتبة الملكية فى "بروكسيل " والذى لم يذكر فيه أية أمثلة. وبعد فحص روهرشت للمخطوط "ج" فى "سان جنوا" وأخيراً "جروفيد" والذى طبع منه عدة نسخ كى يتحقق من بعض فقراته، وبعد أن تم طبع المخطوط ، ومخطوط روهرشت ومخطوط تابعيه، تأكد أن ذلك المخطوط به بعض النقصان بصورة واضحة.

ولأن حالة "ج" الغير مرضية كانت تطلب غالباً تدخل من قِبلَ الناشر. فإن مخطوط "جانز" وكتابته باختصاراته المتعددة لم يكن سهل القراءة، ولن نقول أن روهرشت قد قام بنسخ نص "سان جنوا " على وجه سليم .

وفى حقيقة الأمر ، فإن بعض أخطائه لاتتواجد فى الطبعة الألمانية ، ولكن عند فحص مخطوط "جانز" لاحظت لأخطاء قراءات مشتركة بين الطبعتين فى عدة مواضع ويمكن تفسير ذلك بنقص الخبرة.

إن القائمة التالية لاتضم سوى عدة أمثلة مأخوذة من الخطاب ٢٠١، ولاتعطى سوى فكرة عن الواجب علينا فى نص تمت طباعته مرتين.

الخطاب الأول

I

R XIV, 101

∸ sibi in Christo I(acobus), divina sustinente misericordia Acconensis ecclesie minister humilis, eternam in domino salutem.

Inter varios dolores et labores continuos et frequentes mee peregrinationis molestias unicum est michi remedium et singulare
5 solatium frequens amicorum meorum memoria, quorum beneficio sustentatur spiritus meus ne corruat, quorum orationibus vegetatur anima mea ne penitus deficiat. Ex hac tamen medicinali memoria, cuius beneficio vulnera mea sanantur, aliquando novum vulnus cordi meo infigitur: crescente enim vehementi afflictione dum rationis
10 virtus opprimitur et debilitatur, circa notos et amicos meos mens mea adeo occupatur, ut fere omnia alia in tedium convertantur <ita, quod> appetitus orationis <et> desiderium lectionis ex hac frequenti afflictione frequenter in me evacuantur. Hii autem dolores quandoque in anima mea sopiuntur; unus autem est qui me
15 incessanter affligit <et> sine intermissione stimulat et inpungit, periculum videlicet animarum regiminis, dum defectus meos considero multiplices et qualem oporteat esse episcopum ex apostoli verbis animadverto. Ait enim: *oportet episcopum esse irreprehensibilem sobrium prudentem ornatum pudicum hospitalem doctorem,*
20 *non vinolentum, non percussorem, sed modestum, non litigiosum, non cupidum, sue domui bene prepositum, filios habentem subditos cum omni castitate, non neophitum, ne in superbiam elatus in iudicium incidat diaboli. Oportet autem illum* <*et*> *testimonium habere ab hiis qui foris sunt, ut non in opprobrium incidat et in laqueum dia-*

G.

1 ∂ñis amis sibi in Christo G. sustente *pr., corr.* G. 12 <ita, quod> *scripsi coll. I, 73. 143; II, 83. 87. 102-103. 125. 147, et passim.* <et> *scripsi, cf. adn. cr. ad II,* 55. 156. 182. 211. 234(404); IV, 132. 137. 15 <et> *scripsi.* 23 <et> St. testimonium habere bonum *textus biblicus.*

4-5 Cf. II, 210-211. 7 medicinali memoria] Le même langage figuré dans une lettre du pape Innocent III (Cheney-Semple, *Selected letters of Pope Innocent III*, Londres (Nelson), 1953, p. 94): *Quod si nec ... manus nostras in eum curabimus aggravare, ut sic damnum medicinali manu sanatus,* etc. 18-23 I Tim. 3, 2-7 (18-19 irreprehensibilem sobrium] irreprehensibilem(esse), *unius uxoris virum,* sobrium ... I Tim. 3, 2). 23 testimonium *sc.* bonum] Cf. Greven, *Exempla*, 37 (p. 27, 4) (= Frenken, *Exempla*, 36 (p. 116, 11).

25 *boli. — Simea in tecto episcopus fatuus in solio: monstruosa res est gradus summus et animus infi[r]mus, sedes prima et vita ima, lingua magniloqua et manus ociosa, sermo multus et nullus fructus, vultus gravis et actus levis, ingens auctoritas et nutans stabilitas.* Hec et hiis similia frequenter considerans in me penitus animus
30 meus corrueret et confunderetur, nisi orationibus vestris aliquantulum relevaretur. Dominus autem postquam a vobis recessi *vinum et oleum* frequenter *vulneribus meis infudit* aliquando adversitatibus et variis tribulationibus me probando, aliquando consolationibus relevando. Accidit michi cum intrarem Longobardiam

R XIV, 102

35 quod diabolus arma mea, scilicet libros meos, quibus ipsum expugnare decreveram, cum aliis rebus ad expensas meas necessariis proiecit et subvertit in fluvium vehementer inpetuosum et terribiliter profundum, qui ex resolutione nivis vehementer et supra modum excreverat et pontes ac saxa secum trahebat. Vnus ex
40 cophinis meis plenus libris inter undas fluminis ferebatur, alius, in quo matris mee Marie de Oegnis digitum reposueram, mulum meum sustentabat ne penitus mergeretur. Cum autem *de mille* vix *unus* posset evadere, mulus meus cum cophino sanus ad ripam devenit, alius autem cophinus quibusdam arboribus retinentibus
45 postea mirabiliter repertus est et, quod mirabilius est, licet libri mei aliquantulum obscurati sint, ubique tamen legere possum. Post hoc vero veni in civitatem quandam, Mediolanensem scilicet, que fovea est hereticorum, ubi per aliquot dies mansi et verbum dei in aliquibus locis predicavi. Vix autem invenitur in tota civitate
50 qui resistat hereticis, ex<c>eptis quibusdam sanctis hominibus et re<li>giosis mulieribus, qui a maliciosis et secularibus hominibus *Patareni* nuncupantur, a summo autem pontifice, a quo habent

G.

25 episcopus] rex *Bern. Clarev., cf. comm.* in solio sedens *Bern. Clarev.; cf. VI, 111.* 26 est *om. Bern. Clarev.* infi[r]mus *correxi.* 27 fructus nullus *Bern. Clarev.* 41 Oegnis] Ognies *VII, 7.* 50 ex<c>eptis St., *cf. 60; V, 59; VI, 143, 155.* 51 re<li>giosis St. 52 Patrani G, *cf. p. 65.*

25 simea ... 28 stabilitas] Jacques de Vitry cite ici une phrase entière de Bernard de Clairvaux, *De consideratione* II, 14 (voir l'app. cr.); sur *simia*, voir p. 95, note 5 de mon édition du *Dialogus* de Pierre de Blois, dans la RB, 1958. 32 Luc. 10, 34. 42-43 Cf. Greven, *sermo*, p. 48, 20: *Quod inter eos mille vix unus bonus invenitur* (Eccli. 6, 6: *unus de mille*); cf. II, 171-172. 47 Voir p. 13, n. 1. 52 Patareni] Cf. J. Goetz, *Kritische Beiträge zur Geschichte der Pataria*, dans l'*Archiv für Kulturgeschichte*, XII (1916), p. 17-55 et 164-194, et G. Schwartz, *Die Herkunft des Namens Pataria*, ibidem, p. 402-410; voir p. 63.

auctoritatem predicandi et resistendi hereticis, qui etiam religionem confirmavit, *Humiliati* vocantur; *hii sunt, qui* omnia pro Christo
55 relinquentes in locis diversis congregantur, *de labore manuum suarum vivunt*, verbum dei frequenter predicant et libenter audiunt, *in fide perfecti et stabiles, in operibus efficaces*. Adeo autem huiusmodi religio in episcopatu Mediolanensi multiplicata est, quod CL congregationes conventuales, virorum ex una parte, mulierum ex
60 altera, constituerunt, exceptis hiis qui in domibus propriis remanserunt. Post hoc veni in civitatem quandam que Perusium nuncupatur, in qua papam Innocentium inveni mortuum, sed nundum sepultum, quem de nocte quidam furtive vestimentis preciosis, cum quibus sci<licet sepeliendus> erat, spoliaverunt; corpus
65 autem eius fere nudum et fetidum in ecclesia relinquerunt. Ego autem ecclesiam intravi et *ocul<a>ta fide* cognovi quam brevis

---

G.

64 *post* sci (*non* sci=sancti) *lacuna 4-5 litterarum:* sci<licet sepeliendus> *conieci*, sepeliendus *Holder-Egger*. 66 ocul<a>ta St.

---

54 Cf. VI, 146. 55-56 (= 122) de labore . . . vivunt] Tobie 2, 19, cf. I Cor. 4, 12; Ephés. 4, 28; I Thessal. 4, 10-11; II Thessal. 3, 7-12. 56 Cf. Greven, *sermo*, p. 46, 2: *Nonne libenter ad ecclesiam vadunt et psalteria sua frequenter legunt?* 57 Cf. Greven, *sermo*, p. 48, 2: *Inveniantur in fide stabiles et in opere efficaces*, cf. *ibidem*, p. 34, n. 2: „Es handelt sich nicht um ein biblisches Zitat, sondern um eine Entlehnung aus der Oration des Breviers für die Vesper am Mittwoch der zweiten Woche in der Fastenzeit. Die Oration lautet: *Deus innocentiae restitutor et amator, dirige ad te tuorum corda servorum, ut spiritus tui fervore concepto et in fide inveniantur stabiles et in operibus efficaces. Per dominum*, etc. Die Oration dient auch an demselben Tage im Messformular als *Oratio super populum*". 62 Innocent III mourut le 16 juillet 1216; le lendemain, Jacques vit le pape comme il le décrit. Un seul auteur (franciscain) prétend que saint François était présent au lit du mourant: Thomas d'Eccleston, *De adventu Fratrum Minorum in Angliam*, Collatio XIV dans l'éd. Brewer, *Monumenta Franciscana*, Londres, 1858, p. 66; Coll. XV dans les *Analecta Franciscana*, I (Quaracchi, 1885), p. 253 et dans l'éd. Little ([2]Manchester, 1952), p. 95: ...*Innocentium, in cuius obitu fuit presentialiter sanctus Franciscus*. Si c'était exact, Jacques de Vitry ne l'eût certainement pas passé sous silence (voir I, 103-135); à mon avis, la remarque de frère Thomas est donc tout à fait invraisemblable. — Sur *nundum*, voir p. 63. 66 oculata fide] l'expression *fidem . . . oculatam* se trouve déjà chez Tertullien, *adv. Marc.* IV, 36 (*Corpus Christianorum*, I, 646, 1); la forme *oculata fide* peut être un souvenir de lecture de Cyprien, *ad Fortunatum de exhort. mart.*, XIII (*CSEL*, III[1], p. 346, 7), d'un fragment d'Hilaire (*CSEL*, LXV[4], p. 54, 11) ou de l'Itinéraire d'Antoninus Placentinus (*CSEL*, XXXIX, p. 179, 19 et 190, 2); mais Jacques de Vitry peut aussi la connaître par l'*Histoire* de Guillaume de Tyr (Bongars, *Gesta dei per Francos*), p. 626, 45 et 688, 43; il la cite encore dans sa *Vie de Marie d'Oignies* (AA SS de juin. IV, 636-E).

sit et vana huius seculi fallax gloria. Sequenti autem die elegerunt
cardin<al>es Honorium, bonum senem et religiosum, simplicem
R XIV, 103 valde et benignum, qui fere omnia que habere | poterat pauperibus
70 erogaverat. Ipse autem die dominica post electionem eius in summum pontificem consecratus est; ego autem proxima sequente dominica episcopalem suscepi consecrationem. Honorius autem papa satis familiariter et benigne me suscepit ita, quod fere quotienscumque volui ad eum ingressum habui et inter alia ab ipso
75 obtinui quod tam in partibus orientalibus quam occidentalibus ubicumque vellem verbum dei predicarem auctoritate eius. Obtinui preterea ab ipso, et litteras cum executoribus et protectoribus impetravi, ut liceret mulieribus religiosis non solum in episcopatu Leodi[n]ensi, sed tam in regno quam in imperio in eadem domo
80 simul manere et sese invicem mutuis exhortationibus ad bonum invitare, unde, quia in prelatis in regno Francie commissa fuerat crucesignatorum defensio, noluit michi dare specialem potestatem ut eos defendere valerem. Hoc autem fecit, ut dicitur, quorundam consilio, qui ad legationem regni Francie aspirabant; ego vero, habito
85 cum amicis et sociis meis consilio, nolui redire nisi crucesignatos, qui fere ubique talliis et aliis exactionibus opprimuntur, quorum etiam corpora passim incarcerantur, valerem defendere: aliter enim verbum predicationis non reciperent, sed magis in faciem meam conspuerent, si eos, secundum quod promissum est eis in predica-
90 tionibus, protegere non valerem. Preterea, cum ad partes Francie venissem, hiems esset et statim in Quadragesima proxima iterum arripere iter me oporteret, unde parum possem proficere et multum oporteret me laborare; et quia ex labore continuo me valde debilitatum sentiebam, preelegi aliquantum quiescere, ut laborem
95 exercitatus ultra mare valerem sustinere, maxime quia multa milia crucesignatorum iam transierunt, quos oportebit me consolari et detinere. Hominibus etiam episcopatus mei et aliis transmarinis, antequam veniat multitudo, verbum dei predicare proposui et

G.

68 cardin<al>es St. 79 Leodi[n]ensi St. 98 proposui predicare proposui, *sed pr.* proposui *del.* G, *cf. adn. cr. ad II*, *435-436*.

67 le 18 juillet 1216. 69 habere poterat] voir p. 33, n. 1. 70 le 24 juillet 1216. 71 le 31 juillet 1216. 72-90 Voir Greven, *Frankreich*, p. 33-38. 76 Cf. III, 52. 81 in prelatis] voir p. 33, n. 1. 88-89 Cf. Crane, *Exempla*, 63, 9-10. 90-93 Voir p. 52(I). 97 episcopatus mei] Saint-Jean-d'Acre, cf. 102. 98 multitudo] c.-à-d. des croisés.

ammonere et exhortari ut benigne recipiant peregrinos et a peccatis
100 abstineant, ne alios extraneos malo exemplo corrumpant: postquam enim multitudo transiretaverit, circa eorum negocia ita occupatus ero, quod Acconensibus, qui michi specialiter commissi sunt, nisi prius <michi> intendam, vix intendere tunc potero. Cum autem aliquanto tempore fuissem in curia, multa inveni spiritui meo
105 contraria: adeo enim circa secularia et temporalia, circa reges et regna, circa lites et iurgia occupati erant, quod vix de spiritalibus aliquid loqui permittebant. Vnum tamen in partibus illis inveni solatium, multi enim utriusque sexus divites et seculares omnibus pro Christo relictis seculum fugiebant, qui *Fratres Minores* et
110 *Sorores Minores* vocabantur. A domno papa et cardinalibus in magna reverentia habentur, hii autem circa | temporalia nullatenus occupantur, sed ferventi desiderio et vehementi studio singulis diebus laborant ut animas que pereunt a seculi vanitatibus retrahant et eas secum ducant. Et iam per gratiam dei magnum
115 fructum fecerunt et multos lucrati sunt, ut *qui audit dicat: veni, et cortina cortinam trahat.* Ipsi autem secundum formam primitive ecclesie vivunt, de quibus scriptum est: *multitudinis credentium erat cor unum et anima una.* De die intrant civitates et villas, ut aliquos lucrifaciant operam dantes actione; nocte vero revertuntur ad

R XIV, 104

G.

99 ut *Sf.* nec G. 103 <michi> *conieci addubitans, cf. 94-95.*

103-135 Voir ma notice citée p. 2, n. 3, et la note sur I, 62. 110 domno] C'est la graphie que j'adopte pour rendre le *dns* (etc.) des manuscrits, titre de seigneurs ecclésiastiques aussi bien que laïques, *dominus* étant réservé au Seigneur et, en prose, pour désigner le *maître*, p.e. d'un esclave, etc. La forme brève était indubitablement beaucoup plus en usage que les textes imprimés ne le font croire. Bien que *dominus* écrit en entier ne soit pas absent de nos textes, surtout en poésie si le mètre l'exige (mais cf. *vicedomnus*, Ruodlieb, IV, 68 (Traube, *Nomina sacra*, p. 174), la plupart du temps on ne trouve que *dns*; mais on observe bien, dans les manuscrits, l'emploi distinctif de *domnus* et *dominus* lorsque les formes sont écrites sans contraction. 115 Cf. 118-119, et Crane, *Exempla*, 32, 4-5: *aliquos scolares deo lucraturus*. 115 qui audit dicat: *veni*] Apocal. 22, 17. 115-116 et cortina cortinam trahat] S'agit-il d'une citation? Je n'ai pas pu identifier ces mots. 116-117 (voir sur II, 231-232) Voici un détail qui a fortement impressionné Jacques de Vitry: il le répète VI, 246-248 [b, c] et dans son *Histoire de l'Occident*, écrite vers 1221, cf. Boehmer, *Analekten zur Geschichte des Franciscus von Assisi*, 1904, p. 102, 13 ss. et surtout 26-27 (=MO, p. 349/350). 117-118 Actes 4, 32. 118-119 ut aliquos lucrifaciant operam dantes actione] La construction *ut aliquid* (ou *aliquod*, deux conjectures) *lucri faciant, operam dantes actioni* (conjecture), que présentent ou proposent de Saint-Genois, Röhricht, *alii*, est fausse; *operam dare actioni* serait

120 heremum vel loca solitaria vacantes contemplationi. Mulieres vero iuxta civitates in diversis hospitiis simul commorantur; nichil accipiunt, sed *de labore manuum <suarum> vivunt*, valde autem dolent et turbantur, quia a clericis et laicis plus quam vellent honorantur. Homines autem illius religionis semel in anno cum
125 multiplici lucro ad locum determinatum conveniunt, ut simul in domino gaudeant et epulentur, et consilio bonorum virorum suas faciunt et promulgant institutiones sanctas et a domno papa confirmatas, post hoc vero per totum annum disperguntur per Lumbardiam et Thusciam et Apuliam et Siciliam. Frater autem Nicho-
130 laus, domni pape provincialis, vir sanctus et religiosus, relicta curia nuper ad eos confugerat, sed quia valde necessarius erat domno pape revocatus est ab ipso. Credo autem quod in opprobrium prelatorum, qui *quasi canes* sunt *muti non valentes latrare*, dominus per huiusmodi simplices et pauperes homines multas animas ante
135 finem mundi vult salvare. Cum vero recessi a predicta civitate, iter arripui versus Ianuam, que nobilis est civitas in confinio Thuscie et Lumbardie et sita est supra mare. Cum autem per tres dietas tantum a civitate distarem, inveni viam gravem et montuosam, unde in quadam navicula cum sociis meis ingressus sum mare
140 ut ad civitatem Ianuensem, in qua portus est optimus, navigio devenirem. Cum autem die et nocte inter fluctus maris navigaremus, frequenter navicula nostra ex undarum impulsionibus fere usque ad submersionem inclinabatur ita, quod impetus undarum navem

---

G.

120 contemplationo G, *cf. comm.* 122 <suarum> *scripsi coll.* 55-56, *Tobiae* 2, 19. 123 quia] *nescio an G, ut in VI, 177, perperam* quia *scripserit pro* quod.

---

un pléonasme inutile, il faut construire *operam dare ... ut*. Pour *lucrifacere* avec acc. plur. masc. (= I Corinth. 9, 21-22), cf. (114-)115. La forme *actione* causant le changement de *contemplationi* en *contemplationo*, le passage est corrompu sous la main d'un scribe. 122 Voir sur 55-56. 124-128 Cf. l'*Hist. Occ.*, MO, p. 351, Boehmer, l.c., p. 103, 23 ss.: *semel autem vel bis in anno tempore certo ad locum determinatum generale capitulum celebraturi conveniunt, exceptis his qui nimio tractu terrarum vel mari interposito separantur.* 128-129 Cf. MO, p. 351, Boehmer, l.c., p. 103, 26-28: *post capitulum iterum ad diversas regiones, provincias et civitates duo vel plures pariter a superiori suo mittuntur.* 130 provincialis] On a voulu corriger *penitentiarius*, mais voir l'opinion des éditeurs des *Annales Minorum* de Wadding, I (1931), p. 420, note, qui avancent des arguments décisifs. 133 Isaïe 56, 10. 133-135 Pour cette pensée, voir MO, p. 349 et 353-354, Boehmer, l.c., p. 102, 16 ss. et 105, 18-21. 137 supra mare] cf. IV, 22.

nostram aliquociens intrabat. Vnum tamen remedium habebamus
145 quod linteamina fluctibus opponebamus. Postquam vero applicui
Ianue, cives eiusdem civitatis, licet me benigne recepissent, equos
tamen meos, vellem nollem, in obsidionem cuiusdam castri secum
duxerunt: hec est enim civitatis consuetudo, quod quando in
exercitum vadunt ubicumque equos reperiunt, cuiuscumque sint,
R 150 secum ducunt. Mulieres autem in civitate remanserunt. Ego vero
XIV, 105 interim feci quod potui, verbum enim Dei multis mulieribus et
paucis hominibus frequenter predicavi. Multitudo autem mulierum
divitum et nobilium signum crucis recepit: cives michi equos
abstulerunt, et ego uxores eorum crucesignavi. Adeo enim ferventes
155 et devote erant, quod vix a summo mane usque ad noctem permittebant me quiescere, vel ut aliquod verbum edificationis a me audirent,
vel ut confessiones suas facerent. Postquam autem cives ab exercitu
reversi sunt, equos meos michi reddiderunt, et invenientes mulieres
cum aliis signum crucis accepisse, postquam verbum predicationis
100 audierunt signum crucis cum magno fervore et desiderio receperunt.
Moram autem feci in civitate Ianuensi per totum mensem Septembris et frequenter verbum predicationis dominicis et festivis diebus
populo civitatis predicavi; licet autem ydioma illorum non novissem, multa tamen milia hominum ad dominum recepto signo
165 crucis conversa sunt. Sunt autem homines illi potentes et divites
et strenui in armis et bellicosi, habentes copiam navium et galearum
optimarum, nautas habentes peritos qui viam in mari noverunt
et in terram Sarracenorum pro mercimoniis frequenter perrexerunt,
nec credo quod sit aliqua civitas, que tantum possit iuvare ad
170 suc<cur>sum terre sancte. Et quoniam tarde ab exercitu redierunt, mense Octobris circa festum sancti Michaelis mare cum sociis
meis intravi committens me deo et mari hiemali et fluctibus procellosis, sicut mos est illius temporis. Homines autem illius civitatis
naves habent fortissimas et magne quantitatis, unde tempore

G.

159 recepisse *coniecerim, cf. adn. cr. ad II, 100.* 169 aliqua, *i.q.* aliqua alia (*cf. J. B. Hofmann, Syntax, p. 483; Löfstedt, Beiträge z. Kenntnis d. spätern Latinität p. 115 sqq.*); *non igitur necesse est addere* alia (*IV, 95 et V, 270, ubi* aliqui alius *invenitur, praecedit* vel). 170 suc<cur>sum *Röhricht.*

---

145 linteamina] *des* voiles, cf. II, 94 et 95: linteamina nostra] *nos* voiles, c.-à-d. toutes les voiles, amenées à cause de la tempête. 153-154 cf. sur VI, 222. 171 La fête de saint Michel tombe le 29 septembre: Jacques de Vitry parle donc des premiers jours d'octobre.

175 hiemali consueverunt transfretare eo, quod tali tempore victualia
in navi non facile corrumpuntur nec aqua sicut estivo tempore
in navi putrescit nec oportet eos pro defectu ventorum et maris
pigritia in mari diu commorari. Conduxi autem novam, que nun-
quam mare transierat, recenter precio IIII milium librarum fa-
180 bricatam; malus autem navis, ut audivi, quingentarum librarum
precio emptus fuerat. Quinque loca michi et meis comparavi,
scilicet quartam partem castelli superioris, in qua manducarem
et in libris meis studerem et de die, nisi cum tempestas esset in mari,
manerem; conduxi unam cameram, in qua cum sociis meis de nocte
185 dormirem, conduxi aliam cameram, in qua vestimenta mea repo-
nerem et victualia michi per septimanam necessaria collocarem,
conduxi aliam cameram, in qua servi mei iacerent et cibum michi
prepararent, conduxi locum alium, in quo equi mei, quos transire
feci, reponerentur. In sentina vero navis vinum meum et biscoctum
190 et carnes et alia fere ad tres menses victui meo sufficientia collocari
feci. Navem autem sanus et incolumis cum sociis meis et rebus
R XIV, 106 meis salvis | ingressus sum; vos autem instanter orate pro me et pro
meis, ut deus perducat nos ad portum Acconensis civitatis, et inde
ad po<r>tum eterne beatitudinis.

G.

178 novam (*navem scilicet, de navibus enim agitur*)] navem *coni.* St. 194 po<r>tum St.

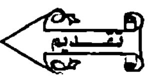
---

190 victui meo sufficientia] cf. Prov. 30, 8. 191 Cf. II, 24-25 et V, 86-87 (cf. Tobie 8, 15). 192-193 Cf. II, 446; IV, 208; VI, 230.



الخطاب الأول

كتب جاك دى فيترى الخطاب الأول وهو على متن سفينة فى ميناء جنوة فى أكتوبر عام ١٢١٦م قبل أن يرحل إلى الشرق



كتب جاك دى فيترى الخطاب الأول وهو فى ميناء "جنوة " الإيطالى فى الأول من أكتوبر عام١٢١٦م ، وبعث به إلى باريس بعد وفاة البابا "إنوسنت الثالث" فى ١٧أكتوبر ١٢١٦م.

والخطاب الأول فى مجمله عبارة عن عظات جاك دى فيترى إلى الشعوب المسيحية فى مختلف أنحاء أوربا خاصة المناطق التى زارها أثناء رحلته إلى الشرق مبنياً فيها تعاليم العقيدة الكاثوليكية التى تعرضت - من وجهة نظر جاك دى فيترى - إلى خروج العديد من المسيحيين على تعاليم العقيدة الكاثوليكية، ونصح جاك دى فيترى فى هذا الخطاب البابا بضرورة عقد المجامع الكنسيةّ وإصدار العديد من القواعد والقوانين الدقيقة مبينة فى أسلوب سهل بسيط موضحةً أصول وتعاليم الدين الصحيح حتى يفهمها البسطاء من الناس وبالتالى المحافظة على وحدة الكنيسة، ووحدة العالم المسيحى فى الغرب الذى أوشك على التمزق والانهيار.

ترجمة النص إلى العربية :

📖 خطاب جاك دى فيترى إلى البابا موضحاً تعاليم السيد المسيح وما يجب أتباعه 📖

وهكذا فإنه توجد فى السيد المسيح الرحمة الإلهية يجد الإنسان البلسم الشافى وسط الآلام والمشاغل المتعددة، بل ويحيا الإنسان فى سلام الرب الأبدى. وهذا ما يذكره أصدقائى دائماً بأنه يتم تقويم وتهذيب أرواحهم من خلال هذه القوة الروحية التى تتمثل فى قيام الصلاة والتى تعمل على شفاء النفس البشرية التى تعانى من ظروف صعبة. وكنت دائماً ألحظ "الاحظ" هذا المظهر على وجوه أصدقائى. وتم التركيز على ذلك فى الدروس التى كانت تتلى، ويعتبر ذلك وسيلة ناجحة لمقاومة المخاطر التى تحيط بالمرء. وكان الرسل ينادون بهذه البشارة فى أقوالهم، وهذا يتطلب ألا يكون الخادم للرب جشعاً مهتماً بالتعاليم الدينية النظرية فقط. فليس كما كان الشعب فى اليهودية تحت سلطان الشيطان إبليس. بل عليهم أن يحافظوا على العهد الجديد الذى أقامه السيد المسيح مع المؤمنين.

إن المضايقات التى نتعرض لها تجعل النفس مريضة ومُثقلة بالهموم. وهى فى هذه الحالة تحتاج إلى العلاج الذى يذهب بتلك الأوجاع. وقد قدم لنا السيد المسيح مثال الزيت والخمر الذى يداوى الجروح الجسدية [1] مثلما حدث مع السامرى الصالح. فما هى إذن الطريقة المُثلى التى تواجه بها هجمات إبليس علينا ؟.. إن الكتب المقدسة هى التى يعتمد عليها فى مثل هذه المضايقات.

لقد عانى الرب يسوع المسيح فى أيام تجسده على الأرض مثل هذه الآلام وشارك الإنسانية فى آلامهم، لكى يكون مثلاً يحتذى به لنا. ولكن الذى حدث أنه ظهرت فى الكنيسة بعد ذلك بدع مخالفة لأساس الدين "هرطقات" كادت أن تعصف بجسد الكنيسة مما حدا بالأساقفة إلى عقد مجامع كنيسة لمقاومة هذه البدع. وكانت

---

[1] إنجيل لوقا ، العهد الجديد ، الإصحاح العاشر

عمليات المقاومة تستلزم تأكيد الإيمان الصحيح فى كل مرة، وإصدار قوانين وتشريعات إيمانية فى محاولة لتحقيق الاستقرار داخل الكنيسة. وهذا ما حدث بالفعل مع البابا إنوسنت الثالث الذى كان يمثل رأس الكنيسة الكاثوليكية، وقد دعا إلى عقد مجمع كنسى لتثبيت الآراء والأفكار الدينية السليمة. وكانت القرارات التى صدرت عن هذه المجامع محددة وتامة بشكل واضح وجلى، بحيث لا يسمح فى المستقبل تكرار لهذه الأعمال التى ترمى إلى تمزيق جسد الكنيسة. إن صياغة القرارات فى المجامع الكنسية يجب أن تمتاز بدقة المعنى وسهولة وبساطة العبارات فى شكل صحيح لغوياً، بحيث يسهل انتشارها فى الأماكن المختلفة التى تتواجد بها الكنائس.

وحيث أن الآراء تختلف فى الشرق عن الغرب، وأى جهة أخرى تحاول فرض العقيدة الخاصة بها، فإنه قد لزم التأنى فى صياغة العبارات فى منطقة الأودية، كما فى مناطق مملكة فرنسا.

فيجب دائماً التزام الدقة والدفاع عن الصحيح من الدين. وهذا ما فعله "هونوريوس الثالث"، وقد تم ذلك فى طريقة وأسلوب استشارة الأصدقاء سواء فى العمل التبشيرى أو فى المفاهيم الدينية المشتركة، وقد تشكلت فى هذا المجال، مجموعة عُرفت باسم "الأخوه والأخوات الصغار" وذلك لتحقيق تلك الأهداف.

وكانت هذه المجموعة هى النواة لكى تتسع دائرتها لتضم أفراد آخرين يواصلون السعى لتحقيق تلك الأهداف. وكنت ألمس فيهم الغيرة والحماس للقيام بتلك الأعمال. لقد تحقق فيهم ما كان الكتاب المقدس يدعو إلى العمل به.

وهنا نرى تتابعاً جميلاً، حيث أن كل مجموعة كان ينبثق منها مجموعة أخرى، الأمر الذى يؤدى إلى كثرة العاملين فى همة ونشاط فى هذا المجال.

وهناك أماكن خالية ــ من هذه الجماعات ــ تحتاج إلى العمل، وعلينا أن نسعى إلى استضافة الأخوة وتقديم ما يحتاجون إليه من مساعدة ودعم. وقد وُجدت أنه فى غضون عام واحد قد حدثت طفرة فى النشاط والخدمة، فوجدت جماعات فى لومبارديا وتوسكانيا وصقلية.

وكان الأخ "نيقولا" يتحرك فى حماس لتلبية كل ما هو مطلوب للمساعدة، وكذلك تقديم الخدمة للفقراء فى الأماكن المختلفة. وهكذا بدأت تظهر منافسة بين المناطق المختلفة فى الخدمة.

والكل يسعى كى يحقق ما هو أفضل، وكنا نطوف بالسفينة من مكان لأخر، وكنا نرى الاستقبال الجيد وكرم الضيافة. ولمست مدى حاجة الناس لتقديم العون لهم روحياً وجسدياً. نعم إن روح الله تمدنا وتمنحنا قوة وأسلحة تتفوق على السيوف والرماح، وقد حدث ذلك فى شهر أكتوبر قرب عيد الملاك ميخائيل، حيث ثار البحر وهاج وأصبحنا فى مهب الريح، وكنا نفقد كل أمل للنجاة والرجاء لولا مساندة الرب لنا.

وفى أثناء ذلك كنت أتساءل، هل العيب فى السفينة التى كانت سيئة ؟ أم أن الرياح كانت من القسوة بحيث كادت أن تطيح بالسفينة ؟

ولكن دخلتُ إلى حجرتى، أتابع دراساتى فى الكُتب التى كانت فى حوزتى، وكان الطعام والحاجيات الأخرى فى غرفة ثانية بالسفينة، وكنا نشكر الرب على كل الأحوال، ذلك أن الشئ والزاد القليل يكفى المرء إذا كان الرب يملأ قلبه وهو يتطلع إلى الأمجاد السماوية التى تعوض كل ما يفتقده المرء هنا فى هذه الأرض.

❖ *هنا ينتهى الخطاب الأول* ❖

الخطاب الثالث

II

a] [Viris venerabilibus et] in Christo karissim[is magistr]is Parisien[sibus] [± 51 —] [Gu]illelmo du Pont des Arches et Radulfo de Namuco et Alexandro de Corco[n et Philippo Noviomensi ar]chidiacono I(acobus), divina permittente misericordia Acconensis
5 ecclesie minister humilis, sancte terre promissionis [domini] cum [± 7 —] effectu subvenire.

R XIV, 106 b] Domne Ligardi de sancto Trudone, amice sue spiritualissime, et conventui de Awiria I(acobus), divina miseratione Acconensis ecclesie minister humilis, ascendere *de virtute in virtutem*, donec
10 videant *deum deorum in Syon*.

Mentes quas spiritus sanctus coniunxit, locorum diversitas non disiungit: que autem caritatis sigillo mentibus amicorum imprimuntur, non facile temporis intervallo a memoria labuntur. *Testis autem michi est dominus*, pro cuius gratia continuis laboribus
15 affligor, pro cuius nomine cotidianis expositus sum periculis, *quod sine intermissione memoriam vestri facio*, ardenti desiderio et intenta affectione cupiens adhuc in hoc seculo vos videre; quod si deus aliter disposuerit, ipsum frequenter deprecor ut videam vos post mortem *in splendoribus sanctorum, in consilio iustorum et con-*
20 *gregatione*. Cupio autem quatinus, quamdiu vixeritis, recentem

1-6: B*; 7-10: G; 11-20: B*G.

1-6 *cf. p. 9-11.* 11 coniungit G, *cf. 258-259.* 14 est michi deus B*. 17 hoc *om.* G, *cf. comm.* 19 in consilio iustorum *om.* B*. 20 quatinus *om.* G. recentem]retentam G.

1-6 Voir p. 9-11. 7 Ligardi] voir p. 64; spiritualissime (*specialissime* StR, voir p. 12): Galates 6, 1. 9-10 Ps. 83, 8. 11-12 Cf. 258-259. 14-16 Rom. 1, 9. 17 in hoc seculo (B*): dans *ce* monde (temporel, cf. I, 66-67), cf. Crane, *Exempla*, 117, 4-5: *tu scis quia frater noster mortuus est et iam non est in hoc seculo*; 124, 8-9: *laborare igitur oportet in hoc seculo qui quiescere vult in alio*; 188, 17-18: *laboremus igitur in hoc seculo, ut quiescamus et fructum colligamus in alio.* — in seculo (G): dans *le* monde, d'où se retirent ceux qui embrassent la vie religieuse, cf. Crane, *Exempla*, 49, 1-2: *de duobus germanis pueris audivi, cum unus positus esset in claustro et alius in seculo remansisset...*; 52, 1-2: *audivi de quodam magno clerico qui fuerat advocatus in seculo*; 59, 1-2: (moniales) *delicatius vivere volunt in claustro quam mulieres seculares vivant in seculo*, cf. I, 108-109, 113. 19 in splendoribus sanctorum] Ps. 109, 3. 19-20 Ps. 110, 1.

parvitatis mee memoriam habeatis, sicut vestri semper memoriam habeo, et per litteras, quando nuntium habere valeo, me ipsum memorie vestre libenter ingero et de statu meo vos certificare desidero. Noverit igitur dilectio vestra quod divino munere sanus sum
25 et incolumis et omnes qui mecum sunt, per gratiam dei, et hoc idem de vobis audire desidero. Postquam autem transfretaturi recessimus a portu Ianuensis civitatis, per quinque ebdomadas in mari laboravimus multaque adversa in variis locis sustinuimus. Cum autem transissemus Sardiniam, invenimus quandam insulam mari undique
30 circumdatam, in qua quidam heremita absque aliquo socio vel ministro | inter serpentes et feras solus habitabat; nunquam autem panem manducabat, nisi a transeuntibus semel vel bis in anno eidem biscoctum traderetur. Ante autem quam transiremus conquerebatur quod iam hiems appropinquabat et nullus adhuc
35 transierat qui ei panem tribuisset; cui responsum est a Spiritu sancto, quod in proximo naves transire deberent, a quibus biscoctum et alia necessaria recepturus erat. Cum autem naves nostre iuxta insulam predicti heremite transirent, continuo cum celeri cursu transivimus nullo modo ad insulam respiciendo vel heremitam
40 visitando. Cum autem insulam per multa miliaria transissemus, ventus vehemens contra nos subito insurrexit, qui nos et naves nostras cum impetu ad insulam heremite reduxit. Videns autem adventum nostrum heremita venit ad nos senex et *plenus dierum* et obtulit michi caules et racemos, nos autem iuxta cellam eius
45 vaccas silvestres et arietes invenimus et cervorum multitudinem, ex quibus XIIII accepimus et manducavimus; panem autem et oleum et quedam vestimenta relinquentes heremite recessimus. Non longo autem tempore post accidit nobis magnum et valde metuendum periculum: quedam enim navis impetu magno supra
50 navem nostram ferebatur, quam si collidendo attingeret, vix

R XIV, 107

B*G.

22-24 habeo, et de statu meo vos certificare desidero per litteras, quando nuntium habere valeo, me ipsum memorie vestre libenter represento G. 25 dei gratiam G, *cf. adn.* (*comm.*) *ad 183-184*. 26 transfretaturi] transfretavi et G. 27 Ianue G. mare B*G, *corr.* St. 30 aliquo *om.* B*. 38 cum] et B*. 39-40 vel ... visitando *om.* B*. 41 subito *om.* B*, *cf. 82-83*. 41-42 nos ... cum impetu] nos cum impetu... G. 43 ad nos venit B*, *cf. 313, 381*. 46 XIIIcim B*. 49 autem G. 50 attigeret B*.

24-25 Cf. I, 191. 29-30 L'île de Monte-Christo? (St). 41-42 subito ... cum impetu] cf. V, 110. 43 Genèse 25, 8.

possemus evadere quin utraque vel altera frangeretur; nec divertere poteramus ad partem oppositam propter scopulum imminentem; necesse tamen erat vel navis alterius impetum sustinere vel ad saxum navem nostram allidere. Tunc *clamor magnus factus est*
55 omnium, et lacrime plorantium et peccata sua confitentium in utraque navi audiebantur. Ex una autem navi mutuo prosiliebant in aliam, secundum quod unus navem alteram credebat fortiorem et alius aliam; alii vestimenta sua deponebant et quod habebant in auro et argento, si forte natando evadere possent, sibi alligabant.
60 Quidam autem nautarum michi compatientes et deferentes ut navem parvam, que magne navi alligata erat, intrarem suadebant, ego vero nullo modo adquievi propter malum exemplum, sed cum aliis volui suscipere commune periculum. *Dominus* autem *afflictionem nostram respexit*: nam cum navem nos comprimentem
65 lanceis et fustibus a nobis repelleremus, neutra navium, licet inter se colliderentur, confracta est. Ex violentia autem collisionis navis | nostra, ad sinistram partem aliquantulum obliquata, ad dextram partem saxum reliquit, navis vero reliqua cum iam vicina scopulo confringenda et submergenda foret, submissis velis et proiectis
70 anchoris substitit et quasi miraculose per gratiam dei evasit illesa. Quidam autem ex navi predicta aurum et argentum suum in navem nostram proiecerunt. Inde autem navigantes cum ventum valde contrarium haberemus, iuxta aliam insulam portum, prout potuimus, recepimus, ubi fere per quindecim dies moram fecimus.
75 Cum autem continue tempus contrarium haberemus et hiems valde appropinquaret, iam de transitu fere desperebamus timentes valde ne in alia insula oporteret nos hiemare. Dominus autem navis nostre volebat omnes pauperes de navi nostra eicere et in insula

R XIV, 108

B*G.

55 *alt.* et *om.* G. 56 audiebatur G. 58 aliam *om.* G. disponebant G. 59 in argento et auro G (*cf. adn. cr. ad 71, 194-195*), *sed* aurum et argentum *VI, 128-129*; Crane, *Exempla*, 9, 8; 47, 15; 82, 11; 149, 3-4; 170, 4; 192, 5: BO, 1048, 21. evadere possent natando G. 61 parvam navem G, *sed cf. 303, cf. I, 3.* 64 nostram *om.* G. aspexit B*. comprimentem nos G, *cf. 113, 314.* 67 obliquata est aliquantulum B*, *cf. I, 46; II, 297-300 (comm.)*; Crane, *Exempla*, 312, 9-10: aliquantulum remoti. 70 substitit *conieci*] subsistit B*, substituit G. illesa evasit B*, *cf.* Crane, *Exempla*, 88 (p. 40, 15-16): evasit illesus; 145, 8: illesus evasit. 71 argentum et aurum G, *cf. adn. cr. ad 59.* 74 ubi fere] autem fere B*, *margine paulum reciso: fortasse pr.* ubi autem fere. 75 autem *om.* G. 75-76 haberemus, hiems valde appropinquabat B*. 78 nostre *om.* B*. insulam G.

54 Actes 23,9. 63-64 Genèse 31, 42; Exode 4, 31, cf. V, 29; VII, 145-146.

relinquere eo, quod victualium sufficientiam non habebat; ego
80 vero valde supplicabam ei quod adhuc misericordiam dei expectaret et pauperes mortis periculo non exponeret. Dum autem nullo modo vellet adquiescere, dominus immisit nobis subito tempestatem validam ita, quod quindecim anchore, quas in mare proiecimus, vix possent navem nostram retinere quin periremus.
85 Prora autem navis nostre nunc attollebatur ad sidera, nunc in abissum mergebatur. Hec autem tempestas per duos dies et duas noctes continue duravit ita, quod quidam ex nostris, dum ventorum impetum vix possent sustinere, castellum navis nostre deponentes confregerunt, quidam autem pre timore mortis non manducabant
90 neque bibebant. Ego vero nichil coctum manducavi: nullus enim in navi nostra audebat ignem accendere. Quando vero bibebam, cifum una manu tenebam, altera vero ne caderem vel cifum effunderem me fortiter detinebam. Quoniam vero timebamus ne aqua nobis deficeret, linteamina nostra ad pluviam extendebamus ita,
95 quod duplex commodum reportabamus: dum linteamina nostra ablueremus et aquam ablutionis biberemus. Hec autem tempestas a mentibus plurimorum peccatorum eiecit tempestatem: multi enim cum lacrimis ad confessionem venerunt, qui per multos annos in peccatis permanserant. Mercatores autem et potentes signum
100 crucis de manu mea receperunt, quibus *ad dominum clamantibus* immisit nobis dominus aeris serenitatem, et venti commodum nobis a parte posteriori tribuit *auxilium post tribulationem* ita, quod | paucis diebus iuxta Siciliam et Creten navigantes, relin- [R XIV, 100] quentes a parte sinistra Sillam et Caribdim, a dextra vero parte
105 Melitam, in qua beatus Paulus confracta nave sua hiemavit et dum sarmenta colligeret serpens eum momordit, salutantes insulam Cypri, per pisces maximos, qui sequebantur et precedebant navem

B*G.

79 habebant G. 79-80 ego vero G, *cf. I*, 84, 150; II, 62, 90, 149 164, 218, *cf. adn. cr. ad 240*] ego autem B*, *cf. I*, 65-66 *et* 71. 80 ei *e* dei *om.* G. 81 autem] autem dominus B*, *cf.* 77. 82 dominus noster subito immisit (*om.* nobis *margine paulum reciso*) B*, *cf.* 101. 85 nostre navis G. ad *om.* B*. in] ad G, *cf.* ad sidera. 87 continue *om.* B*, *sed cf.* 75. de nostris G. 88 navis nostre *om.* G. 90 nec G. 91 ex navi (*om.* nostra) G. ignem [audeba]t accendere B*. 92 vero *om.* G. 97 eicit G. 99 permanserunt G. 100 acceperunt B*, *cf. I*, 153, 160, 164-165; *II*, 166, 233 (*ubi vide adn. cr.*); *cf. adn. cr. ad I*, 159. 105 Melitam *correxi*] Mitilenam B*, Mitellenam G, *cf. p.* 14.

85-86 Cf. Ps. 106, 26; Virgile, *Aen.* I, 103-104. 100 (IV, 145; V, 132; VII, 148-149) Cf. Ps. 3, 5; 76, 2; 141, 2. 102 Ps. 59, 13; 107, 13 (*auxilium de tribulatione*). 105-106 Actes 28, 1-6.

nostram et circa eam ludendo saliebant, intellexerunt naute quod non multum a terrà remoti essemus. Sexta autem feria post festum
110 Omnium Sanctorum ad portum civitatis Acconensis applicuimus. Vniversa autem civitas obviam nobis occurrens cum gaudio magno nos suscepit; inveni autem civitatem Acconensem tanquam monstrum et beluam IX capita sibi adinvicem repugnantia habentem. Erant ibi Iacobite cum archiepiscopo suo, qui more Iudeorum
115 parvulos suos circumcidebant et nulli preter deo peccata sua in confessione aperiebant. Alii vero ex ipsis non circumcidebantur et sacerdotibus peccata sua confitebantur, sed uno digito tam isti quam illi signum crucis facientes se signabant. Feci autem sermonem ad eos in ecclesia sua per interpretem qui sciebat loqui lingua
120 Sarracenorum, ostendens eis quod, si circumcidebantur, Christus eis nichil proficiebat, et quod a lepra peccatorum per sacerdotes, quorum officium est *inter lepram et lepram* discernere, curandi essent, quemadmodum dicit dominus in evangelio: *ite et ostendite vos sacerdotibus*. Ipsi vero, verbo dei audito quod audire non con-
125 sueverant, valde per gratiam dei sunt compuncti ita, quod michi firmiter promiserunt quod de cetero se non circumciderent et confessiones suas sacerdotibus de cetero facerent. Quod autem se digito uno signabant quasi dissimulando sustinui propter unitatem

---

B*G.

108 intellexerant autem naute G. 113 IX] et B*. capita habentem sibi invicem (*cf. IV, 129*) repugnantia G, *cf. 64, 314*. 114 suo archiepiscopo B*. 115 suos *om.* G. deum G. 121 nichil eis B*. 126 firmiter *om.* B*, *cf. 153-154*.

109-110 le vendredi, 4 novembre 1216. 113 Le monstre de l'Apocalypse (12, 3) compte sept têtes; mais la leçon *IX capita* (voir l'apparat critique) est probablement correcte, cf. les groupes énumérés lignes 113 (*Iacobite*), 136 (*Suriani*), 155-156 (*Nestoriani, Georgiani* et *Armenii*), 158-163 (le groupe des 3 communautés italiennes), 169 (les *Poulains*), 176-179 (les *homines extranei*) et 179-183 (les stigmatisés *scribe et pharisei*). Lignes 186-187 reprennent l'image de la *monstruosa civitas*. Si on considérait les Italiens des lignes 158-163, non comme un seul groupe, mais comme trois groupes comme les hérétiques de 155-156, le chiffre *IX* serait une corruption pour *XI*. 117-118 Voir sur 127-133. 120-121 Cf. Galates 5, 2. 122-124 *Vulnera sua medicis spiritualibus abscondentes, quorum* (officium *om.* BO *et* MO) *est inter lepram et lepram* (Deut. 17, 8; le même texte est cité chez Greven, *sermo*, p. 43, 10) *discernere ... unde dominus in evangelio* (Luc. 17, 14) *ait leprosis: ostendite vos sacerdotibus* (BO, 1091, 56-1092, 2). 125-126 Cf. 153-154. 127-133 Cf. BO, 1092, 43-48: *Cum autem quererem quare uno tantum digito se signarent, respondebant quod unitate digiti unam divinam essentiam, tribus autem partibus Trinitatem designabant, in nomine Trinitatis et Unitatis signaculo crucis sese munientes. Greci tamen et Suriani eis* (= Iacobitis) *obiciebant quod propter unitatem nature quam in Christo credebant, uno tantum digito se signarent.*

Essentie et trinitatem Persone: nam in uno digito tres sunt partes,
130 sicut et nos tribus digitis in una manu coniunctis nos signamus in nomine Trinitatis et Vnitatis. Quidam autem michi postea secreto significavit quod ideo se uno digito signant, quod tantum in Christo unam esse voluntatem credunt, cum tamen alia sit voluntas divinitatis, alia humanitatis, quarum una alii subicitur,
135 sicut scriptum est in evangelio: *non sicut ego volo, sed sicut tu vis.* Inveni preterea Surianos homines, proditores, valde corruptos: nam inter Sarracenos enutriti | pravis eorum moribus conformabantur et secreta christianitatis quidam eorum precio subversi revelabant Sarracenis, et quia de pane fermentato more Grecorum con-
140 ficiunt sacramenta, adeo nostra contempnebant sacramenta, que de pane azimo conficimus, quod ea nolebant adorare vel capita ad illa inclinare cum a sacerdotibus nostris Corpus domini ferebatur infirmis, immo super altaria nostra celebrare nolebant nisi prius ea abluissent. Sacerdotes eorum, licet coronas haberent, more tamen
145 laicorum comas nutriebant et uxores more Grecorum ducebant, laicis autem suis tercias nuptias non concedebant. Filie eorum

R
V, 110

B*G.

129 sunt tres G. 131 in *om.* B*. tamen B*. michi *om.* G. 132 uno digito se G. 133 unam voluntatem esse G, *cf.* 401-402 *et* 431. 137 nutriti G. 137-138 confirmabantur, *ut videtur*, G. 142-143 infirmis ferebatur B*. 144 coronam habeant B*, *cf. BO,* 1095, *14* (*de Georgianis*): clerici eorum rotundas habent coronas, laici vero quadratas. 145 comam B*. 146 non contradicebant G.

---

135 Mathieu 26, 39. 136 *Suriani ... more Grecorum* (cf. 431) ... *dolosi ... proditores* (BO, 1089, 36-40). 137-138 *Secreta christianorum, pro modico pretio facti exploratores, nuntiant Sarracenis* (BO, 1089, 42-43). 139 more Grecorum] *Consuetudines autem et institutiones Grecorum in divinis officiis et in aliis spiritualibus Suriani penitus observant ... habent enim proprios episcopos Grecos* (BO, 1090, 12-16). 140-144 *Cum igitur tam Greci quam Suriani ... omnes Latinos excommunicatos reputent, altaria super que Latini celebraverunt divina, priusquam in ipsis celebrent, abluere consueverunt. Sacramentis etiam nostris nullam exhibent reverentiam nec assurgere volunt quando corpus domini ad visitandos infirmos nostri deferunt sacerdotes* (BO, 1090, 56-1091, 3). 144 Voir l'apparat critique. 146 *Quartas autem nuptias Suriani sicut et Greci non admittunt* (BO, 1091, 22) et Sanudo (Bongars, *Gesta dei per Francos*, II, 182, 17). Impossible de dire si, dans cette lettre, Jacques de Vitry ait vraiment écrit *tercias* et non *quartas*, comme plus tard dans l'*Historia Orientalis* (texte repris par Sanudo, *Secreta Fidelium Crucis*, vers 1321; cf. 157-158); cf. sur 253-254. Mais il est possible que les *deux* mots proviennent de notre auteur, la question de la trigamie et de la tétragamie successive étant assez compliquée, voir *Dictionnaire de théol. cath.*, II (1932), 879-883 (Valton); IX (1937), 2334-2335 (Jugie): „Les Coptes et les Syriens tolèrent les troisièmes noces, mais imposent une pénitence aux conjoints... Quant

semper velato capite incedebant ita, quod nullus poterat eas cuiusmodi essent agnoscere, non etiam sponsi earum donec eas ducerent et sibi matrimonio copularent. Ego vero ad mandatum episcopi
150 sui tam viros quam mulieres congregari feci et per interpretem *verbum vite* eis proposui; ipsi vero per gratiam dei adeo sunt compuncti, quod tam episcopus eorum quam subditi michi obedientiam fecerunt et quod secundum consilium meum viverent michi firmiter promiserunt. Quidam autem eorum, ut audivi, in die Epiphanie
155 singulis annis se baptizabant. Inveni autem Nestorianos, Georgianos et Armenos, et quia episcopos vel aliud capud non habebant nondum eos potui congregare. Armeni autem de pane azimo conficiunt, sed aquam cum vino in sacramento non ponunt. Inveni preterea homines ecclesie nostre non obedientes, sed auctoritate sua capellanos in
160 capellis suis ponebant et impune quod libebat faciebant et excommunicationis sententiam a nobis latam vilipendebant, videlicet commune Ianuensium et commune Pisanorum et commune Vene-

---

B*G.

147 semper velato capite] velato capite semper G. ita, quod, *cf. I, 13*] et G. eas *om.* G. 148 nec et G. eorum G. traducerent (*cf. Ruodlieb* V, *484*: Si libet uxorem traducere nobiliorem...) G. 150 congregare G. 151 proposui eis B*, *cf. 165, 310* (*sed cf. 223, cf. 219*). dei *om.* G. 156 et *om.* G. Armenos *scripsi coll.* 157; BO, 677, *7*; 1094, 18] Armenios B*G. aliud] aliquod G. 157 potui eos G. aggregare B*. 158 preterea] autem (*cf. 153*) B*, *cf. 136, 169, 176, adn. cr. ad 337.*

à la tétragamie, elle a toujours été interdite sauf chez les Ethiopiens", etc.: XIV (1941), 3065 (Ziadé): „La trigamie est considérée comme contraire aux lois ... mais la tétragamie est regardée comme exécrable: le mariage ainsi contracté est considéré comme nul". (146-)147 *Tam ipsas* (uxores) *quam filias suas linteaminibus undique ne videri possint involventes* (BO, 1039, 46-47). 151 Jean 6, 69. 153-154 Cf. 125-126. 157-158 *aquam autem cum vino in sacramento sanguinis Christi non ponunt* (BO, 1094, 39-40). — conficiunt] Sanudo (Bongars, *Gesta dei per Francos*, II), 181, 16. 158-163 Cf. la lettre du pape Honorius III *Abbatibus, prioribus, archipresbiteris, prepositis, presbiteris et aliis clericis communitatum Ianuensium, Venetorum et Pisanorum ac aliis ecclesiarum prelatis in civitate Acconensi morantibus* (mars 1221, Pressuti 3215, Archives du Vatican, 11: V, 491, f. 98r-99): *Sane venerabilis frater noster Acconensis episcopus suam ad nos querimoniam destinavit, quod quam plures vestrum denegantes sibi tamquam diocesano et ordinario suo debitam obedientiam et reverentiam exhibere ... hoc solum in excusationem frivolam pretendendo quod in civitate Acconensi tamquam hospites et exules commorantur, cum ipsos subesse alicui episcopo sit necesse...* Voir aussi l'appendice, p. 154-155. 160-161 *et spiritualis gladii iustitiam terribilem vilipendentes contemnebant* (BO, 1088, 4-5). 162-163 *illi autem qui de Ianuensium, Pisanorum et Venetorum preclaris civitatibus et de aliis*

ticorum. Hii autem nunquam vel raro sermonem dei audiebant, ad sermonem etiam meum dedignabantur venire; ego vero ad eos
165 ivi et eis ante domos suas in vico verbum dei proposui, qui devote verbum dei suscipientes signum crucis facta confessione receperunt et extunc verbum dei diebus dominicis extra civitatem, ubi predicare consuevi, *corde contrito et humiliato* libenter audierunt. Inveni preterea homines de terra natos qui *Pullani*, quod gallice
170 dicitur *Poulains*, nuncupantur: hii soli ad curam et ad iuriditionem meam se pertinere fatebantur, vix autem inveniebatur *unus de mille* qui matrimonium suum legitime vellet custodire: non enim fornicationem | credebant esse mortale peccatum. Erant autem delicate <e>nutriti a pueritia et carnis voluptatibus penitus

R XIV, 111

175 dediti, verbum autem dei audire non consueverant, sed quasi pro nichilo reputabant. Inveni preterea homines extraneos, qui pro diversis et immensis flagiciis de partibus suis quasi desperati confugerant, qui timore domini penitus abiecto nephariis operibus et perniciosis exemplis totam civitatem corrumpebant. Vltimum
180 et omnibus aliis deterius genus hominum et amplius obduratum

---

B*G.

163 nunquam vel raro *scripsi coll. IV, 98-99 et* Cranc. 94 (p. 44, 4): raro enim vel nunquam] nunquam B*, vel unquam vel raro G. dei verbum (*cf. 165, 166*) G. 165 de voto G. 167 dei] domini B*, *cf. adn. ad 183-184.* 169 Pullani, *cf. BO, 1088, 23-1089, 21, passim*] Pulani G. 170 Poulains] Polani B*G, *cf. p. 65.* 170-171 ad iuriditionem (*cf. p. 64*) et ad curam nostram (*om.* se) G. 171-172 autem unus de mille inveniebatur G, *cf. I, 42-43* 172 servare B*, *cf. 414-419.* 173 peccatum mortale G, *cf. BO, 1091, 24-25*: subdiaconatum sacrum ordinem non reputant. 174 <e>nutriti *scripsi coll. 137* (*cf. app. cr.*), *cf. BO, 1088, 31* (*de Pullanis*): in deliciis enutriti. 177-178 confugerunt B*.

Italie partibus in Syria commorantur, quorum patres et predecessores de Christi inimicis gloriose triumphantes immortale nomen et eternam coronam sibi acquisierunt, valde formidabiles existerent Sarracenis, si cessante invidia et insatiabili avaritia pugnas et immortales discordias inter se non haberent. Quoniam autem frequentius et libentius contra se invicem quam contra perfidam paganorum gentem preliantur, negotiationibus vero et mercimoniis plusquam Christi preliis implicantur, letificant et securos reddunt inimicos nostros, qui parentes eorum, viros pugnaces et strenuos, quondam maxime formidabant (BO, 1089, 21-30). 166 Ps. 50, 19. 169 de terra natos] des Francs créoles: BO, 1086, 14-15: *Pullani autem dicuntur qui post predictam terre sancte liberationem ex ea oriundi extiterunt*; BO, 1088, 31-35: *in deliciis enutriti, molles et effeminati, balneis plusquam preliis assueti, immunditie et luxurie dediti . . . quam desides et ignavos, quam pusillanimes et timidos contra Christi inimicos se exhibuerint, nemo dubitat qui quantum a Sarracenis parvipenduntur non ignorat.* 170 Poulains] Voir p. 65. iuriditionem] Voir p. 64. 171-172 Voir sur I, 42-43.

et excecatum *scribas et phariseos* inveni, qui tantum *lac et lanam*
de ovibus recipientes et de animabus non curantes verbo et exemplo
laicos corrumpebant: hii soli compunctis aliis et ad dominum
conversis verbo dei et omni bono resistebant *ut adimpleretur quod*
185 scriptum *est: publicani et meretrices precedent vos in regno celorum.*
Cum autem monstruosam civitatem ingressus fuissem et eam in-
numeris flagitiis et iniquitatibus repletam invenissem, mente val-
de confusus sum, *timor et tremor venerunt super me et contexerunt*
me tenebre, quia tam grave et *inportabile onus* susceperam et pro
190 his districto Iudici redditurus eram rationem. Fiebant autem sin-
gulis fere diebus et noctibus homicidia tam manifesta quam occulta:
viri de nocte suas iugulabant uxores cum eis displicerent, mulieres
ex antiqua consuetudine venenis et potionibus maritos suos ut
aliis nuberent perimebant. Erant in civitate homines toxicum et
195 venenum vendentes, vix aliquis alii se credebat, *et inimici hominis*
domestici eius. Quidam autem nobis confessus est quod quedam
animalia in domo sua nutriebat, ex quorum fimo potiones ita arti-
ficiose temperabat, quod qui vellet inimicum perimere inveniebat
pro voluntate sua unde posset eum occidere, ita tamen, quod
200 langueret per annum, si vellet, vel per mensem vel, si vellet mortem
accelerare, non viveret nisi per diem. Erat autem prostibulis
passim repleta civitas: nam quia meretrices carius hospitia quam
alii conducebant, non solum laici, sed persone ecclesiastice et
quidam regulares in publicis scortis hospitia sua per totam civita-
205 tem locabant. Quis enumerare posset omnia alterius Babilonis

---

B*G.

181 obcecatum B*. 182 *pr.* et *om.* G. 183 deum B*. 184 dei *scripsi*: domini B*G, *cf. comm.* 185 meretricii G. precedunt G 190 iudici] die iudicii G (*cf.* 414: in die iudicii), *sed cf.* Crane, *Exempla*, 42 (p. 17, 8) et 134, 23: districti iudicis. 190-191 fere singulis B*. 194-195 venenum et toxicum G, *cf. adn. cr. ad* 59. 197-198 ita potiones artifice B*. 202 civitas passim repleta B*. 205 omnia *om.* G.

---

181 cf. Mathieu 23, 13-15. 181-182 *Pastores semetipsos pascentes, lanam et lac ex ovibus querentes* (cf. Ezéchiel 34, 3), *de animabus autem non curantes* (BO, 1087, 27-28): cf. Crane, *Exempla*, 12, 3. 183-184 La correction s'impose: Jacques de Vitry, dans ses lettres, écrit toujours *gratia dei* et *verbum (sermo) dei*, mais *ad dominum converti* (I, 164-165; II, 216 (voir l'app. cr.), 244, 342-343, 445-446) ou *converti ad dominum* (II, 285, 396-397). 184-185 ut adimpleretur quod scriptum est] Mathieu 1, 21 (dictum), *et passim.* 185 Mathieu 21, 31. 188-189 Ps. 54, 6. 189 Mathieu 23, 4. 195-196 Mathieu 10, 36. 204 in ... scortis] voir p. 33, n. 1. 205 Babilonis] cf. VI, 281 et p. 63, n. 3.

R XIV, 112

flagicia, in qua christiani servis suis Sarracenis baptismum negabant, licet ipsi Sarraceni instanter et cum lacrimis postularent? Dicebant enim domini eorum, *in quorum consilio non veniat anima mea:* '*si isti christiani fuerint, non ita pro voluntate nostra eos angariare*
210 *poterimus*'. In tanta et tam miserabili confusione positus ad unicum confugi et singulare divine pietatis auxilium, *qui non vult mortem peccatoris, sed ut convertatur et vivat.* Et quoniam nescit tarda molimina spiritus sancti gratia, postquam verbum dei, *quod sanat universa*, libenter et cum desiderio audire ceperunt, ubi *super-*
215 *habundaverat iniquitas, superhabundavit et gratia:* modico enim tempore ita ad dominum conversi sunt, quod diebus et noctibus non cessabant ad me cum lacrimis et gemitibus currere et peccata sua cum cordis contritione michi confiteri. Ego vero signum sancte crucis fere omnibus dedi iniungens eis ut arma et alia ad succursum
220 sancte terre pertinentia prepararent, mulieribus vero crucesignatis iniunxi ut secundum facultates suas ad opus exercitus de pecunia sua darent: nichilominus tamen iniunxi eis mediocrem pro peccatis suis penitentiam. Audientes autem quidam ex Sarracenis qualiter dominus operaretur, *ad baptisma convolaverunt*, multi autem, ut
225 asserebant, admoniti in sompnis vel a domino Iesu Christo vel a beata Virgine aut ab aliquo sancto ut ab errore Machometi ad Christi gratiam se transferrent. Dicebat enim eis, ut asserunt, beata Virgo, quod nisi christiani fierent, in proximo advenientibus christianis et victoriam optinentibus misera morte perirent. Do-
230 minus autem occasione Acconensis civitatis *aperuit michi hostium*

B*G.

206 supplicia G. sarracenis servis (*om.* suis) G. 208 enim *om.* B*. 210 et] et in B* positus *om.* G. 211 et *om.* G. 212 peccatorum ... convertantur et vivant G. tarda *om.* G. 214 libenter universa G. ubi] ut ubi G. 214-215 superhabundavit ... superhabundat B*. 215 enim] autem G. 216 conversi sunt ad dominum G. 218 michi *om.* B*. 219 eis *om.* B*, *cf. 222.* succurrendum G, *cf. I, 170; II, 249 et adn. cr. ad 242.* 221 secundum] per G. 223 autem *om.* B*. 224 baptisma] baptāna B*, *cf. comm.* 225 admoniti] qui moniti sunt B*. *alt.* a *om.* G. 226 aut ab] vel G. ut *om.* G. 227 enim] autem B*. 229 morte misera B*. 230 Acconensis *om.* B*

208-209 Genèse 49, 6. 210-211 Cf. I, 4-5. 211-212 Ezéchiel 33, 11. 212-213 tarda molimina] cf. Alain de Lille, *Anticlaudianus*, I, 224: *nec morbi veteres molimina tarda requirunt.* 213-214 Sagesse 16, 12: (*sermo*) *qui sanat omnia.* 214-215 Rom. 5, 20 (*abundavit ... superabundavit*). 224 *ad baptismum convolavit* Sulpice-Sévère, *Vie de saint Martin*, III, 5 (*CSEL*, I, p. 114, 1). 230 occasione Acconensis civitatis] cf. *occasione symboli* dans la note sur 431-432. 230-231 I Cor. 16, 9; cf. 288-289.

magnum, nam residuum terre nostre, in qua christiani habitant, ad exemplum Acconensium desiderant verbum divine predicationis audire et recepto signo crucis ad defensionem terre sancte se et sua domino pro peccatis suis offerre, videlicet Tyrus et Baruth et Gibelet
235 et opidum quod dicitur Crac et Tortose et Margath et Album Castrum et Tripolis et Antiochia et insula Cypri, habens archiepiscopatum cum tribus episcopatibus, preterea Iaphe et Cesarea:
R XIV, 113 hec sunt | civitates et opida que dominus nobis reliquit, et valde indigent predicatione. Sarraceni autem adventum peregrinorum
240 valde metuunt, nos vero cum desiderio et exultatione expectamus *auxilium de sancto* et fidelium peregrinorum adventum oportunum ad succursum terre sancte, ut *hereditas domini* ab impiis liberetur et in partibus orientalibus ecclesia dei reparetur et Sarraceni qui adhuc timore aliorum detinentur, ad dominum secure convertantur
245 et christiani nostri qui in partibus Orientis sub paganorum dominio comprimuntur, liberentur. Credo autem, sicut multorum relatione didici, quod fere tot sunt christiani inter Sarracenos, quot sunt Sarraceni, qui cotidie cum lacrimis dei <ex>pectant auxilium et peregrinorum succursum. Ego vero terram promissionis, *terram*
250 *desiderabilem* et sanctam, nondum intravi, licet civitas Acras non distet a loco habitationis Iesu Christi, ubi ipse conceptus et nutritus fuit et angelus Gabriel Virgini gaudium singulare adnunciavit,

231-247: B*G; 247-252: G.

233 crucis signo G, *cf. adn. cr. ad 100*. terre sicut se, ita sua G, *cf. 297; (III, 42); V, 105, et* Crane, *Exempla*, 133 (p. 60, 10): crucesignatorum qui se et sua dederunt domino. 234 suis *om.* B*. *pr.* et *om.* G. 235 Crach G. 236-237 episcopatum G. 237 preterea *om.* B*. 238 nobis dominus G. 240 vero] autem (*cf. 79-80*) B*. 241 et fidelium ... adventum oportunum *scripsi*] et de (de *om.* B*) fidelium ... adventu (-tu G) op(p)ortuno B*G. 242 succurrendum (*cf. adn. cr. ad 219*) G sancte terre B*, *cf 5, 278; sed cf. I, 170; II, 233, 279; V, 102-103*. 244 aliorum *om.* B*. tenentur G. secure *om.* G. 247 Sarra]hinc desinit B*. 248 <ex>pectant *correxi coll. 240-241, 257-258, 376; VI, 179; VII, 150-151*] spectant G. 250 *ante* Acras *nescio quid del* G.

231-232 residuum ... desiderant. cf. 234-238] même construction I, 117; V, 131 et 244-245; VII, 209-210. 236-237 archiepiscopatum] Nicosie. 237 tribus episcopatibus] Famagouste, Limassol et Paphos. 241 Ps. 19, 3. 242 hereditas domini] Ps. 126, 3. 246-248 *Inter Sarracenos non pauciores, ut dicitur, sunt christiani infidelibus coniuncti et eorum dominationi subiecti, quam sint ipsi Sarraceni* (BO, 1093, 3-5); cf. 397-398. 249-250 Ps. 105, 24; Jérémie 3,19. 250 civitas Acras] cf. le titre du ch. 25 du second livre de Foucher de Chartres: *De captione urbis Accon, que vulgo Acra dicitur.*

scilicet a Nazareth, nisi per octo miliaria, et a monte Carmeli, ubi Elyas propheta vitam duxit heremiticam, nisi per tria miliaria,
255 quem respicio cum suspiriis quociens fenestram domus mee aperio.

Propter metum Sarracenorum nondum loca sancta visitavi, sed quasi habens aquam ad mentum nondum bibi, sed divinum expecto subsidium, quod mittet nobis in tempore oportuno. Sicut mentes nostras vinculum caritatis Christi coniunxit, ita nomina nostra
260 litteris presentibus coniungere et vobis communiter scribere volui, ut sit vobis commune gaudium de profectu meo et de meis defectibus communis passio. Vos autem de statu vestro et de hiis, quibus anima mea aliquam recipiat consolationem, rescribatis. Ego vero vitam meam, donec veniat exercitus, sic ordinavi quod, summo
265 diluculo missa celebrata, peccatores recipio usque post meridiem, demum, sumpto cibo cum magna difficultate — meum appetitum manducandi et bibendi amisi ex quo terram ultramarinam ingressus sum — infirmos per civitatem oportet me visitare usque ad nonam vel vesperas. Post hoc vero causas orphanorum et viduarum
270 et aliorum, quibus iniustitia *** dicere non valeo, cum tumultu et gravamine magno recipio ita, quod dulce tempus lectionis non habeo nisi ad missam vel ad matutinas vel quando aliquod modicum spacium me abscondo. Tempus autem orationis et considerationis quiete noctis tempori reservavi, quandoque tamen ita fessus sum
R XIV, 114 — 275 vel | turbatus, quod nec orationi nec proprie infirmitatis considerationi possum vacare. Vos autem, carissimi, orate pro me, ut deus det michi humilitatem veram et pacientiam tolerandi labores ad salutem anime mee et subsidium sancte terre, ut pius dominus tenebras orientales illuminare dignetur et negocium terre sancte pro-
280 moveat et michi et omnibus amicis meis vitam bonam finemque beatum <concedat>, ut sic per bona temporalia transeamus, ut non amittamus eterna.

G.

256 visitati G, *corr.* St. 270 *exciderunt quaedam*: quibus iniustitia <hominum tanta mala operatur quanta> dicere non valeo *vel tale quid supplaverim.* 281 <concedat> *scripsi.*

253-254 (Il y a deux *montes Carmeli*): *hic autem, in quo conversatus est Elias situs est in maritimis, distans ab Accon IV* (*quatuor* MO) *miliaribus* (BO 1075, 14-15). voir sur 146, et p. 4, n. 6; le texte de Guillaume de Tyr, s souvent la source de Jacques de Vitry, ne mentionne pas de distance 258-259 Cf. 11-12. 278-279 Cf. II Rois 22, 29; I Cor. 4, 5; voir 448 et VI 229. 281-282 Cf. VII[c], 11-12 (cf. II Cor. 4, 18). 282-283 Voir p. 52 (II)

Postquam autem per gratiam dei toto tempore hiemali *verbum*
dei Acconensibus *seminavi* et copiosa multitudo corrupte admodum
285 civitatis conversa est ad dominum, audientes alie civitates quo-
modo dominus operabatur, exemplo Acconensium incitati fre-
quenter nuntios ad me mittebant supplicantes ut ipsos caritatis
intuitu visitarem. Ego vero intelligens *hostium magnum michi esse*
apertum, imminente tempore Quadragesimali, licet valde difficilis
290 et periculosa esset via et per terram Sarracenorum et maxime et
per terram eorum qui dicuntur *Assasi* oporteret me transire, de
domini confidens auxilio, multis dolentibus et flentibus iter arripui
et post veniens in civitatem Tyrensem cum gaudio et devotione
tam a clero quam a populo receptus sum, quibus verbum dei diebus
295 aliquot predicavi. *Semen* autem per gratiam dei *cecidit in terram*
bonam: fere enim omnes, facta peccatorum confessione, signo crucis
recepto se et sua domino optulerunt. Vidi autem puteum aquarum
super quem dicitur quod dominus requievit cum veniret ad partes
Tyri et Sydonis, de quo ad litteram dicit Salomon in Canticis:
300 *puteus aquarum viventium, que fluunt impetu de Lybano.* Mons autem
Lybanus non longe remotus est a loco illo, et <per> subterraneos
meatus aque copiose usque ad locum illum defluentes constituunt
puteum magnum quasi parvum lacum, qui non habet, ut credo,
sibi similem in toto mundo. Milites vero Tyrenses armati condu-
305 xerunt me usque ad Sareptam Sydoniorum, ubi per noctem moram
feci predicans christianis, quos ibi inveni, verbum dei et ostendens,
qualiter inter Sarracenos commendabiliter deberent conversari,
ne nomen domini propter ipsos *blasphemaretur* inter gentes: ipsi enim

---

G.

285-286 quomodo St] quarum G. 301 <per> *scripsi coll. comm. et V, 284*

283-284 Marc 4, 13. 285-286 Voir p. 33, n. 1. 288-289 I Cor. 16, 9; cf. 230-231. 290 et maxime et] voir p. 31, n. 1. 291 Assasi] Voir p. 64; *Marco Polo, La description du monde*, texte intégral en français moderne avec introduction et notes par Louis Hambis, Paris, 1955, p. 364-365. Cf. 347, 367, 408. 295-296 Marc 4, 8. 297-300 *In cuius territorio in loco aliquantulum edito est fons sive puteus, supra quem fessus ex itinere dicitur quievisse dominus* (cf. IV, 45-46) *cum transiret per fines Sidonis et Tyri ... hunc Salomon in Canticis 'puteum aquarum viventium' appellat* (BO, 1071, 24-28). 298-299 Marc 7, 24. 300 Cantique des Cantiques 4, 15. 300-304 *Ad pedes autem Libani montis in partibus illis oritur fons amenissimus aquas habens limpidissimas, que per quosdam subterraneos meatus 'fluunt impetu de Libano' omnes hortos regionis copiose irrigantes. Hunc dicunt esse 'fontem hortorum'* (cf. 339), *de quo in Canticis facit Salomon mentionem* (BO, 1069, 37-40). 308 I Tim. 6, 1.

in civitate Sarracenorum valde erant corrupti, et ego fraudem Ma-
310 chometi et execrabilem eius doctrinam pro posse meo eis detexi eo,
quod quidam eorum quasi inter legem christianorum et Sarraceno-
rum hesitantes claudicabant. Visitavi autem modicam capellam
in agris extra civitatem derelictam, ubi Elyas venit ad viduam in
Sarepta ligna colligentem. Inde vero transiturus | Berithum, per (R XIV, 113)
315 civitatem Sydoniensem, quam tenent Sarraceni, premisi nuntios,
ut milites civitatis michi obviam venirent, qui michi occurrentes
cum multitudine armatorum per terram Sarracenorum me et meos
<con>duxerunt. Archiepiscopus autem Surianorum, qui habitabat
Sydonem inter Sarracenos, extra civitatem michi pedes occurrit;
320 transivi autem per locum ubi mulier Cananea post dominum
clamans <accurrit> et *de micis que cadunt de mensa dominorum
suorum catulos edere* cum omni humilitate asseruit. Ad pedem
autem montis Lybani reliqui duos fontes, scilicet Ior et Dan, unde
Iordanus fluvius habet initium; et inde nomen sortitus est Iordanus.
325 De monte autem Lybano, quando maximus est in estate calor,
affertur nix et sub palea custoditur et care venditur ut vino com-
misceatur ad temperandum et reddat frigidum vinum. Postquam
autem aliquot diebus moram feci in civitate Berithi et eis verbum
dei predicavi, omnibus signatis tam mulieribus quam viris et etiam
330 parvulis, signato domino civitatis cum militibus eius, transivi ad
civitatem Bibli[i], de quo dicitur in libro Regum quod senes Biblii
transmittebant ligna de Lybano ad edificandum templum domini,
qui cum gaudio magno a minimo usque ad maximum me recipientes,

---

G.

314 *ante* Berithum, G *del.* in. 318 <con>duxerunt *scripsi coll.* *304-305 et 353-354* 321 <accurrit> *scripsi*] *cf.* *319:* occurrit 331 Bibli[i] *correxi*] *cf.* senes Biblii *et II, 342.*

312-314 *Civitas Sarepta, in cuius introitu locutus est Helias propheta ad viduam mulierem ligna colligentem ... in eodem loco iuxta portam civitatis modicam capellam fecerunt christiani* (BO, 1072, 26-29). 313-314 III Rois 17, 10. 321-322 Mathieu 15, 27. 325-327 *in toto autem estivo tempore et maxime in diebus canicularibus ferventissimis et in mense Augusti, nix frigidissima a monte Libano per duas vel plures dietas defertur, ut vino commixta tanquam glaciem ipsum frigidum reddat. Conservantur autem predicte nives sub palea, ne fervore solis seu calore aeris dissolvantur* (BO, 1098, 5-9). *Vino enim non temperato in partibus illis nemo commode valet uti* (BO, 1094, 43-44). Rappelons à ce propos qu'en 1191, lors du siège de Saint-Jean-d'Acre, Richard Coeur de Lion étant malade, Saladin lui fit gracieusement apporter des sorbets à la neige du Liban (Grousset, *Histoire des Croisades*, III, p. 61). 331 ...*et iterum in libro I Regum* 5 (= III Rois 5, 18) *sic invenitur: Porro Biblii preparaverunt ligna et lapides ad edificandam domum domini* (BO, 1072, 34-36).

audito verbo dei compuncti sunt ad penitentiam. Erat autem
335 civitas illa valde corrupta et episcopus loci pauperrimus, sed liberalis et humilis, qui cum domino civitatis et universo populo signum crucis recepit. Inde vero transiturus Tripolim reperi vineas que bis in anno vindemeantur, et fontem irrigantem multitudinem ortorum, de quo dicitur in Canticis *fons ortorum* ad litteram. Cum autem
340 appropinquassem Tripolim, comes civitatis et princeps Antiochie cum multis militibus obviam michi venit; in qua civitate oportuit me pugnare *ad bestias Ephesi[i]*. Videns autem quod ad dominum universaliter converterentur, in eadem civitate moram per mensem feci, et quia communis lingua civitatis erat lingua sarra-
345 cena, per interpretes frequenter predicabam et confessiones audiebam. Inde vero transivi ad opidum quod dicitur Crac, qui coniunctus est terre eorum qui *Assasi* nuncupantur: ubique autem occurrebant michi cum magna devotione viri et mulieres et parvuli. Cum autem non auderemus premittere nuncios, mittebamus columbas ferentes
350 litteras nostras sub alis, ut homines civitatis nobis occurrerent, propter metum paganorum. Inde vero venimus ad opidum quoddam Templariorum, quod dicitur Castrum Album. Fratres autem milicie Templi, postquam ibi per dies aliquot verbum dei predicavi, con- R duxerunt me cum manu armata usque ad civitatem que dicitur
XIV, 116 355 Antaradus, sic dictam eo, quod sita sit ante insulam Aradi, in qua

G.

342 Ephesi[i] St. 344 lingua St; ligna (? r.) G. 346 Crac, qui *scripsi coll.* *335*] Cracum qui G, Cracum, qui <locus> St; *cf. BO, 1074, 34*: ...Petram Deserti, cuius nomen modernum est Crac (*de Moab*) compunctus, *corr.* St.

337-339 *In partibus etiam illis sunt vinee, que bis in anno vindemiantur* (BO, 1069, 42-43). 339 Cant. des Cant. 4, 15. 340 comes ... Antiochie] Bohémond IV (1201-1233). 341-342 *Pauci vel nulli inventi sunt in partibus illis prelati qui ad bestias Ephesi pugnarent* (I Cor. 15, 32: BO, 1063, 52-53). 344-345 lingua sarracena] cf. 425; VII, 335; BO, 1094, 17: *vulgari idiomate sarraceno;* mais cf. VII, 537. 346 Le Crac des Chevaliers. 347 Assasi] Voir sur 291. 349-350 Cf. P. Martell, *Zur Geschichte der Brieftaube*, dans le *Zoologischer Anzeiger*, LXXIII (1927), page 309-310(314); H. Peltier, *Nuntius pennigero volatu. Pigeons voyageurs*, dans RMAL, III (1947), p. 156-158. 355-364 Voir BO, 1072, 41-55: ..*in qua beatus Petrus apostolus matrem beati Clementis mendicantem invenit et ad fidem conversam filio restituit, sicut in Itinerario Clementis legimus* (il s'agit des *Recognitiones* traduites par Rufin, cf. Siegmund, *o.c.* (p. 36, n. 3), p. 58-61) *in quo etiam fit mentio de duabus columnis vitreis ... Inde Anteradensis civitas, sic dicta quasi ante Arradum sita: vulgari autem appellatione hodie dicitur Tortosa, in qua beatus Petrus ... cum a partibus Hierosolimitanis transiret in Antiochiam, in honore beate Virginis Marie modicam fundavit ecclesiolam ... que*

columne quondam erant vitre<e>, in qua beatus Petrus invenit nobilem mulierem, matrem beati Clementis, que mendicabat in insula illa, et eam filio suo reddidit, qui eam per multos annos amiserat. Est autem in civitate illa que<dam> modica et sanctis-
360 sima capella, quam beatus Petrus, dum transiret Antiochiam, in honore beate Virginis edificavit, que fuit prima ecclesia in honore beate Virginis, ut dicitur, edificata, in qua dominus tot miracula facit, quod non solum christiani, sed et etiam Sarraceni ad eam causa peregrinationis veniunt. In qua ecclesia postquam missam
365 celebravi, facto sermone ad populum duos Sarracenos baptizavi. Cum autem ad hospitium reversus fuissem quidam ex illis, qui dicuntur *Assasi*, <qui> me secutus fuerat per mare et terras ut me interficeret, ab conversis ad fidem manifestatus captus est et incarceratus, et ita dominus de manibus eius me liberavit. Inde
370 vero transivi cum manu armata in civitatem quandam habentem opidum munitissimum, quod castrum dicitur Margat, in quo cum per dies aliquot verbum dei predicassem, proposueram per mare transire in Antiochiam: dominus enim civitatis cum clero et populo et magno desiderio adventum meum prestolabatur. Patriarcha vero
375 Ierosolimitanus misit michi litteras ut reverterer eo, quod passagium imminebat et expectabamus adventum peregrinorum. Inde vero reversus Tripolim proposui navigare Cyprum. Galeam armari feci: rex enim Cypri misit michi litteras suas cum nuntiis suis. Expectavi autem per dies quindecim et ventum ydoneum habere non potui;
380 audiens autem quod quidam de heremitis Nigri Montis, qui grece dicitur *Nero*, transisset in Cyprum habens crucem in carne im-

---

G.

356 vitre<e> St. 359 que<dam> *correxi*. 367 <qui> St.

---

usque hodie in magno habetur honore ... eo, quod beata Virgo in illo loco ... multa operatur miracula ... Dicitur autem a multis quod inter omnes beate Marie ecclesias ista fuerit prima. Non solum autem a christianis, sed etiam a Sarracenis in magna habetur reverentia, qui filios suos plerumque ad prefatam ecclesiam adducunt baptisandos ut diutius vivant (cf. 427-429) *vel ut corporalem recuperent sanitatem*. Un autre sanctuaire vénéré par chrétiens et musulmans est mentionné IV, 45-47 et dans un sermon, Greven, *Exempla*, 87 (p. 53, 9-11) (= Frenken, *Exempla*, 83, p. 139). 367 Assasi] Voir sur 291. 374-375 patriarcha] Raoul, v. sur III, 38. 378(383-384) rex Cypri] Hugues I, voir sur III, 6. 380-381 *Habet autem* (principatus Antiochenus) *a septentrionali parte montem quendam, qui vulgariter Montana Nigra dicitur, in quo sunt multi eremite ... et quoniam fontibus et rivis totus est irriguus, mons Nero, id est aquosus, nuncupatur: neros enim grece, aqua latine. Simplices autem et laici Nero* (MO, *om.* BO) *noire, id est nigra, exponunt in vulgari sermone* (BO, 1069, 25-30).

pressam, quam beata Virgo, ut asserebat, suo pectori impresserat
et eum in Cyprum miserat, nolui illic ire, nam heremita ille regem
et clerum et populum crucesignaverat, et ideo evadens per gratiam
385 dei pericula mortis plurima reversus <sum> ad civitatem nostram.
Acconenses autem absentiam meam moleste ferentes frequenter de
civitate exibant dum diceretur eis quod ego reverti deberem
Cum autem per dies plures michi obviam exirent, postquam certum
nuntium de adventu meo acceperunt cum mulieribus et parvulis
390 michi obviam occurrerunt. Nunc autem in civitate Acconensi
frequenter ad mare respicio cum lacrimis et desiderio magno expectans adventum peregrinorum: credo enim quod, si IIII milia
militum armatorum haberemus, per gratiam dei qui nobis resistere valeret non inveniremus. Est enim magna discordia inter
395 Sarracenos et multi, pro certo errorem suum cognoscentes, si auderent et haberent auxilium christianorum, converterentur ad | R XIV, 117
dominum. Credo autem quod christiani habitantes inter Sarracenos
plures sunt numero quam Sarraceni. Multi autem reges christiani
habitantes in partibus Orientis usque in terram presbyteri Iohannis,
400 audientes adventum crucesignatorum, ut eis veniant in auxilium
movent guerram cum Sarracenis. Sarraceni autem, quia multas et
varias habent sectas, valde inter se sunt divisi: quidam autem legem
Machometi tenent, alii parvipendent, unde contra mandata Machometi vinum bibunt <et> carnes porcinas comedunt, nec se more
405 aliorum Sarracenorum circumcidunt. Vetulus Montanus abbas est
religionis *Fratrum Cutellorum*, qui non tenent aliam legem nisi
quod credunt per obedientiam salvi fieri, quicquid eis precipiatur,
et hii dicuntur Assasi, qui occidunt tam christianos quam Sarracenos. Sunt alii Sarraceni, qui dicuntur *occulte legis*: legem enim quam
410 tenent nulli, nisi filiis suis quando iam sunt provecte etatis, revelant,
ita quod uxores eorum quod mariti earum credunt ignorant, qui
prius permittunt se interfici quam alicui nisi filiis suis secreta legis

G.

383 <sum> St. 393 militum *scripsi*] e milit G, e militibus StR. 395-396 audirent G, *corr.* St. 404 <et> *scripsi, cf. adn. cr. ad I, 12.* 405 Montanus *correxi*] montane G. 406 *cf. p. 64.*] 411 credant G, *corr.* St.

383 illic] Voir p. 33, n. 1. 397-398 Cf. 246-248. 405-409 Cf. Ch. E. Nowell, *The Old Man of the Mountain*, dans *Speculum*, XXII (1947), p. 497-519; voir sur 291 (cf. 347, 367), et BO, 1062, 43-46: *preficiunt autem sibi capitaneum ... quem ipsi Veterem seu Senem appellant ... Primus autem et summus infauste religionis eorum abbas*, etc.

sue manifestant. Sunt alii miserabiles et sine aliqua lege homines
qui dicunt quod in die iudicii, quando dominus queret: *quare non*
415 *servastis legem Iudeorum?* respondebunt: *'domine, non tenebamur*
eam servare, quia non eam suscepimus nec Iudei fuimus', — *quar*
non custodistis legem christianorum? *'domine, non tenebamur, qui*
christiani non fuimus, similiter nec legem Sarracenorum debuimu
servare, quia non fuimus Sarraceni,' et ita per privationem aliorur
420 in die iudicii credunt evadere, cum tamen dicat dominus: *qui no*
est mecum, contra me est. Inveni alios qui dicunt animas mori cur
corpore, unde qui<d>libet agunt tanquam bestie pro sua pessim
voluntate. Quia vero in terra Sarracenorum predicare non poteram
in <con>finio terre christianorum et Sarracenorum quando pote
425 ram predicabam et per litteras, quas eis transmittebam in sarracen
scriptas, errores eorum et legis nostre veritatem eis ostendebam
Multi autem ex Sarracenis filios suos per sacerdotes Surianoru
baptizari faciebant hac sola intentione, ut diutius viverent. Inte
illos autem, qui christiano nomine censentur, multos inveni qui e
430 defectu sane doctrine in fide nostra maxime errant, qui principalit
in quatuor partes sunt divisi. *Suriani* autem sicut Greci Spiritu
sanctum a solo Patre procedere dicunt, *Nestoriani* vero in Christ
duas personas asserunt, sicut in eo sunt due nature et due voluntate
unde, licet Christus sit deus, dicunt Mariam fuisse matrem Christ
435 non tamen dei; et tales erant omnes qui sunt in terra presbyte
Iohannis, sicut dixit michi quidam mercator | cum nuper in
venerat, qui omnes de novo facti sunt *Iacobite,* qui dicunt una
tantum esse in Christo naturam et unam voluntatem sicut una
personam. Humana enim natura absorpta est, ut falso asseru
440 a divina, sicut gutta aque, que funditur in vino, a vino absorbet
Patriarcha vero *Maronitarum* cum archiepiscopis et episcopis su
et populo Maronitarum sibi subdito relictis omnibus erroribu
obedientie sancte et catholice Romane ecclesie se subdidit et mul

R
XIV, 118

G.

422 qui<d>libet *correxi.* 424 <con>finio St. 431 sicut *corr.:* sunt G. cf. *comm.* 435-436 Iohannis presbyteri Iohannis, *sed pr.* Iohan *del.* G, *cf. adn. cr. ad I, 98.* 442-443 erroribus catholice et obedien sancte Romane ecclesie G, *corr.* St.

420-421 Mathieu 12, 30. 425 cf. 344-345. 427-428 voir sur 355-3 (p. 94) 431-432 *Unde tam Greci quam Suriani occasione symboli* [cf. 23 *quod in Nicena synodo composuerunt sancti patres, miserabiliter dece negant a Filio procedere Spiritum sanctum* (BO, 1090, 37-39).

tam de hereticis in partibus orientalibus commanentibus quam de
445 Sarracenis, si sanam doctrinam audirent, facile, ut credo, ad dominum converterentur. Vos autem orate dominum, qui *nichil odit eorum que fecit* et *omnes homines vult ad agnitionem veritatis venire*, ut ipse in diebus istis orientales tenebras illuminare dignetur. Amen.

[b]

Orate pro me et pro meis et
450 specialiter pro capellano meo, fidelissimo socio meo, Iohanne videlicet de Cameraco.

G.

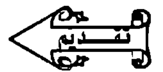
444 tam commanentibus] tum cum manentibus G, *corr.* St.

446 Cf. I, 192-193; IV, 208; VI, 230. 446-447 Sagesse 11, 25.
447 I Tim. 2, 4. 448 Cf. 278-279.

الخطاب الثاني



تم كتابة الخطاب الثانى على مرحلتين الأولى فى ٤ نوفمبر عام ١٢١٦م والجزء الثانى فى فبراير عام ١٢١٧م بعد أن وصل إلى الشرق فى سوريا



كتب جاك دفيترى الخطاب الثانى بعد ما رأى أن قوات الجيش الصليبى فى دمياط لم تحقق الأهداف المرجوة منها، قبل أن يغادر "عكا" وكان الجزء الأول منه قد كتبه فى نوفمبر ١٢١٦م والجزء الثانى قد كتبه فى فبراير ١٢١٧ شارحاً فيهما الأوضاع التى تعرض لها اللاتين أو الجيش الصليبى فى دمياط ومبيناً أيضاً أسلوب المسلمين فى القتال التى فوجئوا بها فى بلاد الشام عند محاصرة قلعة الطور، وطالباً من البابا أن يدعو له لتكون دعواه "من وجهة نظره" سنداً لأخواته فى تحقيق النصر النهائى.

ترجمة النص إلى العربية :

📖 رسالة إلى البابا بخصوص السيد المسيح وشرح أحوال الرحلة فى البحار 📖

أيها الأحباء فى المسيح ما كان يعزينا وجود الأصدقاء الممتلئين من الروح مثل دومنى ليباروى والذى كان مرسلاً للكنيسة. وهؤلاء الأصدقاء هم الذين جعلوا الوقت يمر بيسر وسهولة رغم كل الآلام والمصاعب ... ورغم الخطر الذى كان يحدق بنا. وأود أن أكتب إليكم هذا الكلام .. إننى فى غاية الشوق لرؤياكم، وأننى مشتاق إليكم كثيراً.. وذلك كى نتعاون سوياً فى الغنى الروحى والذى سوف نتمتع به جميعاً فى المجد الأبدى .. واعتقد أن هذا طمع مقدس.

وبين هذا الخطر ونحن نبحث عن جزيرة نلجأ إليها كى ننجو من هذا الموقف، لابد أن يتذكر المرء خطاياه ويبكى عليها بشدة، ويتذكر المرء أنه مُقصر فى حق الرب وأنه لم يوف الرب حقه، لقد كان البحارة يبحثون عن طريق يصلون به إلى جزيرة مثل سردينيا .. أو أن تأتى سفينة أفضل حالاً من سفينتنا لتقلنا .. وهنا لابد أن أشير إلى أمر هام .. وهو أن وجود خطر مشترك يؤدى إلى تفجير وظهور الطاقات الروحية من الجميع، ويظهر تعاون النفوس المشتركة "البشرية" على حقيقتها سواء أكان من البحارة أو الركاب ... حقاً لقد كانت الرياح قوية .. وكانت تسير فى عكس اتجاهنا بحيث أنها كانت تعوق حركتنا .. وكان الوقت لا يساعدنا .. لكن هناك الرب وهو الشئ الوحيد الذى نستطيع أن نجده فى كل زمان ومكان .. إن الرب بمثابة الرُبان الذى يقود سفينة الحياة إلى مرفأ الأمان فلا نبالى بالمخاطر سواء أتت من اليمين أو الشمال.

وعندما تشتد علينا وطأة الآلام والمخاطر، فإن التضرع والصلاة هما الملاذ لنا، وذلك عندما نشعر أننا صرنا عداد الموتى نتجه نحو الهاوية. ونكاد لا ندرى إلى أين نحن ذاهبون.

لقد استمرت العاصفة مدة يومين متواصلين .. كنا نعيش فيهما كأننا موتى، تكاد السفينة أن تتطاير من هول وشدة الرياح وقوة أمواج البحر، وهنا لا نملك سوى الدموع والاعتراف بالخطايا والذنوب الثقيلة التى تنوء بها أكتافنا. إلى أين الاتجاه.. إلى جهة اليمين حيث تقع مالطة حيث كان بولس فى محنة مشابهة كما جاء فى سفر أعمال الرسل الإصحاح السابع والعشرين عندما تحطمت به سفينته .. أم إلى جهة اليسار حيث تقع صقلية وكريت؟ ...

كان هذا هو اليوم السادس بعد عيد كل القديسين ويجدر بنا هنا أن نذكر أن الابتهالات كانت من كل الأساقفة المتواجدون معنا. ومن كل شفاه ومن كل واحد إلى آخر وأن كل الابتهالات كانت تطلب العون من الرب.

وكما كان الرب يسوع فى أيام تجسده .. يوضح لنا حقيقة التثليث والتوحيد .. حيث يضم التثليث الآب والابن والروح القدس ، والتوحيد يعنى إله واحد، وأنه أسلم نفسه لكي يصلب عوضاً عن البشرية كلها، وقال أثناء إقدامه على الصليب .. ليست مشيئتى أنا، بل مشيئتك أيها الآب". هكذا كان الأمر أمامنا، فلابد أن تخضع إرادتنا لمشيئة الرب ونحن نتحد مع المسيح من خلال المشاركة فى الأسرار الكنسية "الخبز المقدس والدم المقدس" فكأن المسيح هو فينا يعطينا القدرة على مواجهة مثل هذه الظروف القاسية. نعم هناك فروق بين الطوائف المسيحية من جهة الخبز "أهو بخميرة أم يكون كفطير" لكن هذا لا يعنى

الشئ الكثير بالنسبة لجوهر الفكرة، وهـى المشاركة فى المسيح .. وقد أرسل المسيح للرسل، ومن بعدهم الأساقفة لنشر هذا الإيمان، وأن يقوموا بتعميد الناس الذين يدخلون إلى حظيرة الإيمان، ولكن يجب أن نعلم فى حالة من يستخدمونه خبزاً بلا خميرة ولا يمزجون الماء مع الخمر فى التناول من جسد المسيح.

ولنعد إلى ما كان يعظه الرب يسوع بشأن ملكوت السموات، فعلى سبيل المثال، العظة التى ألقاها على الجبل والتى نهى فيها عن الزنا والقتل والخوف من الأحكام، فعلينا أن لا نخشى من الأحكام فى قول الحق والخوف الحقيقى، يجب أن يكون من الرب وليس من الناس لأن الله قادر على أن يُهلك الجسد والنفس معاً .. بينما الحاكم لا يُهلك سوى الجسد فقط .

وكان الكتبة والفارسيون هم المعارضون الرئيسون للرب يسوع أثناء وجوده على الأرض، ولكنه لم يأبه بهم ..وكان يتهمهم صراحة بالنفاق والرياء وأنهم قبور بيضاء من الخارج ومن الداخل عظام نخرة وأنهم نجاسة.

وكما نجد فى مزامير داوود النبى "لا اخاف بشراً لانك انت معى .. عصاك وعكازك هما يعازيننى".

ويجب أخيراً .. أيها الأخوة .. أن نهتم بإضافة وزيادة من يعملون فى خدمة الرب، ولا نسلك سلوك الأعداء، فإنه "كل من لايحب اخاه فهو قاتل نفس"، كما يقول يوحنا الرسول فى رسالته الأولى.

إن المعمودية من أهم ركائز وأعمدة المسيحية، ولكن كان هناك من ينكر أهميتها وقيمتها .. ولكننا إذا نظرنا إليها على أنها تعنى الاعتراف بالرب وعمله الفدائى لأدركنا قيمتها البالغة.

وأننا فى أحوالنا السيئة نحتاج إلى القوة وليس فقط إلى دموع التذلل من خطايانا.

وفى المعمودية نجد كلا الحالين، وحيث أن الغطس فى الماء يشير إلى رحلة البكاء والخروج من الماء ويشير إلى القيامة ويعطينا القوة والمنعة والعزة.

كذلك فإن الصليب يحمل نفس المعنى، فهو يشير إلى الضعف حيث تم صلب الرب يسوع عليه، وهو يقابل رحلة الدمع والدموع السالفة الذكر، ولكن كما قام الرب يسوع من بين الأموات وانتصر على الموت فإن الصليب الذى نحمله فى قلوبنا ونتعلق به كورثة للملكوت الأبدى يمثل المعمودية التى تمنحنا الغلبة بعد الانسحاق.

ومثل هذه الطقوس هى ما تقوم به الجماعات الأسقفية فى الكرك، وطوروس ومرعش وطرابلس وانطاكية وجزيرة قبرص.

ولو عدنا إلى زيادة البشارة التى قام بها الملاك جبرائيل للسيدة العذراء مريم لوجدنا أنه يقول لها "وانت ايضاً سيجوز فى نفسك سيف." وذلك إشارة إلى الآلام التى كان عليها أن تكابدها فى سبيل الرب.

كان هذا مع مريم العذراء فى مدينة الناصرة فى أرض بيت المقدس ... ولو عُدنا إلى جبل الكرمل هناك فى العهد القديم، لوجدنا النبى إليا والرب يريه قوات الملائكة والتى هى بالطبع أقوى من جيوش البشر، وبالمثل فإننا عندما نصلى ونبتهل فى حياتنا سواء فى أوقات الخطر أو غيره من الصعاب أو فى حالة التأملات الروحانية، فإننا نحصل على فيضاً روحانياً من السماء.

فالهدف هو إذن ليس الماء فى حد ذاته، بل إنــه يشـير إلـى قـوة الـروح القدس التى تدخل إلى حياتنا لكى تنير لنا الطريق .

لندع كلمة الرب تعمل فينا كما أشار الرب يسوع فـى مثـل الـزارع حيـث شبه الكلمة بالبذرة التى تحتاج إلـى أرض خصبـة كـى تنمـو فيهـا وتعطـى ثمـاراً مائة وثلاثة وستون .. وكما أشـار سـليمان الحكيم فـى سـفر نشـيد الإنشـاد إلـى المياه الحية التى تفيض من لبنان والتى تمثل بصورة بسـيطة كمـا يحصـل عليـه من خلال مياه المعمودية فلا تكن جاحداً لهذه النعم التى وهبها لنا الرب.

فـلا نحـاول أن نغير فـى التعـاليم الصحيحـة التـى تسـلمناها وتزيـف المسيحية وتحولها إلى الناموسية ولنأخذ إليا النبـى مثـلاً. حيـث لـم يبـال النـاس واستمر فى طريق الرب.

هنا يجب أن أشير إلـى نفـس السـفر الـذى ذكرتـه وهـو "نشيد الإنشاد" لسليمان الحكيم فى العهد القديم والذى يشير فيه إلى موضع يعينه باستمرار.

أقول وجدت هذا القول يتحقق فى محاربتى من أجل الـرب ضـد وحـوش إفسوس التى أشار إليها بولس الرسول قائلاً "صارعت وحوشاً فى إفسوس" كنا نتحـدث بموهبة بنفس لغات الأماكن التى تكرز فيها فى كل تكريز قلبى حيث كان هذا فـى الأماكن المختلفة ولعل أولها "كامسترم أليم" بمعنى القلعة البيضـاء .. وكان الأخـوة يغوننى فى المعابد وكذلك فى مدينة أوتارادس وفـى جزيـرة آرادى .. وهكـذا وجدنـا الأرض القديمة التى وعد الرب بهـا شـعبه اسـرائيل بدخولهـا بعـد خروجهـم مـن مصر "راجع سفر التكوين الثانى فى التوراة وسفر يوشع بن نون السادس من التوراة".

وهنا أشير إلى المطوب بطرس وكذلك أم المطوب أكليمنتس واللذين قاما ببناء أول كنيسة في مدينة أنطاكية وكانت تحمل اسم المطوبة مريم العذراء تكريماً لها. وبدأت الاحتفالات والعظات في هذه الكنيسة .. وشارك رجال الدين والشعب في الصلوات .. وتحول عدد كبير من السكان إلى المسيحية وعُمد عدد كبير منهم.

وبعد ذلك توجهنا إلى قلعة تسمى مارجت "مرعش" حيث نكرز بقوة كبيرة، وكانت البطرقية في بيت المقدس تشرف على ذلك ثم توجهنا إلى طرابلس ثم أبحرنا إلى قبرص، وهناك وجدنا الجبل الأسود ويطلق عليه اليونانيون اسم "نيرو".

وكانت نفوسنا في قبرص مملوءة بالبؤس والشعب ورجال الدين يجوز في نفوسهم صليب، وكان الخوف من خطر الموت بسبب المخاطر التي نتعرض لها بسبب أعمال التبشير والكرازة ولكن لا أستطيع أن أصف كم من الدموع انهمرت عند الوداع حيث كان التأثر واضحاً .. أقول إنني شعرت أن هناك قوة تعمل في داخلنا، وأقول أن السكان الموجودين رغم أنهم قبل ذلك كانوا يفرطون في تناول الخمور ويأكلون لحم الخنزير، إلا أنه كان لديهم الاستعداد للتحول تجاه الإيمان بالرب .. إن الشرائع الوحشية التي كانوا عليها قبل ذلك لم تمنعهم من القبول بنا، بل أنهم كانوا سابقاً يقتلون من يسمعون أنه مسيحي وكان ذلك بسبب جهلهم وهكذا ظهر التحول أثناء فترة إقامتنا، وغدا هؤلاء القوم بين عشية وضحاها يطيعون المخلص ويثقون في أتباعه كان هناك جهل بناموس اليهود، حيث أن الناموس الذي كان سائداً بينهم هو ناموس الناس. وعندما تسألهم عن

ناموس اليهود يقولون "إننا لوكنا نعلم هذا الناموس لما كنا بهذا الوضع" وهنا أتذكر كلمات الرب يسوع للذى قال "من ليس معى فهو ضدى "كنا نواجه أنواع مختلفة من العقائد المسيحية ، فهناك العقيدة النسطورية نسبة إلى الأسقف نسطور الذى كان يقول"إن مريم هى أم للمسيح وليست أم لله"وهناك العقيدة اليعقوبية التى كانت تقول" إن الطبيعة الإنسانية للمسيح قد امتزجت فى الطبيعة الإلهية كما يختلط الماء مع الخمر ويختفى الخمر فى الماء وكان المارونيون لهم أساقفة كثيرون.

إننى أخيراً أصلى من أجل أن يدخل جميع الناس إلى الحق ويعرفون الرب الذى ينير عبر الغيوم.

صلوا من أجلى ومن أجل خاصتى، وعلى وجه الخصوص لرفيقى يوحنا من كاينزاكد ...

❖ هنا ينتهى الخطاب الثانى ❖

الخطاب الثالث

III

R XV, 568 Reverendo in Christo patri ac domino Honorio, dei gratia summo pontifici I(acobus), divina miseratione Acconensis ecclesie minister humilis, tam debitam quam devotam cum osculo pedum reverentiam.

5 Noveritis quod anno domini ab incarnatione MCCXVII aderant hii principes apud Accon, scilicet rex Hungarie, rex Cipri, dux Austrie, rex Ierusalem, Templarii, Hospitalarii, principes et comites, equites et pedites, quorum multitudo numerum excedebat, et, ut dicunt qui captioni civitatis Acconensis affuerunt, nulla comparatio
10 fuit illius exercitus ad istum sive in armis sive in equis sive etiam in bellatoribus. Consilio ergo inito post aliquot dies iverunt fere usque ad Damascum et multas | villas et casalia depopulaverunt (R XV, 569) et destruxerunt arbusta et oliveta et omnia ligna fructifera, et quecumque potuerunt Sarracenis mala intulerunt et aliquot captos
15 ex eis in reditu suo deduxerunt; sed sciatis quod plures ex nostris in eadem amissi sunt equitatura, quam capti ex alienis. Postea vero, aliquot elapsis diebus, habito consilio iverunt ad montem Thabor, et facto ibi quodam insultu sine aliquibus machinis, statim recesserunt. Et dictum est quod, si viriliter institissent, de levi
20 castrum acquisissent; sed, ut totus clamat populus, tam in hac vice quam in supradicta quorundam mala fides intercessit. Tercium

---

1-13: PR (=a); 13-21: P.

1 Sanctissimo R. in Christo *om.* R; *cf. IV, 1[a]; V, 1; VII, 1[a].* 3-4 tam devotam quam debitam reverentiam (*om.* cum osculo pedum) P. 5-6 Noveritis ... Hungarie] In principio autem guerre (*cf. IV, 192*) aderant hii primates apud Aconem, rex Ungarie R. 5 MCCXVI P. 7-8 Templarii ... numerum] et Hospitale (*cf. 39*) beate Marie et beati Iohannis et Templum et principes et comites et equites et pedites, quorum numerum multitudo R. 9 Accon R. 10 istum] istum tum P. 10-11 sive etiam in bellatoribus] et in bello R. 11 ergo] vero R. aliquos R. fere *om.* P, *cf. IV, 182.* 12 et multas] et *om.* R. 13 arbusta] hinc desinit R.

Sur la non-attribution de cette lettre à Jacques de Vitry, voir p. 40-43. 6 rex Hungarie] André II (1205-1235). — rex Cipri] Hugues I de Lusignan († 1218, cf. 32-33), cf. II, 378-384. 6-7 dux Austrie] Léopold VI (1198-1230). — rex Ierusalem] Jean de Brienne (1210-1229). 9 captioni civitatis Acconensis] le 12 juillet 1191. 9-11 Cf. Donovan, *Pelagius*, p. 32, n. 30. 11: novembre 1217. 17-19: 3-5 décembre 1217.

vero iter aggressi sunt apud castrum quoddam quod dicitur Belfort
et apud Belinas, qui alio nomine Cesarea Philippi noncupabatur,
ubi satis adversitatis et inedie sustinuerunt necnon et iacturam
25 equorum, bestiarum et gentis magnam incurrerunt, et sic Accon
reversi sunt; que omnia facta sunt a festo Omnium Sanctorum usque
ad Circumcisionem Domini. Post festum itaque Epiphanie sumpta
occasione recessit rex Hung<a>rie iter suum dirigens per terram
ab Accon usque ad Tripolim et a Tripoli usque ad Antiochiam et
30 sic deinceps usque ad Constantinopolim et ita demum in patriam
suam. Simul et similiter recessit cum eo rex Cipri, et cum eo comes
Tripolitanus ut sibi sororem suam traderet in uxorem; nec longo
elapso tempore apud Tripolim mortuus est rex Cipri. Sarraceni vero
ipsum comitem Tripolitanum debellaverunt, qui treugas cum ipsis
35 coactus est inire. Diminuto ergo christianorum exercitu statim
post recessum regum datum est consilium manum mitti ad firman-
dum castrum civitatis que dicitur Cesarea Palestine, ivitque illuc
rex Ierusalem, dux Austrie, patriarcha, episcopus Acconensis,
Hospitale et totus residuus exercitus cum eis, preter Templarios
40 et moratum est ibi donec firma[men]tum est castrum et bene
munitum. Ceterum Templarii nullo simulationis velamine se vo-
lentes palliare, ne in obsequium dei et terre sancte tam se quam sua
prorsus exponerent opus egregium per se aggressi sunt, ubi tot et
tantas effuderunt divitias, quod mirum est unde eas accipiant:

P.

28 Hung<a>rie *correxi coll. 6.* 39 templarius P, *corr.* Martène 40 firma[men]tum *Martène.*

26-27 Du 1 novembre 1217 au 1 janvier 1218. 27-28 Donc après le 6 janvier 1218 31-32 comes Tripolitanus] Bohémond IV (1201-1233). 32 sororem suam] Mélisende, demi-soeur du roi Hugues I de Lusignan. 32-33 nec longo elapso tempore] le 10 janvier 1218. 33-35 Voir Röhricht, *Geschichte des Königreichs Jerusalem*, Innsbruck, 1898, p. 727, n. 5. 38 patriarcha] Raoul de Mérencourt, cf. II, 274. 42 Cf. l'app. cr. sur II 233. 43-44 Cf. une lettre du pape Honorius III (octobre 1218, Pressutti 1634, Potthast 5906, Archives du Vatican, 10: III, 74, f. 16v): *Sane venerabilis frater noster patriarcha et karissimus in Christo filius noster Iohannes illustris rex Ierosolimitanus, magistri quoque Hospitalis et Templi et universi principes ac barones exercitus christiani existentis in partibus transmarinis suis nobis litteris intimarunt quod tam importabiles expensas facere compelluntur tum in machinis et galeis tum in alio bellico apparatu, quod nisi ad eas faciendas subveniemus eisdem, eas nullatenus poterunt sustinere, sed non absque confusione quod deus avertat ab incepto desistere compellentur, cum autem pro navigio Romanorum, in quo ultra viginti milia marcharum argenti expendimus, camera nostra pene penitus sit exausta nec de illa possimus eisdem oportunum subsidium ministrare...*

45 plus enim castrum illud iam Sarracenos gravavit quam totus fecerat
christianorum exercitus. Temporis itaque curriculo procedente
reversoque toto exercitu in Accon, preter partem illam que deum
timuit, ut cum Templariis in opere suo remaneret, a tempore medie
Quadragesime a rege et duce ceterisque magnatibus sepe et sepius
50 iterata sunt consilia, quomodo ulterius sit procedendum. Advenit
itaque quidam magister Oliverus nomine, Coloniensis ecclesie
canonicus, qui in partibus suis auctoritate domni pape crucem (R XV, 570)
predicaverat, qui multos cogones crucesignaverat et infinitos homines.
Hii quidem cogones, cum in Hyspania hiemassent, eo tem-
55 pore Accon applicuerunt. Congregato igitur quadam die capitaneorum
omnium consilio cum ad aliquid faciendum ipsos vehementer
dictus magister ex parte suorum incitaret peregrinorum, inspirante
Spiritu sancto ab omnibus unanimiter concordatum est Babyloniam
ire, sicque factum est quod in die Ascensionis Domini iter ab Accon
60 arreptum est per mare, quousque favente domino Damiatam civitatem
Egyptiorum permaximam supra ripam fluvii paradisi sitam
prospere perventum est. Ibi usque modo totus consedit christianorum
exercitus in quadam insula dicti fluminis, ex adverso civitatem
ipsam debellans et quandam turrem, que est in medio fluminis,
65 fortissimam et supra modum bene munitam, et que progressum
in fluvio nostris omnino prohiberet necnon ad civitatem expugnandam
nostris potissime obstaret, si non eam dante domino post
multos labores et sudores et non sine proborum amissione virorum
mirabiliter acquisissent: que quidem animante domino in die
70 sancti Bartholomei capta est et in ea C et XIII preter occisos et
eos qui putantes evadere in flumine submersi sunt. Nunc ergo
omnium nostrorum studium est et una voluntas flumen transire
et ex ima parte soldanum Babilonie, qui ex altera parte ripe cum infinito
exercitu parum ab eis distat oppositus, invadere et ex alia civita-
75 tem ipsam virilibus debellare insultibus et a tercia parte galeas et vasa
sua potenter impetere; et manus dei bona sic inimicos crucis Christi
deiciat, ut fideles suos in eius laudibus semper attollat. Amen.

P.

55-56 capitaneorum *correxi, cf. adn. ad II, 405-409*] capreanorum P, capitanorum *Röhricht*   64 terram P, *corr.* Röhricht.

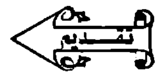
---

45 castrum illud] Chastel-Pèlerin.   52-53 Cf. I, 76.   54-55 eo tempore] le 26 avril 1218, cf. Röhricht, *SS min.*, p. 70.   58 Babyloniam] Cf. IV, 41.   59 le 24 mai 1218.   61 fluvii paradisi] cf. IV, 94-95.   69-70 le 24 août 1218.   70 C et XIII] *centum ... et duodecim* IV, 158, cf. V, 52-53 et Donovan, *Pelagius*, p. 42, n. 22.   76-77 Cf. II Macc. 15, 16.

الخطاب الثالث



أما الخطاب الثالث فقد تم تدونيه بعد سقوط برج السلسلة في دمياط في ٢٤ أغسطس عام ١٢١٨م



كتب جاك دى فيترى الخطاب الثالث وهو فى دمياط، عندما حقق الصليبيون نصراً مؤقتاً بإسقاطهم لبرج السلسلة وبعد عناء ومشقة أرسل إلى البابا بخطابه هذا الذى تغلب عليه الصفة اللاهوتية متأثراً بالتوراة، ومبيناً ما تعرض له الصليبيون فى مصر على أيدى المصريين، وجاء الخطاب وكأنه ينقل من التوراه ما ذكر فيه من معاناة لشعب إسرائيل فى أرض مصر ومؤكداً أن المصريين دائماً أعداء لبنى اسرائيل وآملاً فى دعوات البابا ليتحقق النصر النهائى على المصريين.

ترجمة النص إلى العربية :

📖 نكتب من الأرض المقدسة إلى السيد هونوريوس ببركة الأب الموقر يعقوب 📖
وسائر أفراد بعثة التبشير المكلفين بخدمة الرب يسوع المسيح

نود أن نخبركم بمجهودات الأخ الفاضل أكونينس للكنيسة وهو يحمل روح التواضع الشديد وسط المضايقات والاضطهادات الشديدة التى تحيط بنا من أجل نشر بشارة الإنجيل ولقد سبق وأن كتبنا لكم فى هذا الشأن فى خطابات عديدة. حالياً نحن نواصل جهودنا فى منطقة قيسارية فلسطين "وهذا وسط خطر كبير يحدق بنا من كل جانب من خلال جيوش الوثنيين التى هى متحفزة دائماً للهجوم على من يقوم بنشر كلمة الإنجيل، ونحن إن كنا قليلين فى العدد وسط العدد الكبير من الوثنيين الذين يحيطون بنا من كل جانب، غير أن ثقتنا فى قوة الرب التى تُعد وتمهد لنا الطريق إلى بيت المقدس السماوية، فإنه من خلال هذه الثقة فإننا نواصل عملياتنا التبشيرية ضد تعصف الوثنيين أعدائنا غير مبالين بما قد يلحق بنا من مضايقات فى سبيل نشر حق الإنجيل المبارك والتى يمكن أن تواجهنا براً وبحراً.

ولعل القسم الأكبر من المحيطين بنا وهم الشرقيون لا يدخرون أى جهد تحرشاً بالمؤمنين بربنا يسوع المسيح. ونحن قد بدأنا بعيد الفصح رحمة الرب مع رفقائنا الذين جاءوا للعمل معنا وهم من الفريزيين والتيتون، وهم جاليات يقطنون معنا فى المنطقة، وكنا نفضل أن نتجه فى مثل هذه الظروف إلى أرض مصر، حيث نعتقد أن الأمور تكون أيسر حالاً مما نواجهه هنا. والرب يسوع وأمه المطوبة مريم هما بالتأكيد معنا فى كل مكان . ولكن نعلم أنه فى أرض مصر توجد مزايا كثيرة أفضل مما فى هذه المنطقة حيث يتميز المصريون بالكرم ولم يعرضوا غير المسلمين إلى مضايقات كثيرة ولكننا نخضع دائماً لمشيئة الرب.

إننا نجد فى مصر أن الشرق والغرب يتواصلان وهو أمر كنا نذكره ونحن نحتفل بعيد صعود الرب يسوع المسيح، أى بعد أن ذاق الصلب والهوان ، ثم قام من الموت فى اليوم الثالث، إنه من خلال الألم حصل على المجد. وهكذا نحن نقاسى فى حياتنا هذه لكى ننال الأمجاد السماوية التى أعدها الرب للمؤمنين به.

كل هذه الأحداث تذكرنا أيضًا بما واجه بنى اسرائيل من اضطهاد فى أرض مصر وما تعرضوا له من ذبح لأبنائهم وهم شعب الأرض المقدسة التى حصلوا عليها فيما بعد أن خرجوا من أرض مصر بساعد الرب. ونحن الآن فى عهد وحكم دوميتيانوس تتكرر معنا الأحداث مرة أخرى.

وكما نعلم جميعاً بأن نهر النيل يمثل العصب بالنسبة لمصر، كما هو الحال بالنسبة لنهر الفرات فى أرض بابل، وهكذا فإن هذا النهر يشق الأراضى التى يمر بها، وتجد أن فرعيه وهما فرع دمياط فى الشرق والفرع الغربى المتجه نحو الأسكندرية يكونان ما يشبه جزيرة خصبة، ويختلط الرمل بالملح "المقصود به ماء البحر" وكذلك الحال فى أرض بابل والتى ذكر أن نهر الفرات هو أحد أنهار الجنة كما جاء فى سفر التكوين فى توراة موسى. حقاً إن انسياب هذا النهر قد غير تاريخ مصر قديماً وحديثاً. أى أن مصر لم تعتمد على الأمطار فى زراعة أراضيها أو فى خصوبة تربتها، وهنا فإن نهر النيل يلعب نفس الدور الذى يقوم به نهر الفرات فى أرض بابل.

❖ *هنا ينتهى الخطاب الثالث* ❖

IV

R XV, 570 a] Sanctissimo patri ac domino Honorio, dei gratia summo pontifici I(acobus), divina miseratione Acconensis <ecclesie> minister humilis, tam debitam quam devotam cum osculo pedum reverentiam.

5 b] Dilecti<ssimi>s in Christo amicis I(acobus), divina permissione Acconensis ecclesie minister humilis, *in spiritu humilitatis et in animo contrito* agno sponso virginum constanter servire Iesu Christo.

Quam arta est via que ducit ad vitam, et pauci intrant per eam: *quoniam per multas tribulationes*, ut ait apostolus, *oportet nos*
R 10 *intrare in regnum celorum*, et dominus in | evangelio: *contendite*
XV, 571 *intrare per angustam portam*, multi pusillanimes et inconstantes ab exercitu domini inexpleto voto recedentes multa et varia falsa locuntur, in excusatione sue ignavie solatium querentes. Unde, sicut in aliis litteris de hiis que in exercitu domini fuerunt et ab
15 initio facta sunt vos certificavi, ita et presentibus litteris de hiis que postea facta sunt vos certificare proposui. Noveritis itaque quod postquam a Cesarea recessimus, in qua cum magno periculo contra exercitum paganorum, pauci contra multos, in via que ducit Ierusalem munitionem ereximus, media septimana Quadragesime
20 devenimus ad locum quendam in eadem via Ierosolimitana, qui Districte nuncupatur, ut contra paganorum impetus operarios nostros, qui castrum inexpugnabile supra mare inchoaverant, defenderemus. Interim vero Sarraceni venerunt Cesaream, qui-

---

1-4: P; 5-7: G; 8-23: PG.

1-56 om. R. 1 Sanctissimo <in Christo> *Martène, Röhricht.* 2 <ecclesie> *restitui.* 5 Dilecti<ssimi>s *correxi coll. II,* 1[a]; *VI,* 5[b] *et* 9[c]; *VII,* 5[b] *et* 13[a]. 8 quam] quoniam P. 12 falsa] et falsa G. 13 et excusationem suam, ignavie sue G, *cf. comm.* 14 in *om.* G, *cf.* 15. fuerunt P. 15 presentibus, *cf. II,* 259-260] hiis presentibus G, *cf.* 191; *V,* 42; *VII,* 535. 16 facta] dicta P. certos facere P. 18 exercitus P. ducit in P. 20 qui *Martène*] que PG. 21 ut] et P. paganorum *om.* G.

6-7 Daniel 3. 39. 8 Mathieu 7. 14, voir V, 35-36. 9-10 Actes 14. 21. 10-11 Luc 13. 24. 12-13 falsa locuntur] cf. Ps. 57, 4. 13 Cf. Crane, *Exempla.* 4, 6-7: *lepusculi autem et pusillanimes prelati dum ignavie sue excusationem querunt..* 18 pauci contra multos] cf. VI, 192 22 Cf. I, 137, VII, 181-182.

الخطاب الرابع

dam vero ex nostris, licet pauci, eorum se opposuerunt multi-
25 tudini et aliquot de militibus nostris ibidem interfectis Sarracenos
cum principe suo fugaverunt. Nos vero imminente Paschali sollemp-
nitate ad Acconensem civitatem sumus reversi, multis autem pere-
grinis a nobis recedentibus et repatriantibus nichil magni aggredi
ausi sumus. Non multo vero post Pascha divina misericordia nobis
30 succurrente venerunt Frisones et Theutonici cum quadraginta
navibus, que *cogones* appellantur. Habito autem communi consilio,
cum non possemus estivo tempore obsidere Ierusalem propter
aque penuriam — alia vero opida in regno Ierosolimitano in mon-
tibus sita nobis quasi inexpugnabilia videbantur — proposui-
35 mus pergere in Egyptum, que terra fertilis est et ditissima super
omnes alias que sunt in Oriente, ex qua Sarraceni potestatem
habent et divitias ut terram nostram valeant retinere, qua terra
obtenta de facili totum regnum Ierosolimitanum recuperare pos-
semus. Terra autem Egypti plana est sine montibus, non sunt ibi
40 lapides nec alique munitiones exceptis tribus civitatibus, scilicet
Damiata et Babylonia, quam ipsi Kayre appellant, et Alexandria,
quarum una optenta de facili totam terram nostro subiugaremus
imperio. Est autem terra Egypti in multis privilegiata, in qua
dominus noster Iesus Christus cum beata Maria matre sua aliquo
45 tempore commoratus est. Vnde in eodem loco, in quo beata Virgo
ex itinere fessa dicitur requievisse, constructa est ecclesia, quam
R XV, 572 habent | Sarraceni in magno honore. In eadem vero terra multi
fuerunt sancti patres, plusquam in aliis mundi partibus; unde
adhuc in eadem terra plures sunt christiani quam Sarraceni, qui
50 tamen armorum usum non habent, sed terras excolunt et sub
servitute paganorum detinentur. Vlterius autem versus Orientem

---

PG.

25 ibidem *om.* G. 27 Acconensem civitatem] Accon P. 28 nil magnum P. 29 sumus ausi P, *cf.* 90. multum P. 30 quadraginta] L (=50) P, *cf. comm.* 33 terra Ierosolimitana P. 34 inexpugnabilia] inexpugnabilia esse P. 41 *pr.* et *om.* P. ipsi appellant Le Cahaire P. 44 Maria *om.* G. 48 fuerunt ... 49 quam] sunt christiani et plures quam P. 51 autem] vero G.

29-31 Voir sur III, 54-55. 30 quadraginta] Le nombre des vaisseaux frisons n'est donné par aucune source, ni même par le *De itinere Frisonum* (éd. Röhricht, *SS min.*, p. 59-70). Mon choix (voir l'apparat critique) présuppose que dans P, un X est tombé devant *L*; mais le texte n'en reste pas moins douteux, voir l'app. cr. sur VI, 104. 45-46 Cf. II, 297-298. 46-47 Voir sur II, 355-364 (p. 94). 47-48 Probablement allusion aux *Vitae Patrum*.

usque in finem mundi ubique sunt christiani; unde, si per misericordiam dei terram illam optinere possemus, christianam religionem ab Occidente usque ad Orientem continuaremus. In eadem
55 etiam terra est vinea balsami unde fit crisma, quod nusquam terrarum nisi in partibus illis reperitur. In die vero Ascensionis celebratis divinis domnus patriarcha cum clero et populo ab ecclesia Dominici Sepulcri, que est in Accon, lignum dominice crucis sollempniter asportavit. Est autem crux illa, que quondam abscisa
60 fuit ab illa parte dominice crucis, que in bello Sarracenorum quondam fuit amissa; cuius muniti presentia naves ascendimus in Egyptum profecturi. Fuimus autem in portu usque ad diem dominicam sequentem non habentes ventum ydoneum. Die autem dominica in mane <im>misit nobis dominus ventum competentem,
65 scilicet Boream, ita, quod duobus diebus et duabus noctibus, transeuntes civitatem Thanis iuxta campos Thaneos, die tercia pervenimus ad insulam ante Damiatam, que sita est inter Nilum fluvium et mare prope ecclesiam sancti Ieremie prophete, qui defunctus est in Egypto. Putantes autem patriarcham, regem et
70 alios principes exercitus nobiscum esse, non nisi minores et mediocres invenimus; nichilominus tamen de divino confisi adiutorio armis spiritualibus et corporalibus muniti nostri terram contra inimicos nostros acceperunt, quod miraculose *a domino factum* credimus. Non minus tamen fuit miraculum quod duobus diebus
75 et duabus noctibus a terra promissionis usque in Egyptum navigavimus, cum postea per mensem multi sequentes nos ad exercitum vix pervenire possent, cum etiam a terra Egypti usque ad terram
R XV, 573 promissionis spacium XL annorum | filii Israel consumpsissent.

52-56: **PG**; 56-78: **PR, G** (= αG).

52-53 dei misericordiam G. 53 possemus obtinere P. 54 usque ad] in G. 56 terrarum *om.* G. 56 in die] hinc incipit R. 58 dominici] domini et P, domini R. 63 ydoneum] validum α. 64 <im>misit *scripsi coll. II, 82, 101; IV, 189-190; V, 90, 92, 145-146.* nobis *om.* α. 70 exercitus *om.* G. 70-71 mediocres et minores α. 73 miraculoso R, —sum P. a domino factum] factum est et a domino G. 74-75 duabus diebus et noctibus G. 76 menses G. 77 pervenire possent] pervenire potuissent P, pervenissent (*cf. 80*) R.

56 le 24 mai 1218. 60-61 A Hattin, en 1187, cf. BO, 1118, 27-28: *lignum salutifere crucis, quod die illo tenebroso* (le 4 juillet) *secum in prelio detulerunt, lamentabili infortunio amiserunt.* 62-63 Donc jusqu'au 31 mai 1218 (voir 63-64). 68-69 Sur la mort et l'enterrement du prophète Jérémie en Egypte, voir Olivier de Cologne, *Hist. Damiatina*, éd. Hoogeweg, p. 242-243; cf. Jérémie 43, 1-7. 73 Ps. 117, 23. 74 non minus ... miraculum] cf. VI, 159.

Cum autem patriarcha et rex cum duce Austrie, cum Templariis
80 et Hospitalariis post tres dies ad nos pervenissent, mirati sunt valde et gavisi sunt videntes quod tentoria nostra in insula non obstante inimicorum nostrorum fortitudine fixissemus. Est autem insula illa ante civitatem Damiate sita, Nilo fluvio interiacente ab eadem civitate separata, que in prima sui parte per tria miliaria
85 non habet nisi sabulum cum sale, postea vero per septem dietas usque versus Babyloniam protenditur, plena divitiis et bonis omnibus habundans, quam plusquam duo milia Sarracenorum, qui *Beduini* dicuntur, custodiebant. Nos autem de facili possemus eam optinere et multa tam in divitiis quam in victualibus acquisissemus,
90 sed naves nostras cum parte exercitus non ausi sumus relinquere. In illa vero insula statim quando volunt habitatores pullos habent recentes: non enim ova gallinis supponunt ad cubandum, sed in furnis calentibus illa ponentes statim pulli ex ovis prosiliunt. Nilus vero fluvius, qui alio nomine Eufrates nuncupatur, unus de
95 IIII fluminibus paradisi dicitur, qui sine pluviis vel aliqua alia evidenti causa singulis annis mense Augusti mirabiliter excrescit et per totam terram Egypti se transfundens eam fecundam et fertilem reddit, que alio modo non posset fructificare, quia nunquam vel raro pluit in Egypto, et postea ad alveum suum revertitur. In
100 hoc autem flumine vidimus monstra quedam que *cocodrilli* nuncupantur, gallice autem *cocatriz*, que hominibus et equis insidiantes quicquid dentibus suis attingunt devorant. Per hunc autem fluvium omnes fere aromatice species ab Orientis partibus devehuntur. Est autem aqua fluminis pinguis et spissa et paludosa, que plus
105 quam aliquis fimus vel marla terram impinguat; unde multi ex nostris ex potu aque fluxum ventris incurrentes in | sabulo defuncti

R XV, 574

PR, G (= aG).

79 cum rege et duce G. 80 post] per G. 87 plusquam *om.* G. 89 acquisisse GR. 90 sed ... relinquere *om.* G. 93 illa *om.* R, illa ponentes *om.* G. 95 vel] nec (et R) sine x. alia *om.* x. 96 evidenti causa] evidentia P, proevidentia R. in mense x. *cf. II, 325-327 (comm.); sed cf. I, 171; VI, 100, 106.* 100 quedam monstra P, quedam *om.* R. 101 cocatrix R, caucatrices P. 102 suis *om.* x. 103 devenerunt P, adveniunt R. 106 fluxum ventris ex potu aque G.

91-93 Cf. BO, 1105, 47-49: *in Egypto autem ex ovis gallinarum in clibano calefactis absque matrum cubatu pulli procreantur, unde quot ova habent, tot pullos eodem die predicto artificio, si placet, habere possunt.* 93 illa ponentes: nominatif absolu ou anacoluthe, cf. V, 247-248; VII, 419. 100 cocodrilli] Cf. Greven, *Exempla*, 32, 1-23 (= Frenken, *Exempla*, 31, p. 113-114); Crane, *Exempla*, 125, 1.

sunt. Cum autem in exercitu domini multos haberemus infirmos, eis dominus hanc gratiam et consolationem contulit, ut loquendo et gaudendo et gratias agendo transirent ad dominum. Hoc enim
110 solatium recompensavit eis pius dominus, quia patrum et matrum, uxorum et filiorum et amicorum suorum pro Christo relinquerunt consolationem. Mansimus autem in insula predicta IIII mensibus detenti in expugnatione cuiusdam turris mire fortitudinis, que nec petrariis nec instrumentis que *trabucula* dicuntur poterat superari
115 nec a parte inferiori suffodi eo, quod in medio Nili fluminis inter insulam et civitatem sita erat, a qua ex parte civitatis usque ad ripam cathene ferree protendebantur, ut naves nostre non possent fluvium ascendere. Multi autem ex nostris in expugnatione turris coronati sunt martyrio, plures tamen de inimicis nostris quam de
120 christianis occisi sunt. Ereximus autem super naves nostras scalas, quibus ad turrem fieret ascensus, inimici vero nostri proicientes ignem grecum a turre et maximos lapides et tela innumerabilia

---

PR, G (= zG).

107 multos *om.* G. 108 eis dominus hanc] hanc *om.* G, dominus deus tantum eis R. 109-110 hoc enim consolatium P, hanc enim consolationem R 110 quia] quod G, qui P. 110-111 patrem et matrem, uxores et fratres, filios et amicos (*om.* consolationem) R matrum] matrum et P. 111 filiorum et] et *om.* P. 113 turris cuiusdam P, turris *om.* R. 114 trabucula *correxi coll. Oliv. Colon. Hist. Damiatina* (ed. Hoogeweg, *p.* 181, 6-7: turrim capi non posse petrariarum vel trabuculorum ictibus] trabuta R, tribucheta P, intrebucheta G; *cf. adn. cr. ad V, 182.* 116 esset G. 116-117 a qua usque ad ripam ex parte civitate (*sic*) cathene P, a qua usque ad ripam civitatis due cathene R. 118 fluvium, *cf.* 200] per fluvium G, *cf. Röhricht, SS min., p. 120, 7*: quod nulla navis per flumen ascendere poterat; *144, 8-9*: quod nulla navis per fluvium posset ascendere. ascendere fluvium R, fluvium transcendere P. 120 christianis] christianis nostris G. occisi sunt] ceciderunt G. nostras *om.* z. 122 tela] tela et G.

110-112 Luc 14, 26: *patrem suum et matrem et uxorem et filios / et fratres et sorores*; Mathieu 19, 29: *fratres aut sorores - aut patrem aut matrem / aut uxorem aut filios*; cf. Crane, *Exempla*, 133, 1-3: *ecce quomodo deus diligit peregrinos et consolatur eos qui pro eius amore communem parentum et consanguineorum consolationem reliquerunt*; voir également une lettre du pape Honorius III (juillet 1218, Pressuti 1558, Archives du Vatican, 10: III, 1, f. 1): ...*Esse non potest quin infractis pietate animis grandam amaritudinem sentiatis interdum ex eo, quod reliquistis patriam et parentes, sorores et fratres, filios et uxores et exposuistis maris ac terre periculis vosmetipsos*...; cf. V, 31. 117 cathene ferree] voir Röhricht, *SS min.*, p. XIX, n. 2. 122 ignem grecum] Cf. BO, 1098, 42-45: *Est fons quidam in partibus Orientis, ex cuius aquis ignis grecus efficitur quibusdam aliis admixtis, qui postquam vehementer fuerit accensus vix aut nunquam potest extingui nisi aceto et hominum urina et sabulo. Predicti autem fontis aquas magno pretio comparant Sarraceni*: passage non mentionné par M. Mercier, voir l'index général s.v. *feu grégeois.*

pertrahentes nobis viriliter restiterunt. Ex impetu autem fluminis et militum armatorum fracte sunt scale ita, quod valde probi
125 milites in flumine decidentes compendio martyrii evolaverunt Cum autem nobiles et potentes exercitus de expugnatione turris iam fere desperarent, quidam homines pauperes, deo devoti et humiles, videlicet Frisones, consilio magistri Oliveri Coloniensis cancellarii super duas naves sibi invicem connexas et colligatas
130 mirabilem et a seculis inauditam erexerunt machinam cum magno labore et expensis, scilicet duarum milium marcarum. Fecerunt enim scalam | superius, pontem vero tornatilem inferius et castellum scale imminens, per quod totam machinam defenderent. Et quia predicti Frisones de virtute sua non presumunt, sed *in deo spem*
135 *suam* totam *ponunt*, factis processionibus, premissis ieiuniis cum lacrimis et orationibus turrem cum instrumento predicto invaserunt Erant autem in turre ducenti et quinquaginta Sarraceni electi inter alios pugnatores, qui, proicientes super scalam ignem, primam partem, quam ad turrem nostri applicuerunt, combusserunt
140 Vnus autem solus ex nostris valde probus, qui cum vexillo turrem intrare conabatur, cecidit et mortuus est, alii vero super aliam partem scale sese recipientes inter lapides et inimicorum tela constantes persistebant. Peregrini vero tam nobiles quam alii in sabulo sese proicientes et pulverem super caput suum aspergentes cum
145 lacrimis et gemitu *clamabant ad dominum* ut misereretur populi sui, *ne forte dicerent in gentibus: ubi est deus eorum?* Nostri vero

R XV, 575

PR, G (= αG)

123 resisterunt α. 124 scale fracte sunt G. 127 deo] et deo P, vero R 128 scilicet P, sicut R. 130 inauditum α. 132 et *om.* G. 135 promissis α. 135-136 et orationibus cum lacrimis G. 137 et *om.* G Sarraceni *om.* G. 141 conabatur intrare G. 144 suum *om.* α. 145 clamabant *om.* G. deum G.

124 valde probi] cf. Crane, *Exempla*, 252, 3: *multum probus*; cf. 140. 130 Voir BO, 1118, 49-50: *ex quo illud miserabile et a seculis inauditum referunt ibi accidisse*; Esther 16, 13: *inauditis machinis*. 131 duarum milium marcarum] cf. Donovan, *Pelagius*, p. 42, n. 18. 131-133 Cf. Olivier de Cologne, *Historia Damiatina*, éd. Hoogeweg, p. 181, 12-182, 4: *duos cogones coniunximus trabibus et funibus fortissime coherentes et socia compaginatione vacillandi periculum prohibentes, quatuor malos et totidem antennas in eis ereximus, in summitate castellulum firmum asseribus et opere reticulato contextum collocantes; contra machinarum importunitatem coriis vestivimus illud per circuitum et super tectum contra ignem grecum. Sub castellulo fabricata fuit scala funibus fortissimis suspensa et triginta cubitis ultra proram protensa.* 133-134 Voir page 17. 134-135 Ps. 77, 7. 140 voir 124. 145 Voir sur II, 100. 146 Ps. 78, 10, cf. Palmer A. Throop, *Criticism of the Crusade* (voir p. 15, n. 2), p. 18, n. 81.

residuum scale combuste turri applicantes lacrimis et orationibus peregrinorum vegetati et in domino confortati per medios ignes et gladios et sagittas et lapides in turrem prosilientes quosdam ex
130 Sarracenis interfecerunt; alii vero in partem inferioris turris sese receperunt, et proiecto igne superius cum iam nostri sustinere ulterius fumum et ignem grecum non valerent, in scalam sese receperunt. Submisso vero ponte tornatili inferiori multi ex nostris turrem circumdantes et ante turris hostium per totam noctem ignem
155 copiosum accendentes adeo Sarracenos inclusos oppresserunt, quod multi ex eis per fenestras sese in fluvium precipitantes submersi sunt in aquis et perierunt, aliqui vero auxilio suorum evaserunt. Centum vero et duodecim in turre remanentes sese cum turre et armis et victualibus in manus | nostrorum tradiderunt. Inimici vero
R XV, 376
160 nostri, amissa turre que clavis erat totius terre et patrie et ceterarum civitatum valde confusi sunt et perterriti, nostri vero debitas deo gratias retulerunt et precipue eo, quod tantum decem ex nostris in turrem prosilientes, sicut dictum est, CC et L quibusdam occisis superaverunt. Sarraceni vero vires suas pro posse suo
165 colligentes ripam fluminis nobis oppositam ex parte civitatis fossatis, armis, balistis et machinis et viris bellicosis contra nos munierunt, nobis vero valde periculosus et difficilis est transitus propter fluminis excrementum: unde in festo Sancte Crucis in Septembri, quando litteras has scripsimus, nondum fluvium transieramus vel
170 civitatem obsederamus, sed preparantes naves et alia ad transitum necessaria novos expectabamus peregrinos, qui fere ex qualibet mundi parte cum multitudine copiosa et innumerabili ad obsidionem

---

PR, G (= aG).

149 ex] de G, *cf. 174*. 151 et proiecto... 152-153 receperunt *om.* R. 151-152 nostri non possent ulterius (fumum... grecum *om.*) sustinere, in scalam se G. 154 et *om.* z. 156 fenestram, *ut videtur*, G. flumine G. 157 sunt *om.* G. 159 inimici... 161 perterriti *om.* R. 160-161 totius patrie et custodes civitatis confusi sunt valde G. 162 eo *om.* G. 163 in turrem *om.* z. sicut dictum est prosilientes z. 164 supervenerunt R, fugaverunt G. 167 vero *om.* a. 171 fere] vero R, sunt P. 172-173 ad obsidionem ... venire festinabant *scripsi*] ad

---

148 in domino confortati] cf. Ephés. 6, 10. 148-149 Cf. V, 61-62. 151-152 Cf. V, 72-73. 158 *C et XIII* dans la lettre III, 70, cf. V, 52-53 et Donovan, *Pelagius*, p. 42, n. 22. 160-161 (voir 197-198) *terra*] la contrée où se déroulent les opérations, *patria* la ville même de Damiette, les *cetere civitates*, celles nommées lignes 40-41? cf. VII, 518-519; voir l'app. cr. 162-163 tantum decem ex nostris] cf. V, 51-52. 163 sicut dictum est] cf. 149. CC et L] cf. 137-138 et V, 52. 168 le 14 septembre 1218.

civitatis, sicut nuntiatum est nobis, venire festinabant. Multi vero ex Sarracenis dum essemus in obsidione ad nos transierunt ut bap-
175 tizarentur, multo vero plures devenissent, sed fluvium de facili transire non poterant: quidam enim in flumine submersi sunt, alii vero a suis interfecti. Dum hec in exercitu domini agerentur soldanus, timens sibi ne regnum Egypti amitteret, metuens etiam ex alia parte guerram Sarracenorum in se insurgentium ut regnum
180 Damasci sibi auferrent, milites cum armis et munitionibus bellicis, que erant in munitione montis Thabor, misit Damascum, partem vero in Egyptum, munitionem vero quam fere per septennium cum multo labore et innumerabilibus expensis inter Accon et Ierusalem *quasi clavum in oculis* nostris construxerat, destruxit penitus et
R XV, 377 — 185 evertit: *a domino factum est istud, et est mirabile in oculis | nostris*, quia, si universus exercitus domini per annum munitionem destruere posset, ei sufficeret. Civitatem etiam Gibelet timore christiani exercitus destruxerunt et etiam alia opida fere ut credo quinque inter Tyrum et Damascum everterunt domino *timorem* eis *immit-*
190 *tente*, et hoc *in nobis* et pro nobis sine nobis *operante*. Vt autem ea breviter que in hoc anno presenti dominus operatus est perpendatis — in principio guerre soldanum de campo fugavimus, postea vero casalia eius succendimus et partem terre eius vastavimus, duas munitiones in via Ierusalem, scilicet Districtum et Cesaream,
195 firmavimus, montem Thabor et civitatem Gibelet cum aliis quibusdam munitionibus timore exercitus domini Sarraceni destruxerunt, terram Egypti navigio ingressi sumus, turrem, que clavis erat

---

173-190: PR, G (=αG); 190-197: PG.

obsidionem civitatis, sicut nuntiatum est nobis (α) festinabant R, venire festinabunt P, veniunt ad obsidionem civitatis, sicut nobis nuntiatum est G. 174 ex] de G, *cf. 149* 175 multo vero plures] multi vero P, multi vero ex Sarracenis R. venissent α. 175-176 transire de facili G. 176 in *om.* G. submersi sunt ... 177 interfecti] submersi (sunt *add.* R) ... interfecti sunt α. 178 sibi (ibi P) timens α. etiam] etiam sibi α. 181 in ... montis] in munitione R, in monte P. 182 fere *om.* α, *cf. III, 11.* 185 evertit] delevit R, subverterunt P. et est ... nostris] et ... nostris fuit G. 186 universus *om.* G. 189 domino *om.* G. 189-190 immittente eis timorem R, eis timorem ministrante P. 190 operante] hinc desinit R. ea *om.* G. 193 incendimus G, *cf. V, 176.* sue P. duas ... 196 destruxerunt *om.* P, *cf. p. 20.*

---

182 munitionem] la forteresse du mont Thabor elle-même (cf. 193; Deschamps, *La défense du Royaume de Jérusalem*, Paris, 1939, p. 26). 184 Nombres 33, 55. 185 Ps. 117, 23. 189 timorem ... immittente] Eccli. 36, 2. 190 in nobis ... operante] Ps. 67, 29.

universe terre Egypti, in medio fluminis Nili sitam cepimus, cathenas ferreas, que a turri usque ad civitatem protendebantur ne naves
200 possent fluvium ascendere, confregimus, pontem etiam ex navibus factum iuxta cathenas ferreas destruximus:

[b]

soldanus vero pre dolore turris mortuus est.

Confidimus autem in domino, quod ipse, qui bene incepit negotium
205 suum, in proximo feliciter consummabit. Vt autem *confiteantur domino omnia opera eius et mirabilia eius filiis hominum, glorificate eum* et *confitemini illi, quia fecit nobiscum misericordiam suam.* Orate autem incessanter pro nobis, ut ipse de terra Egypti reducat nos in terram promissionis *in columna nubis et ignis*, mare rubrum
210 nobis pervium faciat, *in terra deserta et invia et inaquosa* nobis appareat, aquas Marach nobis dulces faciat, aquas dulces de petra deserti nobis eliciat, *carnes in vespere* et manna *in mane* tribuat, a serpentum morsibus nos defendat, calciamenta nostra incontrita et vestimenta nostra incorrupta custodiat et transito Iordane
215 terram promissionis nobis *in funiculo distributionis* dividat, ipso prestante qui ait: *vado preparare vobis locum: in domo* | *autem* (R XV, 578) *patris mei mansiones multe sunt.*

[a]

Hiis autem litteris prescriptis et latore presentium festinante
220 ceteros nuntios recepimus quod

[b]

Orate <pro> sociis nostris defunctis, scilicet pro magistro Waltero de Tornacho, archidia-

---

198-217: PG; 218-220[a]: P; 218-220[b]: G.

198 sita G. 199 ad] in G. 200 fluvium] *cf. adn. cr. ad 118.* possent ... ascendere] fluvium ascenderent P. 200 ex] de P. 204-205 suum negotium G. 205 feliciter *om.* G. 206 *pr.* eius] sua G. 208 autem] eum P, *cf. VI, 230.* 210 nobis *om.* G, *cf. adn. cr. ad 212, 215.* et invia] et *om.* P. aquosa G. 211 faciat nobis dulces P. 212 nobis *om.* G, *cf. adn. cr. ad 210, 215.* 214 nostra *om.* P. 215 nobis *om.* G, *cf. adn. cr. ad 210, 212.* 216 vado vobis parare locum P, *cf. comm.* autem *om.* P, textus biblicus. 217 mei] nostri P. 218[b] <pro> *Röhricht.*

202-203 Voir p. 20-21. 204-205 Philipp. 1, 6, cf. VI, 227 et VII, 563-564. 205-207 Ps. 144, 10 et 106, 8; Ps. 21, 24. 207 Tobie 12, 6. 208 Cf. I, 192-193; II, 446 et VI, 230. 209 Exode 13, 21. 209-210 mare ... faciat] Cf. Exode 14, 16-22. 210 in terra ... inaquosa] Ps. 62, 3. 211 aquas Marach] Exode 15, 23-25. aquas dulces] Nombres 20, 9-11. 212 Exode 16, 8. 213 Cf. Actes 28, 3-6. 213-215 Cf. Deut. 29, 5. 215 Ps. 77, 54. 216-217 Jean 14, 2: *in domo patris mei* etc. ... *vado parare vobis locum* (3) *et si abiero et praeparavero vobis locum* ...

soldanus, frater Saladini, qui terram promissionis post mortem fratris sui contra christianos detinuerat, cum audisset quod turris Damiate capta esset, vitam malam morte peiore pre dolore finivit. Novem vero naves cum domno Petro Hanibal et quibusdam aliis Romanis in ebdomada post festum sancti Bartholomei in portu Damiate applicuerunt. Domnus vero P(elagius), Albanensis episcopus, Apostolice Sedis legatus, cum uno principe Romanorum Accon devenit, quem de die in diem cum magno desiderio et spe capiendi civitatem in adventu suo Christi exercitus expectabat. — Datum in exercitu Damiate VIII° die post Exaltationem Sancte Crucis.

cono ecclesie nostre, per quem dominus in Acconensi civitate multà bona operatus est. Orate pro magistro Constantio de Duacho, decano ecclesie nostre, pro domno Iohanne de Cameracho, ecclesie nostre cantore, pro domno Reinero, quondam clerico nostro, nunc autem Sancti Michaelis in Accon pastore, pro H. serviente nostro et pro aliis in exercitu christiano nobiscum ministrantibus. Orate etiam pro sociis nostris defunctis qui, nobis in hoc exilio relictis, ad dominum feliciter transierunt, scilicet pro magistro Thoma cancellario Noviomensi, pro magistro Leonio, qui legebat de theologia in civitate Acconensi, pro magistro Alexandro, nepote magistri R(oberti) cardinalis, pro Iohanne iuniore de Cameraco, nepote cantoris nostri, qui, relictis omnibus pro Christo cum diviciis suis, migravit ad Christum. Quidam autem de familia nostra in expugnatione turris martyrio coronati sunt. Magister vero Reinaldus de Barbachon, ecclesie nostre quon-

[a]: P; [b]: G.

230[b] Accoñ G, *cf. 222, 239-240, et passim:* Acconensis civitas. 235[b] *ante* exilio *del.* s(eculi ?) (s)eculo ?) G, *cf. adn. cr. ad 257.*

228[b] cf. VI, 242[b,c] 230[a] festum] le 24 août. 234-235[a] cum uno principe] Jacques d'Andria, cf. Donovan, *Pelagius*, p. 46, n. 41. 237[b] Un *magister Thomas* est mentionné par Olivier de Cologne, *Hist. Damiatina*, éd. Hoogeweg, p. 172, 5-6: *magister Thomas theologus et doctor bonus et opinionis clare apud Castrum Filii Dei* (c.-à-d. Chastel-Pèlerin) *diem clausit extremum.* Mais ce fut avant l'expédition en Egypte et il semble peu probable que les deux Thomas soient identiques. 240-242[b] Cf. p. 10. 241-242[a] La fête de l'Exaltation de la S. Croix tombe le 14 septembre. 242[b]-246 cf. p. 47.

dam thesaurarius, cum in nocte
Pentecostes matutinas audisset,
missa autem de die solempniter
celebrata, flexo genu ante altare
255 recepit viaticum. Expleto vero
vespertino officio iussit sibi ster-
ni lectum iuxta capellam no-
stram in modico tentorio, nocte
vero eum inunximus oleo sancto
260 infirmorum. Ipse, continuo ha-
bens in ore eum quem fideliter in
vita sua predicaverat, imminen-
te diluculo cum laude dei et gra-
tiarum actione migravit ad do-
265 minum. Ego vero per duos men-
ses ante Damiatam fere usque ad
mortem infirmatus sum, sed ad
laborem et dolorem forsitan pec-
catis meis exigentibus ad<huc>
270 me reservabit dominus, cui est
honor et gloria in secula seculo-
rum. Amen.

G.

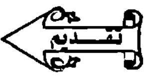
257 *ante* capellam *del.* altare G. 269 ad<huc> *scripsi.*

265-270 Cf. VI, 207-209 et 277-280.



الخطاب الرابع

أما الخطاب الرابع فقد قام جاك دى فيترى بكتابته
فى الفترة ما بين ١٤ سبتمبر و٢٢ سبتمبر من عام ١٢١٨م



يوضح هذا الخطاب مدى الاضطراب وعدم الدقة فى تحديد التواريخ فى النص الأصلى اللاتينى. فمن المفروض أن يكون تاريخ الخطاب الرابع يأتى منطقياً بعد الخطاب الثالث، ولكننا نجد أن الخطاب الرابع قد كتبه جاك دى فيترى فى عام ١٢١٧م، بينما الجزء الثانى من الخطاب الثالث جاء فى النص الأصلى عام ١٢١٨م.

كتبه جاك دى فيترى أثناء عودته إلى بلاد الشام عندما استشعر عدم وصول إمدادات من الغرب "حملة الامبراطور فردريك الثانى" وركز فى الخطاب على الخُطب والعظات الدينية لشحذ همم الصليبين حتى تصل الإمدادات من الغرب.

ترجمة النص إلى العربية :

أكتب من الأرض المقدسة إلى السيد هونوريوس ببركة الأب الموقر (يعقوب) وسائر أفراد بعثة التبشير المكلفين بخدمة الرب يسوع المسيح

ونحن نعمل كجنود للرب، فإن منا من يكون مريضاً ويتحمل آلام المرض من أجل الرب يسوع حيث أننا نحصل على التعزية من خلال مراحم (رحمة) الرب حيث نجد أن الرب يسوع المسيح قد ذكر فى الإنجيل "أن من أحب اماً او اباً او اخاً او اختاً أكثر منه "أى من يسوع المسيح" فإنه لا يستحقه".. فإننا فى ذواتنا لا نعد شيئاً بالنسبة إلى المهمة المقدسة المعطاة لنا، ولا حتى الرجم بالحجارة يمكن أن يفت فى عضدنا، بل أن الرب ذكر أن المؤمنين به يجعل الروح القدس تفيض أنهاراً من الماء الحى وهو ما علق عليه الرب يسوع المسيح عندما سأله واحد ما أعظم الوصايا فى الناموس فقال له "تحب الرب إلهك من كل قلبك ونفسك وتحب قريبك كنفسك" وهكذا فإن السؤال الموجه إلينا دائماً "أين قلبك؟".أى ما يشغل بالك. فهذا هو الأمر الهام الذى يجب أن نشغل أنفسنا به.

وهكذا فإننا نتضرع دائماً من خلال الصلاة ، وبدموع منهمرة تفيض أنهار الروح القدس فى قلوبنا وتخضع أنفسنا للرب، ولا نخشى السيوف والسهام والحجارة، ونحن نواجه كل المخاطر.

هذا هو مشروعنا الذى نوجه كل مجهوداتنا له، وهذا يتطلب منا الخضوع التام لمشيئة الرب لكى يوجهنا كما يشاء، ويشاركنا فى ذلك كل الأحباء المخلصين للرب من خلال النعمة التى يهبها الرب. هذا الإيمان هو بمثابة النور الذى يبدد ظلمة المضايقات التى تحدق بنا، وكذلك الجسر الذى يوصلنا إلى هدفنا السماوى، ونحن نتحرك من خلال هذا الدعم فى كل الأماكن لا نبالى بما قد يصادفنا من أخطار كما قال حزقيال النبى: "نحمل كالمياه التى تتحرك تلقائياً، او دعونا نقول، إننا بمثابة سفن مستعدة لكى يحملها التيار إلى المرفأ الذى يقصده الرب".

لقد حل عيد الصليب المقدس فى شهر سبتمبر ونحن نتأمل قول الرب يسوع "لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، بل من الذى يهلك الجسد والنفس فى نار جهنم ".

وهكذا نجعل عيوننا الروحية متجهة إلى رب ، فلا نبالى فى حربنا ضد من ينصب نفسه عدواً لنا مهما كان يملك من أسلحة. حدث ذلك ونحن نتجه نحو دمشق وصور.

لقد نال منا التعب مبلغاً كبيراً ونحن نتنقل بين عكا وبيت المقدس، وسمعنا فى تلك الأثناء أنه قد حدث هجوم على أرض مصر فتذكرنا قول الرب يسوع : "بدونى لا تقدرون على أن تفعلوا شيئاً" وهكذا فإننا نبشر من خلال قوة الرب معنا، ونحن فى هذه الحرب كجنود للمسيح لا يمكن أن يهرب واحد وهو يملك كل هذه الوعود الثمينة، ولعل أبرزها ما قاله داوود فى مزمور ١٧، ٢٣ "من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى اعيننا". وكان يقصد خلاص الرب الذى يهبه للمؤمنين به. وكل جندى يضع الموت نصب عينيه فلا يحفل به إذا ما أنشب أظفاره فيه.

نحن نثق أن الرب الذى رعى شعبه فى الصحراء وكان يقودهم بعمود نور فى وسط السحاب أى أنه كان يتولى توجيههم، ويحدد الجهة التى يجب أن يسيروا فيها رغم مخاطر الصحراء، بل أيضاً لم يتأخر فى إمدادهم بالمن والسلوى ، ولم تستطيع الحيّات أن تؤذيهم ، ولا أن تبلى جلود أحذيتهم ، حقاً كان الرب يحفظ شعبه إسرائيل ولم يتأخر عنه فى عبوره البحر الأحمر. وتكرر نفس الأمر عندما عبر شعب إسرائيل نهر الأردن . ولا ننسى وعد الرب يسوع لجيميل "أنا أمضى لأعد لكم مكاناً ومتى أعددت هذا المكان آتى لآخذكم حيث أكون تكونون انتم أيضاً" صلوا من أجل رفقاننا الذين رقدوا فى الرب ولأجل رئيس خدم الرب "والتردى توناكو" وكذلك الأخ سلادينى، وكذلك أولئك الذين قاتلوا السيد بيتر وهانيبال .. والذين واجهوا الرومان، وكان هذا فى عيد القديس بارثليمو فى ميناء دمياط ، وكذلك الأسقف البانينس، وكذلك الكرسي الأسقفى، ونحن جميعاً نعمل عمل الرب بكل حمية ورغبة.

كانت هذه الرسالة فى اليوم الثامن بعد عيد الصليب المقدس. أخيراً لاتنسوا أن تصلوا لأجل كونستانس دى دواكـو، وهـى خادمـة فـى كنيسـتنا المقصـود بالخـادم هنـا المعنى الروحى وليس المعنى الحرفى للكلمة وهى بمعنى "عـامل" وكذلـك السـيد يوحنـا وهو يعمل فى كورسى الكنيسة، وكذلـك السيد "رينـو" فـى هيئـة رجـال الديـن، وكذلـك القديس ميخائيل، وهو يعمل راعياً، وكذلك الآخرين الذين يعملون فى الجيش المسيحى لخدمة الإنجيل، صلوا أيضاً لأجـل أولئـك الذيـن رقـدوا فـى الـرب، وكذلـك للسيد توما والسيد ليونو والذى كان يتولى التعليم، وأيضاً السـيد إسكندر وهـو ابـن أخ يعمـل فـى كورسى الكنيسة، وكذلك للشهداء الذين نالوا الأكـاليل ، والآن نحـن نحتفـل بعيـد يـوم الخمسـين "وهـو أحـد الأعيـاد اليهوديـة التـى احتفـل بهـا المسيحيون فيما بعـد" وقـد قمنـا بدهن المرضى بالزيت المقدس فى سر المسحة للمرضى وليكـن المجـد للرب فـى كـل الأجيال .. آمين.

فبنعمة المسيح وبركة الأسقف "يعقوب" نرسل إليكـم هـذه الرسـالة، وذلـك فـى عام ١٢١٧م من تجسد المسيح وذلك بخصوص ملك المجر، وملك قبرص قائد النمسـا وملـك بيـت المقـدس الذيـن يلعبـون دوراً بـارزاً فـى الأحـداث المحيطـة بنـا، حيـث أن الحروب التى نشبت فى كل مكان قد أتت على شجر الزيتون وكل الأشجار دلالـة علـى الخراب الذى حل فى كل جهـة حيث أن الاعتـداءات التـى قـام بهـا بلفـورت ومـن بعـده بليناس والتى أصابت قيسارية فيليب قد قضت حتى على الحيوانات المفترسـة. تذكرنـا ذلك ونحن نحتفل بعيد الظهور الإلهى "وهو عيد ميلاد المؤمن الروحى بذكرى معموديـة المسيح" أو بمعنى آخر "عيد المسـيح علـى يـد يوحنـا المعمـدان" حيـث تكـون الأعيـاد فرصـة للتـأمل والخروج عن الأساليب العادية فى حياتنا وفى تلك الأثناء هجم ملك قبرص على مدينة طرابلس مما سبب خسائر فادحة وكذلك قام جيش كبير بالهجوم علـى قيسـارية فيليـب وهى تقع بالقرب من بيت المقدس.

وقد قام القادة بدور كبير في درء الخطر عن البلدان. وكانت كنيسة كولونيا والكنائس في أسبانيا قد لعبت دوراً هاماً في التقليل من الخسائر. وتم عقد كثير من الاجتماعات لمناقشة الأوضاع الخطيرة، وقد أحسسنا بقوة الروح القدس علينا في عيد الصعود حيث كنا نستمد منه الدعم ونحن نتحرك في البحر. وهكذا فإن التجارب هي التي تقوى الإيمان وتنبع من داخلنا أنهاراً من ماء حتى كما قال الرب يسوع المسيح في إنجيل يوحنا حيث أنه رغم الطرد والتنكيل الذى يحيط بالمؤمنين فإن إيمان المؤمن لا يضعف بل يزداد حيث أننا نتحرك وفق الإرادة الإلهية.

وإننى الآن أواصل الدراسة في الكتاب المقدس ، بالإضافة إلى الصلاة، حيث أن هذا هو الطريق الذى يجعلنا نتحمل الآلام والشتائم التي توجه إلينا من الأعداء إذ أن الرب يسوع المسيح يمد يده ليقدم لنا العون فنحن من خلال صليب يسوع المسيح نحقق النصرة ولهذا فهو يستحق التسبيح والحمد في كل الأجيال.

آمين

❖ هنا ينتهي الخطاب الرابع ❖

الخطاب الخامس

V

R XV, 579

Sanctissimo patri ac domino Honorio, sancte et universalis ecclesie summo pontifici I(acobus), divina providentia Acconensis ecclesie minister humilis, tam debitam quam devotam cum osculo pedum reverentiam.

5 Cum orientalis ecclesia ab origine sua, instar illius *regine*, que *a dextris* regis *in vestitu deaurato*, virtutum *circumdata varietate* astitisse perhibetur, prerogativa re<li>gionis floruerit et sue lucis radios ad partes occidentales transmiserit, a tempore perfidi Machometi usque ad tempora nostra, consenescentis mundi die 10 vergente ad vesperam, passa eclypsim tetendit ad occasum, immo fere pervenit ad defectum; et que crebris pressurarum tonsionibus concussa, sevientis inimici vibratam hastam, cedere nesciens, ad pugnam edocta[m] constanter sustinuit, fallacibus pseudoprophete persuasionibus et carnali[bu]s voluptatis illecebrosis fluxibus emol- 15 lita et miserabiliter irretita, immo graviter sauciata, succubuit, et *que nutrita erat in croceis, amplexata est stercora, derelicta* a domino *tanquam umbraculum in vinea et tanquam tugurium in cucumerario*. Que tamen in quibusdam membris suis, quasi pauci *racemi finita vindemia* et *pauce olee* post concussionem olive, quasi Iob in terra 20 Hus et Loth in terra Sodomorum, quasi *lilium inter spinas*, inter

1-4: P; 5-20: P. Historia Orientalis, c. XV (BO, 1064, 7-20).

1-43 om. R.   3 *formulam salutationis restitui*: tam devotam quam debitam P.   5 cum] cum autem BO, 7.   regine BO, 7] regionis P.   6 virtutum *om.* BO, 8.   7 religionis BO, 9.   8 radios] primitivos radios BO, 9.   a] et a BO, 10.   9 nostra BO, 10] nostri P.   10 eclipsim passa BO, 11.   12 vibrantem BO, 13.   13 edocta BO, 13.   14 carnalis BO, 14.   voluptatis BO, 14] voluntatis P.   14-15 emollita BO, 15] emolita P.   15 immo] quin imo BO, 15.   15-16 et amplexata est stercora que nutrita fuit in croceis BO, 15-16.   16 derelicta a domino] Et propter hoc a domino derelicta est BO, 16-17.   18 tamen BO, 18] tantum P.   19 post] cum P, *corr.* Martène.   quasi BO, 19] que P.   20 Hus BO, 19] hac P.   terra] regione BO, 19.

5-29 = *Historia Orientalis*, ch. XV, *ad quantam miseriam devenerit orientalis ecclesia* (BO, 1064, 7-28).   5-6 Ps. 44, 10.   10 Cf. VII, 199.   11 Cf. Grégoire, *Moralia*, XXX, 14 (Migne, PL LXXVI, 532-A): *tribulationum praesentium tunsionibus*.   16 Lamentations 4, 5.   16-17 Isaïe 1, 8.   18-19 Isaïe 24, 13.   19-20 Cf. Job 1, 1: *Vir erat in terra Hus, nomine Iob*.   20 Loth] Genèse 13, 12. — *lilium inter spinas*] Cant. des Cant. 2, 2.

malleum et incudem adhuc perseverans, cogitur proclamare: *o vos omnes qui transitis per viam, attendite et videte si est dolor sicut dolor meus: filios enutrivi et exaltavi, ipsi autem spreverunt me; quomodo obscuratum est aurum, mutatus est color optimus; nolite*
25 *me vocare Noemi, id est pulchram, sed vocate me Marach, id est amara<m>, quia amaritudinibus me replevit omnipotens.* Hiis vocibus vidua paupercula tempestate divulsa non cessat clamare et coram domino genua flectere et ad ostium misericordie eius indesinenter pulsare, cuius *afflictionem* dominus *respiciens* in diebus nostris
30 multis eiusdem ecclesie filiis inspiravit ut matris sue compaterentur doloribus; qui relictis uxoribus et filiis et venditis terrenis hereditatibus, ut meliorem et eternam in celis consequerentur hereditatem exierunt *de terra et cognatione sua et de domo patris sui—egredientes ad ipsum extra castra, improperium eius* et *stimata in corpore*
R XV, 580 35 *suo portantes, contendentes intrare per angustam portam,* | *artam viam* peregrinationis, *que ducit ad* eternam patriam, ingressi — et labores multiplices pro nomine Christi sunt aggressi. In huius autem tam copiose messis ubertate *benedicens* dominus *corone anni benignitatis sue, messuit myrram cum aromatibus suis, comedit favum*
40 *cum melle suo, bibit vinum cum lacte suo:* quidam enim maximis tempestatibus, alii variis infirmitatibus, quidam vero proprii sanguinis effusione a torcularibus huius presentis et contemptibilis vite ad celestia cellaria, ad celi palatia, ad eterna gaudia transierunt.

21-29: P, Historia Orientalis, c. XV (BO, 1064, 20-28); 29-43: P.

25 vocari P, *corr.* Martène. Mara BO, 24. 25-26 amaram BO 24. 26 me amaritudinibus BO, 24. hiis] his et consimilibus BO, 25. 27 non ... 29 cuius] dum clamare non cessaret et coram piissimo domino genua flectere et ad ostium misericordie eius sine intermissione pulsare non desisteret, eius BO, 25-27. 29 afflictionem et humiliationem BO, 27. 33 de (domo) *scripsi coll.* de terra *et Gen. 12, 1*] a P. 38 dominus *correxi*] dominum P. anni *correxi*] agni P. 38-39 benignitas P, *corr.* Martène.

22-23 Lamentations 1, 12. 23 Isaïe 1, 2. 24 Lamentations 4, 1. 24-26 Ruth 1, 20. 29 Genèse 31, 42; Exode 4, 31, cf. II, 63-64; VII, 146. — respiciens] *respiciens, cuidam pauperi et religioso homini de regno Francie, in Ambianensi episcopatu* (Amiens) *vitam eremiticam agenti, qui et Petrus Eremita dicebatur, inspiravit qualenus sepulchrum dominicum et loca religiosa et reverenda visitaturus cum multo labore et periculo Hierosolymam adiret* BO, 1064, 28-31. 31 Cf. IV, 110-111. 32 Cf. I Pierre 1, 4. 33 Genèse 12, 1. 33-35 Hébreux 13, 13 et Galates, 6, 17. — stimata] voir p. 64. 35-36 Luc 13, 24 et Mathieu 7, 14 (*quam ... arta via est que ducit ad vitam*, cf. IV, 8). 38-39 Ps. 64, 12. 39-40 Cant. des Cant. 5, 1.

Postquam enim duce domino in portu Damiate iuxta campos
45 Thaneos supra Nili fluvium applicuimus, magna pars exercitus
domini quasi ad epulas invitata orans et *exultans in domino* per
totam estatem fere absque ullo dolore *obdormivit in domino* de
fluxu ventris. Inminente autem hiemali tempore cum iam turrem
fortissimam que in medio Nili inter nos et civitatem sita erat,
50 *in manu forti et brachio extento*, cum magno labore et sanguinis
effusione nostri mirabiliter expugnassent ita, quod decem ex nostris,
qui per scalam turrem ingressi sunt, CC et L ex adversariis partim
interfecerunt, partim in captivitatem redegerunt, confregimus et
cathenas ferreas que a turri in civitatem protendebantur ne naves
55 ad superiora fluminis possent ascendere. Sarraceni vero tot naves
in flumine submerserunt totque alia obiecerunt impedimenta, quod
per totam hiemem in sabulo super fluvium commorantes nec naves
nostras ad superiora fluminis protrahere, nec fluvium ut ex pro-
pinquo civitatem obsideremus potuimus pertransire, exceptis
60 paucis admodum navibus quas cum magno periculo inter turrem
et civitatem, per lanceas et spicula et lapides et ignem et ictus
petrariarum deduci fecimus, paucis tamen ex nostris interemptis.
Venerabilis autem pater Albanensis episcopus, Apostolice Sedis
legatus, absque dampno rerum suarum et personarum cogonem
65 suum fecit ad superiora fluminis protrahi, ego vero meum cum
ducentis fere hominibus, quibusdam tamen ex illis interfectis et
vulneratis, deduci feci, post hec vero barbotam meam cum viginti
hominibus in flumine amisi, quorum sex captivi ducti sunt, reliqui

---

PR (=α).

44 postquam] hinc incipit R. 44-45 iuxta ... supra] in ... iuxta P. campos Thaneos *correxi coll. IV, 66*] campotaneos α. 46 domini] nostri R. invitati R. 47-48 obdormivit ... ventris] fluxu ventris obdormivit in domino R. 48 turrem] terram P. 51 expugnaverunt R. 52 CCL R, *cf. IV, 163*. 52-53 partim interfecerunt *om.* R. 53 reduxerunt R. et *om.* R. 54 cathenam ferream R, *cf. IV, 117, 198-199, 201*. pertendebantur P, *cf. IV, 117, 199*. 55 vero *om. R*. 56 obtexerunt R. 57 super fluvium *scripsi coll. VII, 174*; Crane, *Exempla*, 252, 6] fluvium (*om.* super) P, super flumine R, fluminis *Röhricht*. 58 nostras *om.* P. 58-59 protrahere, nec ... potuimus *scripsi*] pertrahere (*cf. 54, 63*) nec ... potuimus P, protrahere non poteramus nec ... potuimus R. 58 fluvium ut *om.* R. 60 cum *om.* P, *cf. 50*. 61 et lapides] et *om.* R. 62 tamen *om.* R. 65 protrahi fluminis P. 66 hominibus fere P, *cf. 70*. interfectis et *om.* R. 67 vulneratus P. 68 amisi in flumine R. quorum *om.* R.

---

46 Cf. Luc 14, 16-24. — Isaie 41, 16. 47 Actes 7, 60. 50 Deut. 5, 15. 51 Cf. IV, 162-163. 52 CC et L] cf. IV, 163. 61-62 Cf. IV, 148-149.

R XV, 581 vero pugnando | viriliter interfecti sunt. Cogo autem Templariorum,
70 cum prope civitatem pertransiret cum triginta fere hominibus, a Sarracenis est detentus; qui tamen viriliter resistentes, postquam multos ex adversariis occiderunt et cum iam amplius ingredientium Sarracenorum impetum sustinere non possent, circiter quingentos Sarracenos armatos secum in flumine cum navi submergentes, ad
75 modum Samsonis *plures moriendo quam vivendo* peremerunt. In illa autem hieme non multi ex nostris, multi autem ex Sarracenorum militibus nostrorum gladiis interempti sunt: nam die quadam, cum multi ex Sarracenis cum galeis suis galeas nostras vellent invadere, plusquam mille qui in terram ex parte nostra descende-
80 rant, a paucis militibus nostris partim interiecti sunt gladio, partim in flumine perierunt. Non longo post tempore cum quadam die multi ex Sarracenis fecissent quendam pontem in superiori parte fluminis ut ad nos transirent, pauci ex militibus nostris occurrentes plusquam duo milia interfecerunt. Multi autem ex
85 Egyptiis dum fugerent eo, quod dominus pro nobis pugnaret, *submersi sunt quasi plumbum in aquis vehementibus*, nostri vero sani et incolumes, duobus tamen martyrio coronatis, ad castra cum magno triumpho redierunt. Non tamen divine placuit providentie illud tempus hiemale, quo morati sumus in sabulo, absque multiplici
90 lucro animarum pertransire: immisit enim dominus nostris morbum nulla arte medicorum curabilem, morbum contagiosum absque fisicis rationibus magne parti exercitus nostri divinitus immissum

PR (=α).

69 vero P. 70 transsiret (*sic*) R. 72 ex] de P. 73 circa R, *cf. VI, 252[a]*; Greven, *Exempla*, 18, 19-20 (= Frenken, *Exempla*, 18, 3). 76-77 Sarracenorum militibus] Sarracenis (*cf. 78*) P. 77 sunt interempti R. die quadam, *cf. VI, 171*] in die quadam R; *cf. 81-82*. 78 galeas nostras *Röhricht*] galleis nostris R, galleas suas P. 78-79 vellent invadere] possent evadere P. 79 in terram] ad terram Egypti P. descenderunt P. 80 nostris militibus R. sunt *om.* P. 81 longe post tempus P. 82 multi ex Sarracenis] *om.* P, *cf. adn. cr. ad 83*. quendam *om.* R. 83 transirent] transirent Sarraceni P, *cf. adn. cr. ad 82*. pauci *om.* P. 84 occurrentes] *nescio an scribendum sit* <eis> occurrentes. *nescio an scribendum sit* duo milia <ex ipsis> *coll. 174, cf. VI, 32*. 86 sunt *om.* R. 87 duo tantum coronat (*sic*) sunt martirio, ad R. castrum R. magno *om.* P. 88 non placuit tamen divine provintie (*sic*) P. 89 sumus] sunt] P. 90 nostris *om.* P. 92 rationibus *om.* R.

72-73 Cf. IV, 151-152. 75 Juges 16, 30; même comparaison chez Olivier de Cologne, *Hist. Damiatina*, éd. Hoogeweg, p. 195, 1-2. 85 Exode 14, 25. 85-86 Exode 15, 10. 86-87 Voir sur I, 191.

vel ad purgationem peccatorum vel ad maiorem promerendam coronam: femoribus enim et tibiis primo ingrescentibus et deinde
95 putrescentibus, carnibus etiam superfluis in ore subcrescentibus, diutius absque dolore magno languentes et paulatim corde deficientes cum suis loquendo et iugiter deum deprecando, more dormientium claudentes oculos et spiritum suum domino commendantes relictis corporibus ad gaudia supernorum civium evolabant. In
100 diebus illis venerabilis pater magister R(obertus) de Corson, | (R XV, 582) tituli sancti Stephani in monte Celio cardinalis, vir litteratus et devotus, affabilis, liberalis et benignus, *zelum dei* habens et liberationem terre sancte ardenter desiderans, feliciter migravit ad dominum, una cum venerabili patre Parisiensi episcopo et quibusdam
105 aliis nobilibus qui se et sua domino optulerant, *quorum nomina scripta sunt in libro vite*. Ex asperitate autem hiemis et terrore frigoris preter solitam habundantiam fluvii et maris intumescentis inundationem multi ex nostris, longe autem plures ex Sarracenis interierunt, et nisi dominus misertus suorum mirabiliter avertisset
110 dum aqua marina subito et cum impetu ad castra nostra perveniret, vix aliquis ex nostris evasisset; sed nostri divinitus ut credo inspirati paulo ante amplum fossatum fecerant in sabulo circa castra nostra, non quia maris inundationem quam nunc advertebant timuerunt, sed ut naves nostras absque periculo ab inferiori parte
115 fluminis ad superiora per fossatum trahere valerent. Cum autem aqua maris sevientis et ripas per unum miliare versus castra nostra

---

PR (=a).

93 peccatorum purgationem P, *cf. VI, 167.* 94 coronam] personam P. enim *om.* R. et deinde ... 95 subcrescentibus *om.* R. 96 magno labore R. 98 suum *om.* R. 100 magister] noster P. 102 zelum domini R, *sed cf. I Macc. 2, 54.* 103 sancte terre R. 105 nobilibus, *cf. VII, 487*] *fortasse* nobilibus <viris>, *cf. 253, 256-257 et VI, 200 (cf. p. 51).* optulerunt R. 106 in celis vel libro vite P. terrore, *quod num recte traditum sit dubitari licet*] in tempore P. 107 fluvii *om.* R. 108 inundatione P. longe autem plures] plures tamen R. 109 miserabiliter P. 110 et *om.* R. cum impetu *post* castra nostra R. 111 ut credo divinitus P. 112 paululo R. fecerunt P. 113 nostra *om.* P. 114 inferioris P. 115 autem *om.* R. 116 maris aqua P.

93-94 Cf. VI, 167-168. 94 coronam] cf. I Cor. 9, 25. 98 spiritum suum etc.] cf. I Pierre 4, 19; Ps. 30, 6 = Luc 23, 46. 99/100-104 Voir Greven, *Frankreich*, p. 19, n. 14-15. 102 zelum dei] I Macc. 2, 54. 104 Pierre, évêque de Paris depuis 1208; cf. Guillaume le Breton, *Gesta Philippi Augusti* (*Recueil des historiens des Gaules*, XVII (1818), p. 92-A, B. 105 se et sua] voir l'app. cr. sur II, 233. 105-106 Apoc. 13, 8 et 17, 8, cf. 21, 27. 110 subito et cum impetu] cf. II, 41-42.

egredientis metas consuetas excedens redundaret, quidquid invenit
extra fossatum nostrum submersit, scilicet tentoria cum victualibus;
quibusdam autem ex nostris submersis, alii, qui se intra fossatum
120 receperunt, per dei gratiam evaserunt. Cum autem ad fossatum
perveniret et ab alveo fossati usque ad alveum fluminis perflueret,
ruptum est fossatum nostrum ex parte castrorum nostrorum in
quibusdam locis, et cum iam inciperemus submergi obicientes vela
navium cum tabulis et sabulo et cadaveribus animalium submer-
125 sorum, cum ingenti labore, sicut domino placuit, tam periculosum
et improvisum diluvium evasimus. Interim autem, cum hec ageren-
tur a nostris, venerabilis pater Albanensis episcopus, Apostolice
R Sedis legatus, una cum patriarcha Ierosolimitano et | archiepiscopis
XV, 583 et episcopis et universo clero, indicto a principio triduano ieiunio
130 in pane et aqua, qualibet VI[a] feria cum psalmodia, letania et devotis
supplicationibus nudis pedibus in processione procedentes popu-
lum exhortaba<n>tur ut *clamarent ad dominum* et divinum
implorarent auxilium, in illo solo *spei anchoram* figendo qui salus
est humilium, consolator afflictorum et miseriarum medela, qui
135 *non in fortitudine equi voluntatem habebit nec <in> tibiis viri bene-
placitum erit ei*, qui potens est vincere quando vult et quomodo
vult, eque in paucis ut in multis. Omnia autem prostibula et eos
qui tabernas ad potandum frequentabant, eos etiam qui cum
deciis et aleis ludebant tam sanctum negotium quantum in se erat
140 fedantes et corrumpentes, † partim per excommunicationis senten-
tiam ab exercitu Christi vir providus et in officio sibi commisso

PR (=α).

117 invenit *om.* R. 119 inter R. 121 ab alveo fossati *om.* R. per-
flueret *Röhricht*] perfluat α. 122 nostrum *om.* R. 123 iam *om.* R.
mergi R. 124 cadavera R. 126 invasimus R. autem *om.* R.
129 indicto ieunio (*sic*) a primo triduiano (*sic*) R; *cf. Oliv. Colon. Hist. Dam.*,
ed. Hoogeweg, p. 191, 8: premisso triduano ieiunio. 130 in] et in R.
XI[a] R[a], cum R. letania] et letania R. 130-131 devotis orationi-
bus R. 132 exhortaba<n>tur *Martène.* ad dominum] in celum P,
cf. II, 100. 134 consolator] et consolator R. miserorum R.
135-136 nec ... ei] et cetera P. 136 quando vult vincere P. 138 tha-
bernam R. 139 ludebant *post* corrumpentes (*140*) P. 140 fedantes]
defendentes R. † partim] *corruptelam statui: desideratur alt.* partim.
141 ab exercitu *om.* R. vir] vix R.

131 procedentes, cf. 127-129] voir sur II, 231-232. 132 Voir sur II, 100.
133 (VII, 151) Hébreux 6, 18-19. 133-134 salus ... humilium] cf. Ps.
36, 39. 134 miseriarum medela] cf. Eccli. 38, 2. 135-136 Ps. 146, 10.
141-142 Voir p. 21, n. 1.

sollicitus eliminabat. Imminente vero Quadragesima misertus dominus afflictionis populi sui cum iam naves per predictum fossatum ad superiora fluminis cum magno labore traxeremus, fluvium autem
145 absque magna sanguinis effusione transire nequaquam valeremus, inmisit dominus regi et exercitui Egyptiorum tam pingui unum formidinis aculeum, quod nocte fugientes castra sua cum tentoriis et parte magna supellectilis sue et navium et animalium nobis relinquerunt. Illi vero qui erant in civitate, videntes dominum suum cum universo
150 exercitu suo a facie nostra fugisse, fugerunt ex maiori parte ita sese comprimentes in porta, quod fere mille utriusque sexus, in compressione suffocati, mortui sunt; alii vero omnes fugere proposuerant et nobis vacuam relinquere civitatem, sed nostri festinantes et summo mane fluvium absque hostium impedimento
155 transeuntes cinxerunt undique civitatem, tam per aquam quam per terram eam obsidentes, pontem etiam fortissimum super naves fabricaverunt ut hii, qui in sabulo ex parte alia ad custodiendum fluvium et portum remanserant, si opus esset, auxilium absque mora et impedimento ferre possent. Audiens autem Coradinus rex
160 Damasci fratrem suum, scilicet soldanum Egypti, predicto modo fugisse, congregata multitudine copiosa Turcorum descendit ad partes Egypti ut fratri suo et civitati obsesse | succurreret festinanter. Sed et illis, qui iuxta Eufraten fluvium commorantur et qui in partibus Babylonie et Alexandrie, in partibus etiam orientalibus
165 valde remotis habitant, in unum contra nos congregatis, nostris non visum est expedire tante multitudini cum armis occurrere eo, quod magna pars ex nostris egritudine detinebatur, equi vero nostri ex maiori parte per totam hiemem mortui fuerant, residui vero debiles erant et macilenti. Habito autem consilio ex utraque parte fossati
170 cum propugnaculis nostrum cinximus exercitum, Turci vero tam per fluvium cum galeis quam per terram cum gladiis, arcubus et

R XV, 584

PR (=α).

144 fluvium autem] et fluvium P. 145 effusione sanguinis P. 146 regi ... unum] regi Egyptiorum et exercitui eius tam fugitivum R, *sed et* unum (P) *num sanum sit dubitari licet.* 147 fugientes *Röhricht*] fugiens P, fugere si R. 150 maiore P, *cf. 168.* 151 se R. componentes R. 152 mortui *om.* R. vero] autem P. 152-153 proposuerunt R. 154 hostium *om.* R. 155 civitatem undique R. 156 eam *om.* R. 157 fecerunt R. 162 partem R. festinanter *post* Babylonie (*164*) R. 163 fluvium Effraten R. 164 Alexandrie et Babilonie R, *cf. IV, 41.* 165 habitaba<n>t R. 166 tante multitudini expedire P. 168 fuerant ... 169 erant] fuerunt ... fuerunt R. 169 autem *om.* R. 170 nostris R.

147 nocte] dans la nuit du 4 à 5 février 1219.

balistis ex parte fossati in sabulo insultum acerrimum contra nos facientes, divino nos protegente subsidio ad castra sua confusi redierunt, duobus fere milibus ex ipsis partim interfectis, partim
175 vulneratis; de nostris autem pauci admodum interfecti sunt, quidam autem leviter vulnerati, sed et machinam vehementer succensam, quam super naves fabricatam ad pontem nostrum ut ipsum comburerent transmiserant, absque aliquo pontis dampno, nostri retinuerunt. Extunc autem expectabant Sarraceni ut, quando in-
180 sultum in civitatem faceremus, ipsi ex alia parte insultum in castra nostra facerent et ita nos ab impugnatione civitatis retraherent et impedirent. Nos interim petrarias, trabucula, scalas et alia bellica preparantes instrumenta, sub terra etiam fodientes ut turres murorum deiceremus vel civitatem per meatus subterraneos ingredere-
R 185 mur, | confidimus in domino, quod civitatem tradet in proximo
XV, 585 in manus christianorum: pauci enim in civitate remanserunt et victualium penuria quam plurimum affliguntur. Coradinus etiam cum magna parte exercitus in proximo recedere † cogebatur eo, quod audierat soldanum Yconii et regem Armenie et filium Saladini
190 cum innumerabili multitudine tam equitum quam peditum fines eius ex parte Halapie et Damasci ingressos et contra ipsum Coradinum ut terram suam sibi auferrent pugnaturos. Optenta autem a nostris civitate Damiate, que clavis est totius Egypti, adiuvante domino totam terram residuam de facili Christi subiciemus imperio,
195 et sic demum *cum gaudio et exultatione*, cum triumpho et gratiarum actione ad terram promissionis ducente domino et orationibus vestris cursum nostrum dirigentibus reverte[re]mur.

172-183: PR (=α); 185-197: P.

174 fere] vero P. 174-175 partim vulneratis, partim interfectis P, *cf. V, 52-53, 66-67 et 80-81; VI, 194-195 et 199.* 177 supra R. ipsum *om.* R. 181 ita *om.* R. civitatis *om.* R. 182 trabucula, *cf. adn. cr. ad IV, 114*] tribuceta P, tribuccam R. 185 confidimus ... 218 om. R. 188 in proximo recedere † cogebatur] *correptelam statui.* 189 Yconie P. *corr.* Röhricht. 197 reverte[re]mur *Röhricht.*

192-194 Ce même sentiment est exprimé dans une lettre du pape Honorius III (novembre 1218, Pressuti 1716, Potthast 5934. Archives du Vatican, 10: III, 136bis, f. 30v-31r): *Rem aggressus est exercitus christianus existens in partibus transmarinis, in qua consistit aut plena victoria aut vincendi desperatio manifesta, sicut hii qui locorum habent notitiam asseverant. Obsedit enim civitatem Damiate opulentam et magnam, quam si dominus in manibus eorum tradiderit, nullum ut fertur aut parvum obstaculum in tota Egypto invenient.* 195 Luc 1, 14.

Sciatis quod ad passagium Pasche de statu exercitus crucis Christi pro fide Christi coram Damiata decertantis, qualiter scilicet
200 in hieme proxima preterita equoreis et igneis, aereis et hostium in transitu fluminis exponebatur periculis, vobis ad plenum significa<vi>mus; quomodo autem in negotio predicto postmodum processum sit, presentibus declaramus. Sci<a>tis, quod per totam estatem preteritam captioni civitatis per ingeniorum erec-
205 tionem et frequenter per terram et aquam insultui vacavimus; et cum predictis operam daremus, Sarraceni, agminibus factis et bellis ordinatis, in manu potenti licias nostras expugnabant ita violenter, quod licias nostras semel intraverunt, quos nos potenter eiecimus et tam equorum quam personarum stragem fecimus
210 copiosam; et huiusmodi vexatione nos a proposito nostro, quod quandoque proximum fuit effectui, revocabant. Cumque consideraremus quod sine bello difficili tantum non opus perficeremus, habita prius magna deliberatione quis castra nostra custodiret et qui nobiscum egrederentur et quis galeas et vasa nostra dirigeret per
215 flumen ad expugnanda vasa et capienda tentoria inimicorum nostrorum, de communi consilio cleri et militie maiorum et minorum, de liciis nostris, agminibus factis et bellis nostris dispositis, tam viriliter quam potenter in die Decollationis beati Iohannis Baptiste ad sedandum *murmur populi* et quorundam clericorum exivimus,
220 habentes in firmo proposito quod, si Sarraceni per virtutem sancte crucis et per ministerium nostrum bello succumberent campestri et nos in castris eorum, que nobis vicina erant ad unam leucam, hospitaremur, et ita nostris per interpositionem nostram securitatem prestaremus invadendi civitatem. Et cum sic cuneis | [R XV, 586]
225 ordinate incedentibus a castris nostris <nos> elongaremus, similiter Sarraceni bellis ordinatis a castris suis exibant ita, quod de bello securi esse credebamus, et nobis procedentibus illi pedem refere-

198-218: P; 218-220: PR (=α); 220-227: P.

200 hostibus P, *corr.* Röhricht. 201-202 significa<vi>mus *scripsi*] *Cf. p.* 53(*V*)-54. 203 sci<a>tis *scripsi.* 218 in die] Contigit autem die R. sancti R. 219 populi] populi nostri R, *cf. 228 et comm.* 219 et ... clericorum *om.* R. exivimus] potenter exierunt R. 220 quod ... 227-228 referebant] contra Sarracenos bellum agere R. 225 <nos> *scripsi coll. 232.* 227 procedentibus *correxi*] precedentibus P.

198-203 Voir p. 53(V). 199-201 qualiter ... exponebatur periculis] cf. p. 33, n. 1. 200 proxima preterita] voir p. 33, n. 1. 203 *pr.* et] explicatif, voir p. 33, n. 1. 207 bellis] cf. 217, 226. 218 le 29 août 1219. 219 Nombres 11, 1. 223 et ita (*alors*), voir p. 33, n. 1.

bant. Cumque ad fossatum eorum devenissemus, quod ipsi ad
emittendum galeas suas in mare effoderant, illi fossatum illud tur-
230 piter dimiserunt indefensum, nostri vero transeuntes neminem
invenerunt resistentem, quia, cum procederent, Sarraceni ordine
retrogrado se elongaverunt. Maiores autem exercitus nostri consi-
derantes quod non expediret nobis eos ita insequi, cum non posse-
mus eos comprehendere et gens nostra. que pedes fuit, siti et calore
235 sabuli detenta et armorum pondere cruciaretur, perpendentes etiam
quod non prodesset nobis ad castra eorum progredi, quia ipsa tentoria
sua subito fuerant asportata, cum assensu minorum asseruerunt
nobis expedire quod ad tabernacula nostra reverteremur; et rever-
tentibus nobis quidam ex Sarracenis a latere, quidam ante, quidam
240 retro, lanceis, sagittis, clavis et pilis et igne greco nos molestabant;
quod nostri pedites et etiam quidam ex nostris militibus non va-
lentes sustinere terga dederunt in fugam et versus licias nostras
reversi sunt irrevocabiles et nos in mediis conflictibus reliquerunt
auxilio eorum destitutos, quorum magna pars calore et siti in sabulo
245 fugiendo extincti sunt. Sarraceni vero in milites nostros postmodum
ita vehementer irruerunt, quod nostri<s> in personis et equi-
taturis intolerabilia damna intulerunt. Quod quidam ex militibus
nostris non sustinentes, quidam inde indignati hostes impetebant;
sed Sarraceni includentes dispersos qui eorum consuetudinem non
250 noverant, eos in tantum clavis et ensibus, pilis et igne greco agita-
bant, quod ipsi succubuerunt, et ita in conflictibus illis perdidimus
ducentos milites de militibus Templi et Hospitalis et aliis pere-

---

PR (=α).

228 devenissemus] pervenissent nostri R. quod ... 229 effoderant *om.* R. 229 ipsi R. 230 demiserunt P, emiserunt R, *corr.* Martène transeuntes *om.* R. 231 insistentem R. 232 nostri *om.* P. 233 nobis *om.* P, *cf.* *238.* ita eos P. 234 eos *om.* P. 235 detenta *om.* R. 236 quod ... 237 minorum *om.* R. 238 quod *om.* P. 239 quidam ante *om.* R. 240 sagittis *om.* R. nos] nostros R. 241 et quidam etiam P. nostris *om.* R. 242-243 terga dederunt in fugam ... reversi sunt] terga dederant ... in fugam conversi sunt P. 243 et nos ... 244 destitutos *om.* R. 244 quorum] sed R. 245 fugiendo *om.* R. vero *om.* R. nostros *om.* P. 246 ita *om.* R. nostri<s> *scripsi,* nostri<s> in *om.* P. 247 intolerabilia] et multa R. quod ... 251 succubuerunt *om.* R. 252 Hospitalariis R, *sed cf. VII, 491*: de fratribus Templi et Hospitalis *etc.*; *(III, 7)*; *IV, 79-80*; *VI, 48-49.*

---

235 et] cf. p. 33. n. 1. 244-245 quorum magna pars ... extincti sunt] voir la note sur II, 231-232. 247-248 Quod ... sustinentes] voir sur IV, 93.

grinis, inter quos nobiles viri electus Belvacensis, domnus Walter domni regis Francie camerarius, filius eius vicecomes de Bellomonte,
255 domnus Iohannes de Archies, domnus Andreas de Espoisse et domnus Andreas de Nantuel, frater supradicti electi, et alii nobiles viri quidam capti, quidam interfecti sunt; de populo vero perdidimus circa duo milia. Inimici vero crucis Christi nostros taliter † cedendo et tabescendo eos nos † usque ad licias nostras insecuti
260 sunt et post hanc nostram confusionem cum spoliis suis ad tabernacula sua reversi sunt non sine tumulto, cachinno et derisione, nec sine dampno magno reversi sunt, et singulis diebus coram liciis nostris revertentes verbis nos contumeliosis irritant et obprobriis lacessunt. Ad hec sciatis quod quidam peregrini metu, quidam quia
265 moram fecerant annuam in exercitu ad transfretandum se preparabant, quod remanentibus timorem pariter generat et rancorem; preterea noveritis quod, sicut a quibusdam exeuntibus a civitate sponte sua et ab aliis in fugiendo captis didicimus, | quod inclusi non habent quod manducent: qui in tantum fame artantur, quod
270 in proximo oportet ut se captivos reddant vel aliquo alio modo pacem faciant, et capta civitate cum adiutorio pauxillo in residuum terre ingressum habebimus facillimum et terra sub<iu>gata cum dei adiutorio in Iudeam revertemur muros matris nostre Ierusalem et aliarum munitionum que sunt in Iudea reedificaturi, quarum muri,
275 turres et propugnacula ad terram funditus prosternuntur.

R XV, 587

253-257: P: 257-258: PR (=α); 258-275: P.

253 inter . . . 257 viri *om.* R. 257 vero *om.* R. 258 milia] hinc desinit R. 259 † cedendo et tabescendo eos nos †] *tota haec sententiae pars propter unam vel plures corruptelas intellegi nequit.* 261-262 nec sine . . . reversi sunt (*cf.* 243), et] *haud scio an lateat corruptela.* 272 sub<iu>-gata *Martène.*

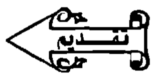
253-256 = VI, 200-203 = VII, 488-490, voir p. 19 et Greven, *Frankreich*, p. 44, n. 110, et p. 47. 265 annuam] voir Donovan, *Pelagius*, p. 55: *With the usual crusade vow leaving the duration of enlistment to the dictates of each one's devotion, there were always some who were ready to go home*, et note 96: *It was Pope Innocent's desire that the crusaders enlist for two years, but in practice there was no consistency.* 271 adiutorio pauxillo] cf. II Paral. 12, 7. 273-275 Les murailles de Jérusalem avaient été détruites dès le 19 mars 1219; cf. VI, 40-43.





الخطاب الخامس

أما عن الخطاب الخامس يتكون من جزئين تم كتابة الجزء الأول منه فى ربيع عام ١٢١٩م عندما كان فى دمياط.
أما الجزء الثانى من الخطاب فقد تمت كتابته فى صيف نفس العام عندما ترك دمياط واتجه إلى عكا ، وكان على وجه التحديد فى شهر مايو ١٢١٩م



يقع الخطاب فى جزئين : الأول منه يتناول الأحداث التى وقعت فى شتاء وربيع ١٢١٨ - ١٢١٩م بين المسلمين والصليبيين أثناء حصار دمياط فى الحملة الصليبية الخامسة.

ويتضح من نص الخطاب أن جاك دى فيترى كان حريصاً على الاتصال بالبابا هونوريوس الثالث بشكل دائم ومستمر ليوقفه على أوضاع الصليبيين فى الشرق، وبالتالى لفت نظر البابا إلى إرسال المساعدات والإمدادات العسكرية لإنقاذ الصليبيين هناك.

ويتبين من الخطاب أيضاً أن الجزء الأول منه قد أرجئ إرساله لعدم تحرك السفينة التى كانت متجهة إلى الغرب بسبب سوء الأحوال الجوية. وفى أثناء توقف السفينة عن الإبحار استأنف جاك دى فتيرى كتابة ملحقاً عن الخطاب، يشتمل على الأحداث التى وقعت فى الصيف التالى.

كما يتضح من الرسالة مدى الجهد والمعاناة التى واجهت القوات الصليبية أثناء السير فى بيئة غريبة وبعيدة كل البعد عن أرض الوطن.

كما توضح الرسالة أيضاً المعنى الحقيقى للهدف الروحى، وفى الوقت ذاته انعدام النظام فى المعسكر الصليبى.

وتبين الرسالة أيضاً الأسى والحزن الذى وقع على نفس أسقف عكا، وبعض الأفراد فى العسكر الصليبى خاصة العلمانيين منهم. كما تبين حالات المرض التى تعرض لها أفراد المعسكر الصليبى والموت بالجملة، وكذلك العنف الذى كان يقع بين الصليبيين من وقت لآخر وأيضاً الهجمات التى كان يشنها المسلمون المتكررة والمفاجئة. هذا فى الوقت الذى فيه الخلاف بين القادة الصليبيين، مما لم يمكن الصليبيين فى النهاية - حسب ذكر جاك دى فترى - إلا من تحقيق نصراً جزئياً. غير أن أهمية الخطاب ترجع إلى أن صاحبه كان شاهداً لأحداث الحملة الصليبية الخامسة على مصر، ومن أصحاب القرار العسكرى فى ميدان القتال، بل ومن المشاركين فى الأحداث بنفسه.

ترجمة النص إلى العربية :

🕮 الخطاب من جاك دى فيترى إلى البابا هونوريوس الثالث يصف الأحداث التى 🕮
وقعت بين المسلمين والصليبيين أثناء حصار دمياط ١٢١٨/١٢١٩م

فى أثناء فترة الصيف، وبعد أن بلغنا مع الرب ـ ساعدنا ـ إلى ميناء دمياط الواقع على نهر النيل وبالقرب من المنطقة المجاورة لسهل تنيس 'Tinnis' قام الجزء الأكبر من جيش الرب بالصلاة والابتهال إليه ثم راحوا فى سبات عميق مع الرب، وكانوا فى هذه اللحظة أشبه بالأشباح الذين دُعوا إلى وليمة دسمة، وظهرت عليهم سمات الكآبة بسبب ما أصابهم من مرض الديسونتريا، وبفضل مساعدة الرب قمنا فى نهاية الشتاء بتدمير برج قوى جداً كان قد تأسس فى وسط النيل وكان يفصل بين قواتنا وبين المدينة، وكان استيلاء قواتنا على هذا البرج قد أذهل العدو ـ المسلمين ـ بسواعد قواتنا ومدد السماء لهم، فقد تمكن عشرة من أفراد قواتنا بعد عناء كبير من دخول البرج بواسطة سلم أعدوه لذلك الغرض وتمكنوا من قتل حوالى مائتين وخمسين من أعدائهم، وأسروا البقية الباقية منهم، ثم قمنا بعد ذلك بكسر السلاسل الحديدية التى كانت تمتد من البرج إلى المدينة، وكانت هذه السلاسل تمنع السفن وتعوقها من الوصول إلى أعالى النيل.والحقيقة التى يجب ذكرها أيضاً، أن المسلمين قد نجحوا فى إغراق بعض السفن فى مياه النيل، وألقوا بأشياء أخرى كثيرة فى مياهه، كيما يعوقوا تقدم قواتنا الأمر الذى جعلنا نبقى طوال موسم الشتاء على البر. إذ لم تتمكن سفننا من التراجع إلى أعالى النهر، كما لم نتمكن نحن من عبور النهر فى اتجاه المدينة بسبب محاصرة المسلمين لنا. وكان من جراء هذه المخاطر الجسيمة أن ندرت السفن التى فى حوزتنا، والتى ترسوا فى النيل بين البرج والمدينة. ورغم وابل السهام والرماح والنبال التى أمطرنا بها

العدو، فإنه لم يتمكن من التراجع سوى الأب المبجل "بلاجيوس" أسقف البانو "Albno" والرسول البابوى ومعه عدد من الرجال ولحمالهم إلى أعالى النيل دونما خسارة تُذكر. وبينما كنت أتراجع أنا "جاك دى فيترى" ومعى مائتين من الرجال على متن إحدى السفن قتل بعض هؤلاء وجرح البعض الآخر.

وعندما أرسلت قاربى وعلى متنه عشرون رجلاً تمكن المسلمون من أسر ستة رجال منهم وقتلوا البقية الباقية بعدما أبلى هؤلاء بلاءً حسناً فى قتال المسلمين. كما تمكن المسلمون أيضاً من أسر قوة من أفراد الداوية التى كانت تعبر النهر بالقرب من المدينة ومعهم ثلاثين رجلاً من البحارة، وكان هؤلاء الرجال قد قاتلوا الأعداء قتال الشجعان ، ونجحوا فى قتل بعضهم وفى الوقت الذى أخفقوا فيه للتصدى للمسلمين نجحوا فى إغراق بعض السفن الإسلامية فى النهر وبها ما يقرب من خمسمائة من المسلمين، وقد تحطمت السفن عن آخرها. وعلق "سيمون" على ذلك بقوله "لقد فاق عدد القتلى عدد الأحياء".

وفى شتاء ذلك العام نجح رجالنا من قتل وذبح العديد من الفرسان المسلمين أكثر مما قتل المسلمون بسيوفهم بعض رجالنا.

وفى أحد الأيام، وعندما كان المسلمون يحاولون إنزال قواربهم فى النهر لمهاجمتنا. قام بعض فرساننا بأسر ألف من المسلمين أو يزيد وأنزلوهم إلى البر وغرق بعضهم وأهلكت قواتنا البقية الباقية فى النهر. وبعد مرور فترة وجيزة على وقوع هذه الحادثة قام المسلمون ببناء جسر فى شمال النهر ليعبروا من خلاله إلى قواتنا "معسكرنا" غير أن بعض قواتنا نجحوا فى أسر ألفين من المسلمين وقتل بعضهم، بينما تمكن بعضهم من الفرار وغرق بعضهم الآخر. مما

أتاح الفرصة أمام قواتنــا مـن السـيطرة علـى المياه وكـان يسـاندنا الـرب. إذ أن الرب كان يقاتل من أجلنا. وقد رجع رجالنا إلى المعسكر وهـم مغمورين فرحـون بهذا النصر الكبير. باستثناء اثنان منهم قد تُوجا بالشهادة.

لقد قضينا فصل الشتاء على البر، ولم نقم بأى عمل يسعد به الـرب لأن السماء قد أنزلت علينا مرضاً لم تتمكن أية مهارة طبية أن تعالجـه. فهـو مـرض معد لانعرف له سبب طبيعى. وقد أصيب عدد كبير من قواتنا بهذا المرض. ربمـا نزل علينا من السمـاء ليطهرنا من آثامنا. أو ربما لكى نكون أكثر أحقيـة بالتـاج. وكانت أعراض هذا المرض هى : تـورم الأفخـاذ والأرجـل حتـى تقرحـت، وكذلـك نماء الجلد الزائد فـى اللـم. وتتمثـل خطـورة هـذا المـرض فـى أنـه لـم تظهـر لـه مقدمات ملفتة للنظر، ولكن استمرت أعراضه فترة طويلـة سـطحياً، ولـم يصحبـه آلام كبيرة حتى أفقد حماسة وشجاعة قواتنا الذين راحوا فى ثبات عميق مبتهلين إلى الله حتى أسلموا أجسادهم وأرواحهم إلـى اللـه آمليـن السـعادة فـى السـماء، وكان من بين هؤلاء السيد روبرت كرســون كاردينـال سـان سيتفانو وكـان علـى درجـة كبيرة من العلم والتقوى والورع، اتسم بالعطف والحنان وكان متحمساً مـن أجـل رضاء الرب. حريصاً على تحرير الأرض المقدسة. ومن بين هـؤلاء أيضـاً، الأب الموقر أسـقف بـاريس وبعض النبـلاء الآخريـن الذيـن قدمـوا أنفسـهم وأملاكهـم للسيد المسيح[1] وقد دون أسماء هؤلاء فى كتاب الحياة.

لقد تميز هذا الشتاء بالبرد القارص وارتفاع منسوب مياه النيـل نتيجـة المد العالى الناتج عن البحر، الذى ابتلع كل شئ ومات العديـد مـن قواتنـا دونمـا قتال مع المسلمين. وبسبب هذه الظروف، وبالإضافة إلـى الغربـة وبعد المسـافة عن أرض الوطن، اضطرت فئة قليلة من قواتنا إلى الهروب أمـام فيضـان النيـل، والذى لم يمنعه الرب عن قواتنا.

---

[1] انظر : Riley Smith, the crusades, Documents of Medievol History 173 - 176

كانت قواتنا قد قامت قبل ذلك بحفر خندقاً واسعاً في الرمال. ليس بسبب خوفهم من المد العالي للبحر، ولكن بسبب إلهام الرب لهم، كيما يتمكنوا من سحب سفننا دون تعرضها للخطر في عرض النهر. غير أن مياه البحر الثائرة قد طغت فوق الكثبان الرملية وغمرتها على امتداد مسافة ميل من حولنا. وبذلك تعدى المد حدوده المعتادة، وأصبح كل شئ مغمور بالمياه من حولنا وأدركت المياه الخيام، وتخللت المتاع، وتمكن البعض من قواتنا من الفرار والنجاة بأنفسهم بينما غرق البعض الآخر.

لقد أغرقت المياه معظم جوانب الخندق عن طريق قناة كانت تتصل بالنهر، ولكن بفضل مساعدة الرب لنا تمكنا من النجاة من هذه الفيضانات الخطيرة، التي فاجأتنا بعد أن قمنا بسد هذه الفتحة وإغلاقها بإلقاء سواري السفن المحطمة فيها والدعامات الخشبية وأجسام الحيوانات الميتة.

وبينما كان رجالنا منشغلين بهذه المهام أعلن الأب المبجل لسقف الباتو "بلاجيوس" والرسول البابوي ومعه بطرق بيت المقدس ورئيس الأساقفة وكل رجال الدين وأعضاء المجلس الإكليري صيامهم ثلاثة أيام عن الخبز والماء، وأعلنوا أن يقوم الجميع وهم حفاة عراة الأقدام في كل يوم سبت بالابتهال والتهجد والصلاة مع المصلين الخاشعين، بالتوسل إلى الرب يطلبون المدد والعون الإلهي، معلقين آمالهم على الرب وحده..طوق النجاة للضعفاء ومطمئن القلوب ودواء المصابين إذ لايفرحه قوة الجياد ولاسواعد الجنود لأن القوة للرب وحده والذي بيده النصر مع القليل أو الكثير على حد سواء. فالرجل الحكيم العاقل هو الذي يستطيع القيام بالأعمال التي توكل إليه أما الذين طردوا من رحمة الرب والكنيسة، فهم أولئك المذنبون، مرتكبي الآثام والفواحش،

والذين يلهون ويضيعون أوقاتهم فى لعبة النرد مثلاً ويثملون فى الحانات والمدنسون الذين فسدت أخلاقهم : فكل هؤلاء لايستطيعون القيام بمثل هذه الأعمال لأنهم بعيدين كل البعد عن الرب مطرودين من رحمة الكنيسة.

ومع كل هذا، وبعد معاناة كبيرة، أنزل الرب رحمته على عباده المعذبين، وتمكنا من سحب القوارب عبر الخندق إلى أعالى النهر بعد معركة أريقت فيها الدماء. وبعد ما أنزل الرب الخوف فى قلب الملك "السلطان الكامل" ومعه عدد كبير من المصريين حتى اضطروا إلى الفرار والرحيل بعيداً، تاركين معسكرهم وخيامهم ليلاً مخلفين وراءهم جانباً كبيراً من أمتعتهم وسفنهم وحيواناتهم والتى تمكنا من الاستيلاء والاستحواذ عليها. هرب معهم سكان المدينة، بعد ما شاهدوا ملكهم وكل قواته يهربون من أمامنا. لقد التقى الجانبان عند بوابة المدينة ومات حوالى ألفاً من كلا الجانبين وقررت البقية الباقية من المسلمين الهرب. وتركوا لنا المدينة خالية وأسرع رجالنا وعبروا النهر فى ساعة متأخرة من الصباح دونما آية عوائق تعوق تقدم رجالنا من قبل العدو، حوصرت المدينة من كل جانب من قبل قواتنا وكذلك أحاطتها المياه من كل جانب أيضاً. كما قامت بعض قواتنا ببناء جسر قوى من القوارب على الجهة المقابلة من النهر لتلقى أية مساعدات طوال اليوم وكذلك حماية وحراسة النهر.

وعندما سمع الملك المعظم ملك دمشق، نبأ هروب أخيه سلطان مصر كما بيّنا الآن قام بجمع قوات كبيرة من التُرك ونزل بهم صوب مصر لإنقاذ أخيه المعظم.

وضرب حصاراً حول المدينة. وعندما أصبحنا فى مواجهة هذه القوة المتحدة من أولئك الذين يقيمون وراء النهر "نهر الفرات" وإخوانهم فى القاهرة والأسكندرية وكذلك من مناطق شرقية أو قرى بعيدة جداً. أدركت قواتنا أنه ليس هناك طائل من الاشتباك مع هذه الجموع المحتشدة والدخول معهم فى قتال، لأن جانباً كبيراً من قواتنا كان قد مرض، كما نفقت معظم جيادنا أثناء الشتاء، هذا فى الوقت الذى أصاب السأم والتخاذل القوة المتبقية من قواتنا، فبادرنا على الفور بعقد مجلساً للتشاور، وقررنا من جديد حفر خندقاً وقمنا بوضع المتاريس حول خندقنا ومعسكرنا.

ومع هذا قامت تلك الحشود سالفة الذكر عن طريق البر والبحر معاً وهاجموا الخندق بالسهام والرماح والأقواس. ولكن مساعدة الرب لنا أجبرت هذه الجموع على التراجع من أمامنا بعد أن قتلت قواتنا ما يقرب من ألفين من الأعداء. هذا فى مقابل بعض القتلى والجرحى من قواتنا بنسبة ضئيلة. وبذلك نجحت قواتنا فى منع قوات العدو من الوصول إلى الجسر الذى أقمناه من القوارب. ولكى يشغلنا العدو عن المدينة قاموا بمهاجمتنا من جهة أخرى ونجحوا بالفعل فى تحويلنا وبالتالى إعاقتنا عن مهاجمة المدينة.

ومع هذا قمنا نحن باتباع وسائل أخرى من أجل التمكن من دخول المدينة فأعددنا آلات للحرب من المنجانيق والحجارة والسلالم، كما قمنا بحفر بعض السراديب والخنادق لإسقاط بعض الأبراج ، وكذلك التمكن من دخول المدينة عن طريق هذه السراديب السرية تحت الأرض، وبهذه الوسيلة يمكن أن تُنتزع المدينة من أيدى المسلمين لتصبح فى أيدى المسيحيين بفضل وعون

الرب لنا خاصة وأن سكان المدينة كـانوا يعـانون مـن نقـص الطعـام، إلـى جـانب مغادرة الملك المعظم للبلاد مع جانبٍ كبير من جيشـه عندمـا سـمع بـأن سـلطان الروم وملك الأرمن وأحد أبناء صلاح الدين قد دخلوا حـدود مملكتـه فـى كـل مـن حلب ودمشق فى قوة لاحصر لها من الخيول والقوات المقاتلة. فكـان هـذا إيذانـاً بفتح وتمهيد الطريق أمامنـا لاحتـلال مدنيـة دميـاط تلـك المدينـة التـى تُعد بحـق مفتاح الدخول إلى أنحاء وربوع مصر. والتى بفضلها أيضاً سـوف يسـهل علينـا ضم كل الأراضى المتبقية إلى أتباع السيد المسيح. والتى سوف تعود فى النهايـة علينا بالخير والسعادة خاصـة وأنهـا تمهـد الطريـق للدخـول إلـى أرض الميعـاد. ونحن نبتهج إلى الرب ونشكره لهذا النصر، فهو مرشدنا، ونحن نـأمل أن تكـون صلاتكم عوناً وسنداً لنا فى خطواتنا القادمة.

❖ نهاية الجزء الأول من الكتاب الخامس ❖

الجزء الثاني من الخطاب الخامس :

إننا نأمل فى أن نطلعكم ونخبركم بأننا قد قمنا بكتابة تقريراً كاملاً عن الأوضاع فى الشرق ونخبركم أيضاً كيف أن الجيش الصليبى قد قاتل من أجل خلاص السيد المسيح أمام دمياط وأنه كان قتالاً فوق الشبهات. كما نخبركم كذلك عن حالات المعاناة التى عاناها جيش الرب فى ذلك الشتاء السالف الذكر. وكيف أن هذا الجيش تعرض لخطر الفياضانات والحرائق والنيران، وكذلك شدة الحرارة. هذا إلى جانب الغارات التى كان يشنها علينا العدو فى شمال النهر وسوف نصف لكم فى هذا الملحق ما حدث للمشروع الصليبى منذ ذلك الحين.

كما أننا نرسل إليكم ونطمئنكم على أننا كرسنا أنفسنا من أجل الاستيلاء والسيطرة على مدينة دمياط أواخر الصيف الماضى بعد قيامنا بغارات وهجمات مستمرة ومتعاقبة، وقد قمنا بمحاصرة المدينة براً وبحراً. ومع هذا فإن المسلمين لم يتورعوا عن مهاجمة معسكرنا بقوة بعد أن استعدوا بقوتهم وأنفسهم من أجل خوض معركة كبيرة لدرجة أنه عندما سنحت لهم فرصة ولحدة تمكنوا من دخول أسوارنا على الرغم من تصدى قواتنا لهم بقوة وبعد أن قمنا بذبح العديد منهم ومعهم خيولهم. غير أن هذه المحاولات المقلقة من جانبهم قد مكنتهم من تحويلنا عن تحقيق أهدافنا التى أوشكت أن تتلاشى بأسرع ما يمكن وعلى الفور أدركنا أنه فى مثل هذه الظروف لايمكن لنا الدخول معهم فى معركة، وبعد تشاور تم بين القادة قرروا ضرورة عودة قواتنا إلى المعسكر. وبينما نحن متجهون نحو معسكرنا وجدنا المسلمين وقد قاموا بتطويقنا من كل جانب ورمونا بالسهام والأقواس والرماح ، وكذلك النار الإغريقية، فأحدث ذلك اضطراباً وفزعاً

فى صفوف قواتنا خاصة المشاة منهم، فعادوا أدراجهم فحُرمنا بذلك من مساعدتهم لنا فى المعركة. هذا بالإضافة إلى أن العديد من قواتنا قد ماتت بسبب شدة الحرارة وتعرض أفراد قواتنا لعطش شديد أثناء تراجعهم وانسحابهم.

لقد تعرض فرساننا لهجوم عنيف من قِبل المسلمين فأصابوا قواتنا بأذى كبير وعندما حاول فرساننا التصدى للمسلمين، أوصد المسلمون الطريق أمامهم لم يتمكن أحد من فرساننا التصدى للمسلمين. لأن طريقة الشرقيين فى القتال بدت غريبة على قواتنا لم يتعود أفراد قواتنا عليها.

وكان من جراء هذه الطريقة فى القتال أن تعرضت قواتنا لعذاب كبير إذ كان المسلمون يرمونهم بالسهام والرماح والنار الإغريقية حتى تغلبوا علينا فى النهاية.

لقد فقدنا فى هذه المعركة حوالى مائتين من الفرسان وصناديد الداوية والاسبتالية. وعاد بعض الحجاج وآخرون معهم، بينما قُتل البعض الآخر. كما تم أسر النبلاء والأسقف المشهور "بيوفيس" سيد والتر الحاجب الخاص بالملك الفرنسى وابنه الفيكونت "بيمونت" واللورد "اندريوافاناتيلى" شقيق الأسقف سالف الذكر هذا بالإضافة إلى بعض النبلاء الآخرين. لقد فقدنا حوالى ألفين من العامة وظل أعداء الصليب يتعقبون قواتنا حتى بلغوا على أفلاجنا مقطعين روءسهم ومقاتلين بعد أن أربكوا صفوفنا على هذا النحو، تراجعوا إلى خيامهم ومعسكرهم ومعهم أسلابهم محدثين جلبة وسخرية وتهكماً علينا وقد أوقعوا بنا خسارة كبيرة أثناء انسحابهم وظلوا يهاجموننا كل يوم ويشنوا غاراتهم ضدنا لاستفزازنا ساخرين منا وأخذوا يوبخوننا بتحديهم لنا على هذا النحو.

وبالإضافة إلى هذا يجب أن تعرف أن بعض الحجاج كانوا يعدون أنفسهم للعودة إلى ديارهم، لا لكونهم خائفين فحسب بل لأن بعضهم كان قد قضى "امضى" عاماً كاملاً فى الجيش وصار من حقهم العودة إلى أوطانهم. فركبوا البحر وتركوا القوات اللاتينية فى مواجهة المسلمين، فكان ذلك أحد الأسباب التى أحدثت قلقاً واضطراباً فى صفوف الأخوة الموجودين فى دمياط.

❖ هنا ينتهى الكتاب الخامس ❖

الخطاب السادس

VI

R XVI, 72

a. <Sanctissimo patri ac domino H(onorio), dei gratia summo pontifici I(acobus), divina miseratione Acconensis ecclesie minister humilis, tam debitam quam devotam cum osculo pedum reverentiam>.

5 b. Dilectissimis in Christo fratribus magistro Iohanni de Nivella et ceteris fidelibus Iacobus, divina permissione Acconensis ecclesie minister humilis, *iugum* Christi *suave* cum gaudio et unanimitate portare.

c. Karissime in Christo abbatisse et conventui de Awir<i>a
10 Ia(cobus) Acconensis episcopus, in anteriora se extendere.

Confiteantur domino misericordie eius et mirabilia eius filiis hominum, qui portas ereas contrivit et vectes ferreos confregit, subiecit populos nobis et gentes sub pedibus nostris, | civitatem glorie paganorum, civitatem fiducie incredulorum, civitatem munitissimam et

R XVI, 73

15 inexpugnabilem, a multis regibus et populis olim pluries obsessam et nunquam superatam, in diebus nostris sancte ecclesie et exercitui christianorum subiecit et *cornua peccatorum confregit, aperiens* nobis *hostium magnum* ad subiugationem infidelium et ad ampliandum Christi imperium, ut captis et eiectis vulpeculis
20 vinea domini Sabaoth quasi *novella plantatio* propagetur et *faciat uvas* que *faciebat labruscas* et ubi tociens invocatum est nomen maledictum perfidi Machometi, nomen abhominabile, quod os demonis nominavit, invocetur amodo nomen benedictum Iesu Christi.

1-4: PQ (=α'); 5-S: AFLV (=β); 9-10: G; 11-23: PQR (=α), AFLV (=β), G.

1-4 *formulam salutationis* (*om.* R) *restitui*: dño pape α'. 9 Awir<i>a *correxi coll. II, 8.* 15 olim pluries] olim *om.* β, pluribus olim G. 16 *pr.* et] *om.* G, sed β. sancte ecclesie] *cf. p. 51.*

---

7 Mathieu 11, 30. 9 abbatisse] Agnès, voir Ploegaerts, *Les moniales cisterciennes*, etc., I: *Histoire de l'Abbaye d'Aywières*, Bruxelles, 1925, p. 5. 10 Cf. Greven, *Exempla*, 30, 17-18 (=Frenken, *Exempla*, 29, 2-3): *econtra sancti posteriorum obliti semper in anteriora se extendunt*, cf. Philipp. 3, 13. 11-12 Ps. 106, 15-16. 12-13 Ps. 46, 4. 14 civitatem etc.] cf. Prov. 21, 22 et Jérémie 1, 18. 17 Ps. 74, 11. 18 I Cor. 16, 9. 19 captis ... vulpeculis] cf. Cant. des Cant. 2, 15. 20 Ps. 143, 12; cf. 231. 20-21 Isaïe 5, 2.

nomen gloriosum *quod os domini nominavit*, ut cognoscant Egyptii
25 dominum et convertantur ad ipsum et ab Occidente ad Orientem
lumen veritatis revertatur: *non enim est deus noster ut deus eorum, et inimici nostri sunt iudices* videntes virtutem domini et mirabilia eius in captione civitatis Damiate. Quod qualiter

[a]	[b, c]
factum sit, vestre dignum duxi	factum sit et quam miraculose,
30 significare sanctitati.	ex sequentibus patebit.

Cum ex parte liciarum nostrarum et fossati nostri pluries nos impugnassent Sarraceni et nichil profecissent, sed multis ex ipsis interemptis recessissent confusi, ad solita sue pravitatis arma recurrentes verbis pacificis et dolosis nostros decipere et circum-
35 venire temptaverunt multa nobis promittentes si obsidionem relinquere et recedere vellemus, que | magna in superficie his qui minus cauti erant videbantur. Primo quidem promiserunt quod sanctam crucem et terram planam cum civitate Ierusalem et sepulcro dominico et omnes quos in potestate sua captivos detinebant
40 christianos redderent et pecuniam pro muris Ierusalem reparandis nobis darent, secundo vero quoddam castrum quod in territorio Tyri situm est, quod Turo dicitur, cum quibusdam aliis munitionibus, scilicet Sephet et Beaufort cum Belinas, cuius muros destruxerant, nobis reddere promiserunt, castra autem munitissima, scilicet
45 Craccum et Montem Regalem, volebant retinere, sed pro illis annuum censum nobis dare promittebant, quod multis ex peregrinis nostris magnum et omni acceptione dignum videbatur. Hii vero, qui experimento fraudes vulpium cognoverant, et maxime Templarii et Hospitalarii sancti Iohannis et sancte Marie Aleman-
50 norum, domnus etiam legatus cum patriarcha, archiepiscopis, episcopis et universitate cleri et quadam parte peregrinorum, verbis eorum seductoriis nullatenus assensum prebebant eo, quod intenderent Sarraceni sub occasione simulate pacis exercitum Christi dissipare, ut recedentibus peregrinis qui nobiscum erant,

R XVI, 74

PQR (=α), AFLV (=β), G.

28 civitatis] *om.* β, urbis G. 32 ex ipsis] ex suis α', ex nostris R, suorum β. 41 vero] *om.* A, α', nos FLV. quoddam castrum] castrum quoddam β, quoddam *om.* G, R. 42 aliis munitionibus] munitionibus aliis β, aliis *om.* G. 46 peregrinis *om.* G, R. 48 cognoscebant β, agnoverant α.

---

24 (cf. 22-23) Isaïe 62, 2, cf. BO, 1069, 32: *in hac autem* (=Antiochia) *nomen sanctum, quod os domini nominavit, primo impositum est Christicolis.* 26-27 Deut. 32, 31. 45 Craccum] Le *Crac de Moab*, voir l'app. cr. sur II, 346. 47 cf. BO, 1120, 10: *omni acceptione dignus.*

55 et aliis, qui hoc audirent, non venturis, terram planam recuperarent et Ierusalem cum monte Thabor et aliis castris collecta contra nos multitudine et fortitudine sua recuperarent. Crucem vero sanctam eos nullo modo habere credebamus, cum Saladinus et alii | Sarraceni, recuperata a nostris Acconensi civitate, eam
R XVI, 75 60 diligentissime quesissent ut captivos suos a morte liberarent, et non potuerunt invenire. Sic ergo inter nostros facta est dissensio et discordia, quod et ipsi Sarraceni ab initio intendebant et modis omnibus procurabant. Consideravit autem domnus legatus, vir cautus et providus et in negotiis domini peragendis vigil et sollicitus,
65 quod hec dissensio et mora maximum ad se trahebat periculum et quod gratia dei abutebantur, cum dominus civitatem nobis offerret, his qui in civitate erant partim mortuis, partim egrotantibus fame et inedia tabescentibus, pauci vero in ea remanserant qui valerent defendere civitatem. Soldanus autem tum de die tum
70 de nocte tam per terram quam per aquam pro posse suo novos in civitate mittebat pugnatores. Vnde domnus legatus non sustinuit amplius expectare, paucis tamen quod conceperat revelavit, scilicet quibusdam ex clericis suis et militibus de familia sua in quibus confidebat, ne quidam ex nostris maliciose insultum impedirent et
75 ne Sarracenorum exploratores hoc secretum eius ipsis intimarent. Ante mediam autem noctem consurgens cum militibus et servientibus suis ad fossatum civitatis pervenit; Sarraceni vero quendam pontem destruxerant, quo mediante ad primum murum civitatis et eiusdem muri portam erat | accessus. Domnus vero legatus cum
R XVI, 76 80 scalis et asseribus pontem reparari precepit et sic ad fossatum primi muri nostri transierunt accensoque igne vehementi iuxta portam, ipsam combusserunt. Deinde festinantes et per medios ignes transeuntes inter duos muros se viriliter receperunt et accenso igne ad portam secundi muri, secundo muro scalas applicantes

PQR (=α), AFLV (=β), G.

55 hoc] *om.* G, hec α. 58 eos *post* modo G, eos habere nullo modo FLV. 61-62 dissensio et *om.* G, discordia et divisio β. 63 autem] *om.* G, R, ergo FLV. 68 fame et inedia, *cf.* Crane, *Exempla*, 17, 8; 312, 4] fame *om.* G, inedia et fame α. 69 qui vellent civitatem defendere G, qui civitatem possent defendere (*cf.* 108-109) β. tum de die tum] *om.* α, cum die noctuque A, tam de die quam FV, *cf. p.* 28. 76 autem] *om.* G, igitur FLV. 84 secundi muri, secundo muro] secundi muri, muro secundo G, et secundi muri porta succensa β.

57-61 Voir p. 32-33. 59 En 1191 (la ville tomba le 11 juillet). 63-64 Voir p. 21, n. 1. 66-69 Voir p. 32-33. 70-71 in civitate] voir p. 33 (n. 1).

85 ascenderunt, alii vero per medios ignes secunde porte transierunt. Sarraceni vero, qui in civitate erant, in stuporem et pusillanimitatem conversi et confusi, *dissoluti corde* et concussi timore, confracti viribus et de defensione sua desperantes, modico conamine restiterunt. Vnde factum est quod nullis ex nostris interemptis, paucis
90 tamen leviter vulneratis, de Sarracenis pluribus interfectis dominus in manus nostras miraculose traderet civitatem: *gloriam suam alteri non dedit*, triumphum vero sancte Romane ecclesie et eius legato tradidit. Quosdam vero ex nostris, qui propriam gloriam querebant et iam contentiose inter se | agebant de spoliis et partitio- (R XVI, 77)
95 ne civitatis, hac gloria suo more privavit. Illucescente vero die videns soldanus et exercitus eius vexilla nostra super turres civitatis erecta, ingenti terrore concussus cum dolore et merore fugiens, castra sua cum ponte quem super fluvium fecerat combussit, pro certo sciens et cognoscens quod dominus pro nobis reprobatis et
100 confusis Sarracenis miraculose pugnavit. Cum enim mense Februario, in die festo beate virginis Agathe in nonis eiusdem mensis, fluvium Nili, qui alio nomine Gion nuncupatur, fugientibus Sarracenis transiremus et undique civitatem Damiate tam per aquam quam per utramque insulam cingeremus, plusquam sexaginta
105 milia Sarracenorum infra muros civitatis inclusi remanserunt. Post novem vero menses, videlicet mense Novembris in nonis eiusdem mensis, capta civitate vix tria milia Sarracenorum invenimus, inter quos vix centum sani remanserant qui possent defendere civitatem: dominus enim vulnere pessimo percutiens inimicos
110 nostros *evaginavit gladium suum post eos* et interfecit eos *a maiore usque ad minimum* et a sedente in solio usque ad *mingentem ad*

85-99: PQR (= α), AFLV (= β), G; 99-111: PQ (= α'), AFLV (= β), G.

89-90 paucis ... interfectis] uno autem leviter vulnerato α, paucis vulneratis leviter, de Sarracenis pluribus quam vellemus interfectis G. 91 tradidit αA. 95 hac gloria more suo α, hac suo more gloria β. 99 cognoscens] hinc desinit R. 101 beate *om.* G, sancte β. 102 alio Gion nomine nuncupatur G, alio nomine Gion (Gyon V) dicitur FLV, alio nomine dicitur Gion A. 104 LX (= 60) G, quadraginta α', *cf. adn. ad IV, 30.*

---

87 Eccli. 2, 13. 91-92 Isaïe 42, 8 (= 48, 11), cf. 161 et 223-227. 100-101 le 5 février 1219. 105-107 le 5 novembre 1219. 109 Cf. Job 2, 7: (*Satan*) *percussit Iob ulcere pessimo.* 110 Ezéchiel 12, 14. 110-111 Genèse 44, 12; cf. VII, 176. — sedente in solio] cf. Exode 11, 5; 12, 29. 111-112 mingentem ad parietem] I Rois 25, 22; III Rois 21, 21; IV Rois 9, 8.

parietem, in femoribus et posterioribus illos percutiens *opprobrium sempiternum dedit illis* adeo, quod cum ingrederemur civitatem tot invenimus mortuorum cadavera super terram, eo, quod pauci
R 115 vivi | qui remanserant ex Sarracenis tot mortuos sepelire non pote-
XVI, 78 rant, quod fetorem et aeris corruptionem vix aliquis poterat sustinere. Purgata autem civitate domnus legatus et patriarcha cum clero et universo populo, accensis candelis et luminaribus, cum hymnis et canticis, cum laudibus et gratiarum actione in die
120 Purificationis beate Marie processionaliter ingressus est civitatem. Fecerat autem domnus legatus preparari maximam basilicam, in qua in honore beate Marie Virginis cum lacrimis et magna populi devotione celebravit, in qua etiam sedem archiepiscopalem instituit. Multis etiam aliis infra civitatis ambitum constitutis ecclesiis eiecto
125 perfido Machometo divinum officium diebus ac noctibus ad honorem dei et sanctorum eius iugiter adimpletur et in diversis ecclesiis diebus singulis a sacerdotibus in illis constitutis Patri Filius offertur. Invenimus autem in civitate pauca valde victualia, aurum vero et argentum et pannos sericos cum vestibus preciosis et aliam multam
130 supellectilem reperimus in civitate. Sed quoniam multi fures et latrones et nomine solo peregrini, deo odibiles, domno legato non obedientes, sicut Achor cupiditate excecati, in exercitu nostro supra modum tunc temporis erant, Sarraceni vero maximam partem pecunie partim in terra absconderunt, partim in fluvium
135 proiecerunt, vix ad utilitatem communitatis quadringentorum milium bizantiorum precium colligere et inter nostros dividere
R potuimus. Idcirco murmur et | scandalum non modicum, rixe et
XVI, 79 contentiones exorte sunt in populo insipienti et indisciplinato. De captivis vero Sarracenis, quos in civitate cepimus, quadringentis

---

PQ (=α), AFLV (=β), G.

114-115 pauci vivi remanserant (*om.* qui) α', pauci qui vivi remanserant FLV, pauci qui remanserant vivi A.   118 candelis, luminaribus G, campanis et luminibus α'.   128 valde pauca α', pauca admodum G.   133 supra modum *om.* β, super modum G, *cf. III, 65*.   vero] autem G, etiam β.

112-113 posterioribus ... illis] Ps. 77, 66.   119-120 le 2 février 1220.   121 maximam basilicam] cf. Olivier de Cologne, *Historia Damiatina* (éd. Hoogeweg) p. 239, 3-13.   128 Cf. Donovan, *Pelagius*, p. 65-66.   132 (cf. VII, 29-30) Achor] Josué 7, 1, 24-26. Celui dont il est dit qu'il *tulit aliquid de anathemate* s'appelait *Achan*; sa lapidation prit place dans une vallée dite *Achor*. Même confusion chez Olivier de Cologne, *Historia Damiatina*, éd. Hoogeweg, p. 238, 2-3.   138 populo insipienti] cf. Deut. 32, 6.   139-140 *trois cents* d'après Olivier de Cologne, *Hist. Damiatina*, éd. Hoogeweg, p. 236, 15-17.

140 melioribus et ditioribus retentis ut captivos nostros facta commutatione cum ipsis recuperare possemus, alios omnes eo, quod sumptuosum esset nimis tot homines pascere, vendidimus christianis ut servirent eis in perpetuum, exceptis parvulis, quos ego cum labore magno et expensis feci reservari. Quibus baptizatis plusquam
145 quingenti, ut credo, post baptismum ad dominum *primitie deo et agno* transierunt: *hi sunt qui cum mulieribus non sunt coinquinati, virgines enim sunt et secuntur agnum quocumque ierit.* Alios autem preter illos quos retinui quibusdam amicis meis ut eos nutrirent et litteris sacris ad cultum dei imbuerent commisi. De consensu vero
150 peregrinorum domnus legatus dominium civitatis cum pertinentiis ad ampliationem regni Ierosolimitani regi Ierosolimitano contulit in possessionem perpetuam, domos vero civitatis cum quibusdam turribus secundum varias nationes qui ad hoc electi fuerant diviserunt peregrini. Erant autem in ambitu primi muri viginti et octo
155 turres maiores exceptis minoribus, quarum munimine inexpugnabilis erat civitas, nisi eam dominus miraculose populo tradidisset christiano. Non solum autem illam, sed et civitatem Thaneos cum castro adiacente octo turres inexpugnabiles habente, quod ex nulla parte potest obsideri, non minori ut dicunt dominus miraculo nobis
160 subiecit. Civitas autem Thaneos cum eius diocesi sub Damiata metropoli continetur. In hiis omnibus *gloriam suam alteri non dedit* dominus, sed ne | triumphum multitudini nostre vel viribus humanis possemus ascribere, ut humiliaremur et cum propheta domino confiteremur: *non in arcu meo sperabo et gladius meus non salvabit*
165 *me, dominus mortificat et vivificat, deducit ad inferos et reducit, pauperem facit et ditat, humiliat et sublevat,* multis tribulationibus et variis persecutionibus ad purgationem peccatorum et maiorem coronam electorum antequam civitatem nobis traderet permisit affligi populum suum, inimici vero nostri exaltati sunt super nos,
170 sicut scriptum est: *ante ruinam exaltatur cor.* Cum enim in multitu-

R XVI, 80

PQ (=α). AFLV (=β). G.

156 eam dominus] dominus eam FLV, eam *om.* α. 166 sublevat, *cf. VII, 567*] sublimat (*sicut* VII, 567, G) GP. 168 nobis civitatem traderet G, traderet civitatem (*om.* nobis) β.

143-144 Voir p. 42-43. 145-147 Apocal. 14, 4. 159 non minori ... miraculo] cf. IV, 74. C'est par ces mêmes mots qu'Olivier de Cologne (*Hist. Damiatina*, éd. Hoogeweg, p. 240, 17) aborde la prise de Thanis (le 23 novembre 1219). 161 Voir sur 91-92. 164-165 Ps. 43, 7. 165-166 I Rois 2, 6-7; cf. VII, 566-567. 167-168 Cf. V, 93-94. — coronam] cf. I Cor. 9, 25. 170 Prov. 16, 18.

dine magna tam equitum quam peditum die quadam nostri exirent ad pugnam contra soldanum, tanquam nichil timentes, sed *in fortitudine* sua *confidentes, non proposuerunt deum ante conspectum suum*, non cum lacrimis et devotione, sed cum pompa et elatione,
175 multi tamen propter lucrum et commodum temporale, contra hostes perrexerunt. Soldanus vero qui prius frequenter per experientiam didicerat quod pauci ex nostris, dum *ponerent deum adiutorem suum*, multos ex suis absque magna difficultate superassent, non ausus est exercitum nostrum expectare, sed paulatim,
180 nostris subsequentibus, cum tentoriis suis et omni supellectili sua fugiendo cedebat. Cum autem infra fossatum, quo soldanus castra sua cinxerat, exercitus noster pervenisset, paululum tanquam fessi ex itinere nostri subsistentes pausaverunt. Tunc mirum in modum inimicis nostris nundum insequentibus quidam ex nostris
R 185 terga vertentes non fugati | fugerunt; quod videntes quidam ex
XVI, 81 nostris militibus corde constantes et de fuga nostrorum admirantes et mirabiliter dolentes, ut a posteriori exercitum custodirent ordinate consertis aciebus secundum ordinis militaris disciplinam paulatim subsequebantur et sic absque dampno magno reverti posset
190 exercitus, nisi quidam ex nostris impetum subsequentium Sarracenorum, qui nostrorum equos sagittis vulnerabant, sustinere nolentes relictis sociis pauci multos invaserunt Sarracenos. Ex quo factum est ut illo die priusquam ad castra nostra perveniremus plusquam mille ex nostris amisimus, quibusdam gladio interfectis,
195 aliis captis equis suis vulneratis et pre calore deficientibus, multis etiam ex peditibus propter estum solis siti extinctis; quidam etiam solo timore iusto licet occulto dei iudicio in insaniam conversi expiraverunt. In illo autem die plusquam ducentos milites amisimus quibusdam interfectis, aliis in captivitatem ductis. Capti autem
200 fuerunt viri nobiles electus Belvacensis et frater eius Andreas de

---

PQ (=α'), AFLV (=β), G.

171-172 exirent nostri ... soldanum α', nostri contra soldanum exirent ad pugnam β. 173 proponentes β, posuerunt (*cf. 177*) G. 184 nundum *om.* G, necdum β. 189 dampno magno, *cf. V, 262*] magno dampno β, magno *om.* G. 198 in ... die] in illo (*om.* autem die) G, L, in illo bello A, ibi etiam FV, *cf. p. 28.* 199 aliis] aliis vero α', A. 199-200 autem fuerunt] autem *om.* G, sunt autem β. 200(-204) *cf. p.* (*19 et*) *51.*

---

171 le 29 août 1219. 172-173 Juges 20, 22. 173-174 Ps. 53, 5. 177-178 Ps. 51, 9. 184 nundum] voir p. 63. 192 pauci multos] cf. IV, 18. 197 iusto ... dei iudicio] cf. Jean 5, 30. 200-203 Voir sur V, 233-236.

Nantuel, Iohannes de Archies, miles strenuus, Andreas de Espoisse, Galterus camerarius regis Françie et filius eius vicecomes Bellimontis, frater Andegavensis episcopi, Odo de Castellione et multi alii; multi vero die illo coronati feliciter ad dominum migra-
205 verunt. Ego vero die illa absque armis cum cappa et suppellicio cum domino legato et patriarcha, qui sanctam crucem ferebat, exieram et non placuit domino cum suis martyribus indignum et

R XVI, 82

miserum me vocare, sed adhuc voluit me ad laborem et dolorem reservare: multis etiam aliis tribulationibus dominus nostram
210 compressit superbiam, naves enim nostras cum scalis ex parte fluminis muro civitatis frequenter applicantes repulsi sumus Sarracenis ignem grecum proicientibus et bellicis machinis, que *petrarie* dicuntur, lapides iaculando quosdam ex nostris interficientibus. Ex parte vero terre cum labore et expensis magnis fodientes aquis
215 fossati impedientibus nichil profecimus; cum autem bellica quedam instrumenta, que *cattos* nuncupant, versus muros civitatis traheremus, ignem grecum copiose proicientes Sarraceni multis ex nostris vulneratis illa combusserunt. Multi etiam nobis invitis et ignorantibus quandoque ex parte terre, quandoque sub aquis per fluvium civi-
220 tatem ingredientes non modicum his qui in civitate erant conferebant solatium, nostri vero rete magnum ex transverso fluminis protendentes facti *piscatores hominum* transeuntes Sarracenos capiebant. Iam vero omnibus attemptatis, quid amplius faceremus vix excogitare potuimus: longe enim fortior erat civitas paulo
225 antequam caperetur quam in principio obsidionis. Dominus autem sibi soli victoriam reservabat, meritum autem nostrorum laboribus non negabat. Confidimus autem in ipso, qui portas nobis Egypti miraculose aperuit, quod christianorum imperio residuum subiciet Egypti tenebras illuminando et in fines orbis terre ecclesiam suam
230 dilatando. Vos autem sine intermissione orate pro exercitu Iesu Christi, ut in terra promissionis vinea domini propagetur, ecclesie

---

PQ =(α'), AFLV (=β), G.

204 multi vero] multi autem 3, et multi G. <martyrio> coronati *coniecerim coll. IV, 119, 248; V, 87, quamquam* coronari *frequenter idem valet quod* martyrio coronari. 227 ipso] Christo α', AV, *cf. p. 50*.

207-209 (277-280) Cf. IV, 265-270. 222 Marc I, 17; l'emploi de cette expression biblique offre un exemple d'ironie plutôt rare chez Jacques de Vitry; cf. I, 153-154. 225-227 Cf. 91-93. 227 Cf. IV, 204-205; VII, 563-564. 229 Voir sur II, 278-279. 230 Cf. I, 192-193; II, 446; IV, 208. 231-233 Cf. 19-20; VII, 171-174.

reparentur, infideles eiciantur, fides restauretur, *ut edificentur muri Ierusalem*, quos inimici nostri | subverterunt: *tunc acceptabit sacrificium iusticie, oblationes et holocausta* et *adorabimus in loco ubi steterunt pedes eius.*

R XVI, 83

235

[a]

Numerus bellatorum qui erant in civitate Damiate, XLV milia in prima obsidione illius preter parvulos, decrepitos et mulieres, qui fuerunt XXXV milia computati, et preter CCCC bellatorum qui missi fuerunt a soldano ad succursum Damiate de nocte per terram, quos fere omnes *in manibus* † eorum fidelium ad honorem sui nominis miraculose *conclusit* <*deus*> quia, dum per castra nostra ingrederentur ut infra civitatem reciperentur,

240

245

[b]

Salutant vos socii et amici nostri, O. de Dionanto, I(ohannes) de Cameracho, cantor noster, Henricus senescalcus ecclesie nostre.

[b, c]

Domnus Reinerus, prior sancti Michaelis, tradidit se religioni Fratrum Minorum, que religio valde multiplicatur per universum mundum eo, quod expresse imitantur formam primitive ecclesie et vitam apostolorum. Hec tamen religio valde periculosa

232-235 PQ (=α'), AFLV (=β), G; 236-249 [a]: PQ (=α'); 236-240 [b]: AFLV (=β); 242-249 [b, c]: AFLV (=β), G.

242 [b, c] Domnus Reinerus] R *tantum* G. 243 [b, c] reddidit G, *cf.* 270. 244 [b, c] Minorum Fratrum β, *cf. I, 109.* 245 [a] † eorum] *corruptelam statui*, suorum *coni.* Martène. 247 [a] <deus> *scripsi coll. I Regum 26, 8.* 248 [b, c] et vitam apostolorum *om.* G. 249-250 [b, c] nobis periculosa β.

Interpolations et omissions du manuscrit A] 248 [b, c] et per omnia vitam apostolorum A. 248-249 [b, c] Hec tamen ... 256 dividuntur *om.* A.

232-233 ut ... Ierusalem] Ps. 50, 20. 233-234 Ps. 50, 21. 234-235 Ps. 131, 7. 236-240 [b] Voir sur 275-276. 242 [b, c] = IV, 228 [b] 244-247 [a] in ... <deus>] Ps. 30, 9, cf. I Rois 26, 8. 244-246 [b, c] *Tempore enim modico adeo multiplicati sunt, quod non est aliqua Christianorum provincia, in qua aliquos de fratribus suis non habeant* (MO, p. 351-352; Boehmer, *Analekten zur Geschichte des Franciscus von Assisi*, 1904, p. 104, 3-4). 246-248 [b, c] ... *vitam apostolicam expressius imitantes* MO, p. 350, Boehmer, l.c., p. 102, 30; cf. I, 116-117. 248 [b, c] Hec ... 256 dividuntur] Selon Golubovich, *Biblioteca Bio-Bibliografica della Terra Santa e dell'Oriente Francescano*, I (1906), p. 7, n. 1, ce passage serait interpolé: „Tutto il periodo ... ha tutti gl'indizi d'una postilla o nota marginale, scritta da qualche monaco, quale poi per ignoranza dell'amanuense passò nel testo di Vitry. Del resto esso stona evidentemente con tutto quanto scrisse il Vitry in più luoghi sull'Ordine novello e su Francesco". Ce point de vue est partagé par Roncaglia, *St. Francis of Assisi and the middle East*, 3ᵉ éd., Le Caire, 1957, p. 23, n. 38: „It seems to me, as it does to Golubovich, that here there is a question of an interpolation in the text of James de Vitry". S'il s'agissait réellement

250 nostri eos perceperunt et C et XXXVIII ex eis interfecerunt, et circiter XXX ad exercitum soldani retro reversi sunt, residui vero sese infra civitatem re-
255 ceperunt.

nobis videtur eo, quod non solum perfecti, sed etiam iuvenes et imperfecti, qui sub conventuali disciplina aliquanto tempore artari et probari debuissent, per universum mundum bini et bini dividuntur. Magister vero illorum, qui ordinem illum instituit, cum venisset in exercitum nostrum, zelo fidei accensus ad
260 exercitum hostium nostrorum pertransire non timuit et cum

---

250-255 [a]: PQ (=α'); 250-261 [b, c]: AFLV (=β), G.

251 [b, c] sed et G. 253 [b, c] aliquanto tempore *om.* β, *cf. I, 104.* 256 vero *om.* β. 258 in] ad (*cf. 259*) β. 260 hostium nostrorum] Sarracenorum G. 261 pertransire non timuit] pertransiit G.

Interpolations et omissions du manuscrit A] 256-258 illorum ... cum] illorum fratrum frater Frasciscus (*sic*) nominatur, qui adeo est (*? lecture incertaine*) amabilis et ab omnibus hominibus veneratur, cum A.

---

d'une interpolation, elle devait dater de très bonne heure, tout comme celle qu'on trouve dans A (cf. le second apparat sur 256-258: *nominatur, veneratur*): les manuscrits G et L datent du XIII[e] siècle! Or, la remarque s'accorde bien avec l'attitude de Jacques de Vitry envers le nouvel Ordre; seulement, il est trop réaliste pour ne pas se représenter les dangers qu'un mouvement rénovateur peut facilement provoquer en passant de l'enthousiasme au fanatisme. Au cours de l'an 1216 (lettre I) il aperçoit, pour la première fois, les frères mineurs; au milieu de la décadence presque générale, voilà un groupe qui ranime les idées si profondément chrétiennes. Aussi applaudit-il à leur tentative, sans réserve, comme plus tard, en rédigeant son *Histoire de l'Occident*, il applaudira à leur réussite. En 1220, cependant, il les apprécie comme en 1216, mais, en homme expérimenté, ne ferme pas les yeux sur le danger que présenterait le nouvel élan spirituel si des esprits jeunes se laissaient emporter par lui. — Parmi les manuscrits qui contiennent ce post-scriptum, seul A omet ce passage. A mon avis, c'est là un indice de son authenticité: le scribe du modèle d'A étant très favorable à saint François, la réserve que formule Jacques de Vitry a été délibérément rayée du texte que ce copiste allait se composer. 255 [b, c] bini et bini] ...*et ait ad eos: „Ite, charissimi, bini et bini per diversas partes orbis* (Thomas de Celano, *Analecta Franciscana*, X (1941), p. 24, 7-8), cf. ibidem, p. 121, 9 (*Legenda Chori*) et p. 343 (XIX), 3 (Julien de Spire). 256-257 Magister ... instituit] Beaucoup moins vague dans l'*Hist. Occ.* (MO, p. 352-353, Boehmer, l.c., p. 104, 27 ss.: *Vidimus primum huius ordinis fundatorem magistrum, cui tanquam summo priori suo omnes alii obediunt, virum simplicem et illiteratum, dilectum deo et hominibus, fratrem Franciscum nominatum ...* etc. 259 zelo fidei accensus] cf. Crane, *Exempla*, 87, 11-12.

aliquot diebus Sarracenis verbum dei predicasset, modicum profecit. Soldanus autem, rex
265 Egypti, ab eo secreto petiit ut pro se domino supplicaret quatinus religioni, que magis deo placeret, divinitus inspiratus adhereret. Eidem predicte religioni
270 tradidit se Colinus Anglicus, clericus noster, et alii duo de sociis nostris, scilicet magister Michael et domnus Matheus, cui curam ecclesie Sancte Crucis commiseram: cantorem et Henricum et
275 alios quosdam vix retineo.

[b]

Ego autem iam debilis et confractus corde in pace et tranquillitate vitam meam finire de-
280 sidero. Misimus vobis duos parvulos de incendio Babylonis extractos cum quibusdam pannis sericis et litteris aliis. Ostendite litteras abbati de Villari et aliis
285 amicis nostris. Valete.

262-276: AFLV (=β), G; 277-285: AFLV (=β).

262-263 aliquot ... modicum] multis ... parum β. 264 tamen β. 265 secreto *om.* G. 266 pro se *om.* G. 270 Colinus G. 272 magister *om.* β.

262-263 aliquot ... modicum, voir l'app. cr.] cf. *Anal. Franc.* X (1941), p. 43, n. 12. 264 soldanus] Mélik el-Kâmil. 275-276 Ces lignes prouvent que les deux personnages qui y sont mentionnés étaient connus de tous les destinataires. De plus, le chantre Jean de Cambrai se retrouve, avec un neveu défunt, dans le postscriptum de la lettre IVb (= G). Il y a donc lieu de se demander si l'omission des lignes 236-240 dans l'expédition représentée par le manuscrit de Gand, n'est pas simplement due à une erreur de scribe, au lieu d'être voulue par Jacques de Vitry lui-même. Il est toutefois possible que O(do ?) de Dinant ne comptait pas parmi les relations des religieuses d'Aywières et que le passage manquait effectivement dans l'original dont dérive G, tout comme les lignes 277-285 qui, dans le seul groupe β, font suite au passage relatif à saint-François d'Assise. Aussi je préfère distinguer ces passages de ce qui est transmis par β *et* G, tout en soulignant l'incertitude sur ce point. 277-280 (207-209) cf. (I, 93-94), IV, 265-270. 281 cf. Apocal. 18, 9-10; cf. II, 205.

(VI) الخطاب السادس

أما الخطاب السادس فقام جاك دى فيترى بكتابته فى شتاء ١٢١٩ـ ١٢٢٠ وعلى وجه التحديد فى ٢ فبراير، ثم أكمله فى ربيع عام ١٢٢٠م ليرسله إلى البابا فى روما

إن نعمة الرب التى تساندنا فى كل حين وكذلك كل العاملين فى حقل الرب والمكرسين للكرازة والبشارة وأيضاً الإخوة الأعزاء فى المسيح والرجال المعاونين فى الكرازة تدفعنا إلى أن نكتب إليكم هذه الرسالة.

يشاركنا فى الكتابة أنا "يعقوب" الأب الموقر، والتر فيلهريس العامل فى الدير. وكذلك ليوبولد الذى يتمسك بالمودة الأخوية وأيضاً الأخ سيتفانو وأولئك الذين يعملون فى مناطق ومدن فارسية بفضل حكمة الرب لنقل رسالة المسيح.

يبعث إليكم بالتحية الأخ الأسقف يعقوب فى مدينة أكونى.

رأينا فى رسائل سابقة الأعمال التى ساعدنا فيها الرب لنشر رسالة الإيمان فى كل مكان نكون قد وصلنا إليه.

إن معرفة الرب قد وصلت إلى مملكة مصر وإلى الشرق والغرب.

إن الذى يبعث فينا الأمل دائماً لن يكون عدواً لنا بل هو عدو للرب نفسه، وهكذا كان يتشدد بالأسرى فى دمياط.

إن الرب يلازم المؤمنين فى كل مكان بالمعجزات كعلامة حسية على ثقته فينا. إننا نرى فى سور بيت المقدس "أورشليم" الذى أعاد بناءه عزرا ونحميا فى العهد القديم بمثابة دافع لنا كى نواصل العمل مع الرب. كان الشرقيون يرددون هذا الكلام دائماً وكذلك سكان أورشليم وصور وكل المدن التى عرفت

الرب، فإنه يعطى السلام، هكذا قال الملاك جبرائيل للمطوبة مريم "السلام لك" فإننا نحصل على هذا السلام من خلال الرب الذى يهبه لنا، قال بولس الرسول: "سلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم فى المسيح يسوع" وذلك فى رسالته إلى أهل مدينة فيلبى .

توجد جدران كثيرة قد تقف حائلاً أمامنا للوصول إلى الأهداف التى ننشدها. ولكن القوة التى يهبها الرب والتى تدمر الجدران، كما دمر شعب الله أسوار أريحا فى العهد القديم عندما قاموا بالالتفاف حولها سبع مرات فسقطت. وهكذا المؤمنون لاتقف العقبات أمامهم. وهكذا قال زكريا النبى: "من انت أيها الجبل العظيم أمام زربابل "اسم لملك اسرائيل" يعتبر سهلاً " إن الأجيال المعاصرة لنا تشهد بعمل الرب فى كل حين كما حكى لنا الشرقيون، إذ فى كل حين يشهد الرب ويلاحظ بقوة للمؤمنين به".

وتشهد أيضاً كنيسة روما بعمل الرب حيث أنه يظهر بقوة عظيمة وذراع ممدودقوى وهو يستحق المجد وحده حيث قال أشعيا النبى: " مجدى لا أعطيه لآخر".

لقد حكت لنا المطوبة العذراء "أجاثى" عن عمل الرب فى دمياط حيث كان حوالى ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف من الشرقيين وهم يدافعون عن مجد الرب حيث لا يرهبهم سيف ولا قوة الأعداء، لأننا كما وعد الكتاب فى قول بولس الرسول "إذ أن أسلحة محاربتنا ليست جسدية، بل قادرة بالله على هدم حصون".

وكذلك تذكر المطوبة العذراء مريم فى تلك المدينة التى قدمت تضرعات وطلبات كثيرة بدموع لكى يساعد الرب المؤمنين فى كل مكان ولاننسى المساعدات التى عرضها الابن المبارك بطرس، وكذلك الذين قدموا الخبز والملابس الغالية الثمن.

ونسمع أيضاً من التجمعات الإيمانية فى سائر أنحاء الامبراطورية الرومانية، حيث كانت الهبات تفيض بشكل دائم ومستمر مثل النهر، حيث قال الرب يسوع "مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ".

وهكذا تكون المنفعة المتبادلة بين المؤمنين كما قال بولس الرسول : "هكذا قبلت عطيتكم بسخاء كنسيم ذبيحة عطرة".

وكذلك فإن الفقراء لم يشعروا بأى شئ بل وجدوا كل معاونة من الآخرين حيث نقل عن الرب يسوع "الذى افتقر من اجلكم وهو غنى لكى تستغنوا بفقره "وقال الرب يسوع "للثعالب حفر ولطيور السماء أوكار وأنا ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه إليه".

وهكذا فإن الانتصار الحقيقى لا يكون بسيف ورمح بل بروح الرب الحى الذى يهب النصر فى كل حين كما قال بولس الرسول: "وشكراً للرب الذى يهبنا الغلبة فى كل حين".

وهكذا وصلت المساعدات الإنسانية إلى تنيس وأورشليم وسائر البقاع.

إن العبادة الحقيقة لا تكون مجرد الصلوات والدموع، بل بالعمل الحقيقى كما قال يوحنا الرسول: "لانحب باللسان بل بالعمل والحق وكما قال أشعيا النبى لماذا

تحنون ظهوركم مثل الأسلة "وهو نوع من النبات" تعبيراً عن السخرية من مجرد الصوم للصوم، بل إن هذه العبادات يجب أن تكون تعبيراً أو انعكاساً للمعنى الإيجابى للإيمان، هكذا كان الشرقيون "السيراقيون" بأعمالهم التى سمعنا بها.

ولا ننسى فى هذا المقام دور خُدام الرب والأساقفة مثل نانيثول ويوحنا وانددرياس وخاليتس فى منطقة هامة فى مملكة فرنسا، وبير ليمونتى، وأندجاونس وأودو من منطقة كانيليونى ، وآخرين كثيرين ممن يستحقون الأكاليل المقدسة التى وعد بها الرب يسوع المسيح وهتف بها بولس قائلاً : "قد جاهدت الحسن وأكملت السعى وأخيراً وُضع لى إكليل المجد الذى وهبه لى الرب الديان، وليس لى فقط بل الجميع الذين يحبون ظهوره فقط".

والربّ يسوع المسيح نفسه هو رئيس الرعاة حيث قال بطرس الرسول "ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالوا إكليل المجد الذى لا يبلى "وهكذا نحن بأعمالنا التى يدعمنا فيها الرب نبنى أسوار بيت المقدس.

كانت هناك حروب كثيرة قد حلت على دمياط ومضايقات شديدة، إنه ليل طويل وشتاء بالمعنى الروحى للكلمة ولكن الرب لا يخذل المؤمنين أبداً.

يبعث إليكم بالتحيات ديوناتوويوحنا من كاميراكو والمرتل الخاص بالكنيسة هنريوس.

وكذلك السيد رينيه وميخانيل، والأخوة الشباب وكل الجمع المؤمن والذين يعيشون حياة الرسولية الحقة متمنين أن تستقر الأمور والأوضاع فى كل المناطق ويحيا الجميع فى سلام.

إن الغيرة الإيمانية تحكم الجميع هنا، كما قال الرب يسوع: "غيرة بيتى أكلتنى" وهكذا لا تهتم ولا تبالى إن أقبلت جيوش الأعداء من أى حدب وصوب.

وكذلك فإن سلداتس ملك مصر يتضرع أن يحفظه الرب ويهبه الحكمة لكى يدير دفة الأمور بسلام وكذلك نطلب من الرب أن يحفظ لنا رئيسنا كولنيس أنجيلوس وسائر الأعضاء المشاركين في الخدمة وكذلك السيد ماثيوس وهيئة الصليب المقدس، والسيد هنريكس المرتلين.

إننى وإن كنت لأشعر بالضعف والوهن الجسدى إلا أننى لأشعر بالقوة التى يهبها لى الرب يسوع، وهذا ما يجلب لى السلام الداخلى.

وأرجو أن يساعد الرب الأخوة الذين تضرروا من الحريق الذى حدث فى بابل. ويشارك فى التحية فيلارى والأصدقاء.

أطلب من الرب أن يسلم ويحفظ من يسلم هذه الرسالة التى أتضرع من قلبى أن تكون سلوى وعزاء لكم فى وقت الشدة التى تمرون بها، وأرجو من الرب أن يحفظكم سالمين من كل عمل شرير. أرسلوا إلينا لكى تعلموننا عن أحوالكم ونرجو أن نسمع كل أمور صالحة من خلال رسائلكم ولقد قرأنا الرسائل التى أرسلتموها إلى الدير الخاص بمدينة فيلارى.

❖ هنا ينتهى الخطاب السادس ❖

الخطاب السابع

R XVI, 84

a) Sanctissimo patri ac domino H(onorio), dei gratia summo pontifici I(acobus), divina permissione Acconensis ecclesie minister indignus, tam debitam quam devotam cum osculo pedum reverentiam.

5 b) Viris venerabilibus et in Christo karissimis fratri Waltero Villariensi abbati et magistro Iohanni de Nivella et fratribus suis de Ognies ceterisque amicis suis in partibus illis commorantibus Iacobus, divina permissione Acconensis ecclesie minister indignus, eternam in domino salutem.

10 c) L(eopoldo) dei gratia illustri duci Austrie I(acobus), divina permissione Acconensis ecclesie minister indignus, sic transire per bona temporalia ut non amittamus eterna.

d) Viris venerabilibus et in Christo karissimis Stephano decano et Philippo cancellario Parisiensibus et aliis universis magistris et 15 scolaribus in civitate Parisiensi commorantibus I(acobus), divina permissione Acconensis ecclesie minister indignus, *talenta* sapientie et scientie domino *cum usuris* reportare.

e) Iacobus divina misericordia Acconensis episcopus, omnibus amicis suis salutem in Christo.

R XVI, 85

20 Postquam divine propitiationis munificentia servorum suorum diuturnos et multiplices miserata labores Damiate civitatem, LX milibus pugnatorum infra civitatem absque gladio et pugna interemptis, in manus christianorum tradidit et castrum Thaneos inexpugnabile fugientibus impiis Sarracenis nemine persequente 25 subiecit christicolis, succedentibus prosperis multi ex nostris tan-

---

1-4: C; 5-9: FLV (=β); 10-12: G; 13-17: I; 18-19: B; 20-25: C, FLV (=β), G, I, B.

7 Ognies] Oegnis *I*, 41. 10 L] J *codex Gandensis*.

11-12 Cf. II, 281-282. 16-17 talenta ... reportare] cf. Mathieu 25, (14-) 27 (30). 20-23 Cf. le commencement du prologue de l'*Histoire de l'Orient*, BO, 1047: *Postquam divine propitiationis commiseratio exercitus Christi longanimitatem et patientiam clementer respiciens et eiusdem diuturnos miserata labores portas Egyptiorum confregit* [cf. VI, 17] *et Damiatam famosam Egypti civitatem subdidit nomini christiano*... 21 Cf. 561.

torum beneficiorum immemores et ingrati *dominum ad iracundiam provocaverunt* variis criminibus *animas suas obligantes* et maxime spoliis paganorum et thesauris civitatis furto et rapina communitatem exercitus defraudando. Quibus iratus dominus exemplo Achor
30 qui de anathemate Iericho furtive retinuit, ultione manifesta in mari et in terra eos periclitari permisit, quibusdam eorum a Sarracenis captivatis, aliis mari submersis, aliis mutuo a se interfectis; alii autem pecuniam per sacrilegium retentam cum aleis et meretricibus luxuriose vivendo turpiter consumpserunt et ita sordida preda
35 bonos eventus non habuit, sed miseris possessoribus suis vinculo excommunicationis innodatis *fuit in laqueum* et in ruinam et cum eis *pecunia* eorum *fuit in perditionem*. In illa autem tempestate et tenebroso tempore falsi nominis peregrini supra modum *corrupe-*
R XVI, 86 *rant* | *vias suas* corruentes de peccato in peccatum, divino timore
40 postposito, *et qui in sordibus erant, adhuc sordescebant* passim luxuriantes commessationibus et ebrietatibus vacantes, invicem mordentes atque invicem detrahentes, seditiosi, prophani et proditores, Christi negotium maliciose perturbantes et Christi exercitus impedientes promotionem; prelatis autem neque obedientiam neque
45 ullam exhibebant reverentiam, sed gladium ecclesiasticum contempnentes excommunicationis vilipendebant sententias. Rex autem Ierusalem cum omnibus fere militibus suis exercitum deseruit, magister Templi cum maiori parte fratrum suorum recessit, omnes fere Francigene milites abierunt, dominus autem patriarcha no-
50 biscum noluit in exercitu remanere. Omnes autem qui de Cypro erant nos reliquerunt et generaliter omnes fere orientales tam prelati quam milites seculares absentes erant, exercitu peregrinorum ante Damiatam in magno periculo remanente. Tanta autem paupertate omnes fere milites nostri attenuati fuerant, quod in toto

---

C, FLV (=β), G, I, B.

28-29 communitatem] communia I, comitante β. 32 mutuo a se] mutuo a se invicem GB, a se mutuo β. 37 fuit *om.* βI. 46 sententiam IB. 49 autem] etiam β, vero B. 49-50 nobiscum noluit in exercitu] in exercitu *om.* B, nobiscum in exercitu noluit G. 51 generaliter fere omnes GB, omnes fere generaliter β.

26-27 Deut. 4, 25; 9, 18. 27 Nombres 30, 4 et 7. 29-30 Voir sur VI 132. 34 luxuriose vivendo] cf. Crane, *Exempla*, 289, 6 et 296 (p. 125, 13) et mon édition du *Dialogus* de Pierre de Blois, RB, LXVIII (1958), p. 91-92. 36 fuit in laqueum] Ps. 68, 23. 37 pecunia ... perditionem] Actes 8, 20. 38-39 Genèse 6, 12. 40 Apocal. 22, 11. 46-47 février 1220.

55 exercitu quatuor vel quinque vix reperiri poterant qui de suo in
Christi servitio valerent sustentari, presertim cum nec reges nec
principes nec alii potentes in exercitu remansissent excepto comite
Matheo de regno Sicilie, qui milites quotquot poterat propriis
expensis retinebat. Dominus autem legatus de elemosinis communi
60 tatis quibus poterat providebat. Nostri igitur, quia pauci erant
et cum Sarracenorum multitudine secure congredi non poterant
infra licias et fossata sua ut civitatem | custodirent morabantur. — R XVI, 87
Soldanus autem Egypti cum exercitu suo itinere fere unius diei a
civitate Damiate remotus castra sua in insula quadam collocaverat,
65 per exploratores suos, impios christianos qui in exercitu nostro
precio conducti latitabant, nobis multipliciter insidiando captansque
oportunitatem si ex aliqua parte nostris posset aliquas inferre
molestias vel per aliquos *viros Belial*, prophanos christianos, inter
nostros posset ***discordiam seminare***. Plerumque autem hii qui in
70 insidiis latitabant Sarraceni aliquos ex nostris incaute exeuntes
ducebant captivos vel eis capita abscidebant: pro quolibet enim
christianorum capite soldanus Egypti certam eis spoponderat
pecuniam. Nostri autem versa vice de suis, paucos tamen, ali-
quando capiebant, ipsi enim inermes et expediti velut capreoli
75 celeriter fugiebant et in lacubus paludosis sese recipientes. De nostris
autem militibus et Turcopolis, qui quandoque longius ab exercitu
necessitate aliqua equitabant pro lignis deferendis vel graminibus
colligendis, equis eorum sagittis vulneratis aliquos quandoque
detinebant, nostros autem pariter conglobatos et in unum collectos
80 nunquam in congressu expectare audebant nisi longe plures nostris
fuissent. Aliquando autem arte fugam simulantes aliquem de nostris
indisciplinate subsequentem includentes capiebant, nostris autem
pariter redeuntibus Beduini eorum, habentes equos agiles, posterio-
res a longe sequebantur captantes oportunitatem si forte aliquem
85 ex nostris ab aliis | incaute recedentem detinere valerent, sed et — R XVI, 88

C, FLV (=β), G, I, B.

60 igitur] ergo I, autem G. 61 multitudine Sarracenorum βB. 63 unius diei fere βI. 69 discordias Cβ, *fortasse recte, cf. 201*, dissensiones, *et adn. ad II, 162-163*, immortales discordias. 72 certam spoponderat eis I, spoponderat eis certam G. 75 et in] et *om.* CI (*sed* recipiebant (75) G). 79 nostros] *om.* β, nos B. conglobatos pariter I, conglobatos autem pariter β. 85-86 sed et eorum] et *om.* B, et eorum *om.* β.

57-58 Voir p. 54 (VII). 68 Cf. Deut. 13, 13; Juges 19, 22. 69 Prov. 6, 19. 73 versa vice] cf. 114-115. 75 et] explicatif, voir p. 33, n. 1. 76 Turcopolis] milices musulmanes au service des chrétiens. 80-81 Cf. 106-107.

eorum arcarii a parte posteriori recedentium equos vulnerantes
quandoque de nostris aliquos retinebant. Ex quo factum est quod
plusquam tria milia christianorum apud Alexandriam et Kairum
et Damascum capti teneantur in vinculis, quorum quidam a piratis
90 Sarracenorum in mari fuerunt capti, alii in prelio detenti, alii
dum pabulatum exirent captivati; multi autem ex pauperibus, dum
in lacu quodam non multum a castris nostris remoto incaute pis-
carentur, vel in ipsius maris litore a nostris longius recedentes ab
hostibus in insidiis latentibus retenti, *abierunt* in captivitatem
95 *ante faciem subsequentis*. Quadam autem die cum milites et Turcopoli
nostri cum preda magna tam paganorum quam animalium a quo-
dam casali fessi valde et afflicti reverterentur, Turci quidam in
insidiis latentes cum equis recentibus posteriores ex nostris aggressi
et telorum multitudine equos nostros vulnerantes magnum nobis
100 dampnum intulerunt, quibusdam ex militibus nostris probis valde
et in armis strenuis ab ipsis partim captis, partim interemptis. Sic
igitur casibus subalternis christianorum exercitus quandoque in-
ferior ab hostibus captivitatis et mortis detrimenta sustinebat,
quandoque superior inimicos crucis Christi partim trucidabat,
105 partim captivos ducebat. Quoniam autem Sarraceni cautiores erant
et ad fugiendum promptiores, nostros autem nisi longe plures essent
et manifestam preeminentiam attenderent expectare non aude-
bant, cum ipsi plusquam tria milia ex nostris ut dictum est | in (R XVI, 89)
vinculis detinerent, vix mille ex ipsis detinebamus captivos. De
110 Sarracenis autem frequenter ad nos aliqui spontanei pertransibant,
qui tamen christianorum vitam duram nimis et artam iudicantes
eo, quod inter suos quicquid libebat licebat, diutius nobiscum
manere non sustinebant, sed ad consuetas inmundicias paganorum
revertebantur a nobis occulte recedentes. De nostris autem versa
115 vice quidam miseri et abiecti ad castra paganorum sponte transibant

C, FLV (=β), G, I, B.

94-95 retenti ... subsequentis] retenti *om.* G, captivati sunt β. 97 et afflicti *om.* βB. 99 equos nostros vulnerantes] equos vulnerantes G, vulnerantes equos C. 100-101 militibus ex nostris ... captis C, nostris ... captis *om.* G. 102 exercitus christianorum βB. 103 captivatis IB. 104 crucis Christi] *om.* β, crucis *om.* G. 105 captivos ducebat] captivabat βB, *cf. p. 48, n. 2.* 110 spontanei] *om.* I, sponte β. transibant βI, *cf. 115.* 112-113 manere nobiscum βG. 114-115 vice versa βB.

88-89 cf. 518-519. 94-95 Lamentations 1, 6. 95 Turcopoli] voir sur 76. 102 casibus subalternis] même expression BO, 1049, 6 et 1089, 32. 106-107 cf. 80-81. 114-115 cf. 73.

ut commessationibus et luxuriis et obscenis voluptatibus passim et absque ulla contradictione *defixi in fecibus suis* fedarentur. Cum autem soldanus Egyptius multos ex predictis apostatis recepisset, infidelitatem eorum et animi levitatem non ignorans
120 astute eis usus est mittens eos ad remotiores regni sui partes, unde nunquam reverti valerent; ipsi autem adeo viles inter Sarracenos habebantur, quod vix unde miseram vitam sustentarent illis tribuebatur neque eos in hospitiis suis recipere volebant, sed eis improperabant quod sicut mali christiani fuerant, ita Sarracenorum
125 legem nunquam bene observarent. Soldanus autem Egypti modis omnibus procurabat qualiter nostros posset molestare et exercitum nostrum in plures partes divisum debiliorem reddere; unde mandavit fratri suo Coradino, soldano Damasci, quatinus circa partes Acconenses munitionem novam, que Castrum Peregrinum dicitur,
130 obsideret. Ex quo factum est quod multi de exercitu nostro ad castri subsidium festinantes abierunt et quod Acconenses ad exercitum nostrum non venirent ante Damiatam. | Alii autem fratri suo, quem Seraph nominant, qui princeps est regni Calaph in terra Assyriorum, predictus soldanus, dominus eius, precepit quatinus
135 circa partes Antiochenas et Tripolitanas cum exercitu suo moraretur, ut ex partibus illis nullum possemus habere succursum, sed et galearum multitudinem in mari posuerat ut transitum peregrinorum et mercatorum impediret et auxilio eorum, qui in Cypro commorantur, christianorum, nos privaret. In bargis preterea et
140 galionibus multitudinem pugnatorum circa castrum Thaneos et in lacu maximo, qui ex una parte fere usque ad castra nostra protendebatur, posuerat. Interea autem ex utraque parte civitatis Damiate Beduinos, Turcopolos et milites multos habebat ut exercitum nostrum multipliciter expugnaret, et ita predictis VII partibus nos
145 infestando septemplices nobis inferebat molestias. Dominus autem populi sui *afflictionem respiciens* derelictos *non dereliquit*, sed

R XVI, 90

C, FLV (=β), G, I, B.

118 Egypti CB, *cf. app. cr. ad 464.* multos ... 119 recepisset] *om.* β, multos *om.* C. 124 fuerunt CG. 125 asservarent B, custodirent I. 129 Peregrinorum I, V, Peregrini B, FL, *cf. P. Deschamps, La défense du Royaume de Jérusalem, 1939, p. 25, n. 1.* 132 ante Damiatam non venirent Cβ. 140 castra βG. 142 interea] interim B (*cf. 171*), in terra βI. 146 sui populi βB.

117 Sophonie 1, 12. 141-142 cf. 92. 143 cf. 76. 144 VII partibus] cf. 127-130; 132-136; 136-139; 139-142; 142-144. 146 Genèse 31, 42; Exode 4, 31, cf. II, 63-64; V, 29. non dereliquit] I Rois 12, 22; III Rois 6, 13; Ps. 93, 14.

clementi bonitate consolatus est desolatos, quibus tandem *vexatio dedit intellectum* ut in tribulationibus et variis periculis *clamarent ad dominum*. quanto magis siquidem paucitatem suam humano
150 subsidio destitutam conspexerunt, tanto firmius *de supernis* auxilium expectantes *spei* sue *anchoram* in domino proiecerunt. interius enim a domino visitati et divine predicationis sermonibus animati *revertentes ad cor* et penitentiam agentes, confitentes peccata sua *mutati sunt in virum alterum* adeo, quod exercitus domini respectu
155 eius quod ante fuerat quasi claustrum monachorum videretur. confestim igitur fervore spiritus accensi et saniori usi consilio omnes publicas meretrices ab exercitu recedere coegerunt. si quas autem ultra terminum prefixum et diem assignatum reperiebant, per medium castrorum faciebant fustigari et plerumque ferro
R 160 calido adurentes cauterium in frontibus imprimebant. Publico
XVI, 91 insuper edicto proclamari preceperunt ne quis causa potationis tabernas frequentaret vel deciorum seu alearum lusibus operam daret, certam pecunie penam transgressoribus infligentes. Latronibus autem et homicidis et aliis viris sceleratis non parcebant XII con-
165 siliarii cum marescalco domni legati, qui malefactores punire iuramento tenebantur; predicationibus autem divinis et salutaribus mandatis libenter et humiliter intendentes, quod auribus percipiebant operibus adimplere satagebant. Quoniam autem pauci valde in exercitu remanserant pugnatores, absque magno et manifesto
170 periculo contra Sarracenorum multitudinem congredi non valebant. interim autem quod poterant devotissime faciebant: civitas populabatur, construebantur ecclesie, edificia vetustate diruta reparabantur, *seminabant agros, plantabant vineas*, civitatem undique muniebant. Ex parte autem opposita civitati super fluvium Nili
175 ad custodiam portus et navium mirabilem cum labore maximo construxerunt munitionem: omnes *a maiore usque ad minorem*

C, FLV (=β), G, I, B.

150 conspicerent I, aspexerunt B. 156 igitur] *om.* C, ergo I. 162 seu] sive CG, vel I. 164 celeratis (*sic*) viris I, sceleribus inquinatis β. 167 aure CG. 168 implere βI. 171 interim] interea G (*cf.* 142), item I. 173 vineas plantabant Cβ. 174 flumen I, *et ex* fluvium, B. 175 cum labore maximo] *om.* β, cum labore magno B, cum maximo labore G.

147-148 Isaïe 28, 19. 148-149 cf. II, 100. 150 Jean 3, 23. 151 (V, 133) spei ... anchoram] cf. Hébreux 6, 18-19. 153 Isaïe 46, 8. 154 I Rois 10, 6. 154-155 respectu eius quod ante fuerat] cf. Olivier de Cologne, *Historia Damiatina*, éd. Hoogeweg, p. 252, 3-7. 171-174 cf. VI, 231-233. 173 Ps. 106, 37. 176 Genèse 44, 12, cf. VI, 110-111.

supra collum et humeros sabulum deportantes et in uno loco congregantes, quasi in collis similitudinem Toroni altitudinem erexerunt, terre argillose muro sabulum concludentes: non enim in
180 Egypto lapides reperiuntur, nisi a partibus Cypri vel Syrie cum labore magno navigio deferantur. astruxerunt igitur quasi in-
R XVI, 92 expugnabile castrum quod fossores vel petrarias | non timeat neque ignem grecum. In medio autem turrem ligneam mire altitudinis erexerunt, non solum ad castri defensionem, sed ut
185 navigantibus Damiatam tanquam signum a remotis appareret. Construxerunt nichilominus in medio magni lacus, de quo superius fecimus mentionem, aliam munitionem inter urbem Damiatam et castrum Thaneos medio loco sitam, quam Butavant nostri vulgariter appellant, ob quam causam Sarraceni supra modum dolue-
190 runt eo, quod maximam lacus partem nostri eis auferentes infinita piscium optimorum habundantia exercitum nostrum reddiderunt copiosum et insuper cum bargis et galionibus suis sicut prius exercitum nostrum Sarraceni molestare non poterant. Aliorum autem victualium tantam nobis dominus contulit habundantiam, quod
195 pro modico precio milites nostri et alii pauperes sufficienter poterant sustentari. Cum igitur IIII munitiones haberemus in Egypto, Damiatam scilicet et Thanis et Toronum in sabulo et castrum Butavant in lacu amplissimo, nostrorum statu semper in melius crescente, inimicorum conditio vergens ad occasum in
200 deterius profluebat, presertim cum inter se Sarraceni pugnam et dissensiones haberent et rex Damasci Coradinus, qui Castrum

---

C, FLV (=β), G, I, B.

178 quasi ... Toroni] quod (ad V) instar collis β. quasi ... (*om.* Toroni) G. 183 apparet CB. 187 aliam munitionem] *om.* B, munitionem *om.* G. 188-189 quam nostri vulgariter Butavant appellant I, quam vulgariter nostri Butavant appellarunt β. 192 suis sicut] *om.* G, suis *om.* β. 193 Sarraceni non poterant molestare I, non poterant Sarraceni molestare G.

---

178 Toroni altitudinem, voir 197] A distinguer du château du Toron, à 22 kilomètres à l'est de Tyr (= VI, 42), cf. P. Deschamps, *La défense du Royaume de Jérusalem*, Paris, 1939, p. 117(-143). 181-182 cf. IV, 22. 186 superius] VII, 92, 141. 188 „Der ... Name Butavant ist offenbar, wie umgekehrt der Name Damiette in französischen Urkundenbüchern zwei- bis dreimal als Ortsname in Frankreich erscheint, aus dem französischen Ortsnamen Butavant (La Grange; Oise, départ., arrond. Beauvais), wo 1199 die Unterhändler des Königs von Frankreich und England sich trafen (Annales Burton. p. 199) (= *Annales Burtonenses* a.d. 1199, éd. H. R. Luard, *Annales Monastici*, I (Londres, 1864), p. 199, 23-26], abzuleiten" (Röhricht, *Zeitschrift f. Kirchengeschichte*, XIV (1894), p. 98, n. 2). 199 cf. V, 10. 201-202 cf. 128-129.

Peregrinum obsederat, cum magna confusione, multis ex suis interemptis, recessisset. Frater autem eius dictus Seraph audiens regem Indorum David terram suam invasisse, a partibus nostris
R 205 cum exercitu suo coactus est recedere. Hic autem rex David, vir
XVI, 93 potentissimus et in armis miles strenuus, callidus ingenio et victoriosissimus in prelio, quem dominus in diebus nostris suscitavit ut esset malleus paganorum et perfidi Machometi pestifere traditionis et execrabilis legis exterminator, est ille quem vulgus
210 presbyterum Iohannem appellant. Qui cum fratrum suorum minimus esset, sicut de sancto rege Israel David propheta legimus, omnibus prepositus est et in regem divinitus coronatus. Quam mirabiliter autem dominus ipsum his diebus promoverit et eius *opera magnificaverit, gressus* illius *dirigens* et populos innumeros,
215 gentes, tribus et linguas eius ditioni subiciens, ex transcripto carte subsequentis patebit, quam de Arabico in Latinum per fideles interpretes, prout melius potuimus, transferre procuravimus

Excerpta de historia gestorum David regis Indorum, qui presbyter Iohannes a vulgo appellatur. [1] In nomine Patris et Filii et
220 Spiritus sancti. Amen.

[2] Hec est materia processus regis David, filii regis Israel, filii regis Sarchisi, filii regis Iohannis, filii de Bulgaboga credentis in Christo Iesu. [3] Rex David prefatus est minor fratrum suorum. [4] Pater eius, rex Israel, habuit sex filios, et hic fuit minimus om-
225 nium. [5] Mortuo patre eius successit ei frater eius primogenitus et tam ipse rex quam pater eius, rex Israel, et avi et proavi eius
R erant obedientes | regi Persarum qui vocabatur Chancana, quod
XVI, 94 dicitur lingua nostra *rex regum*, et terra sua erat a Chasar usque Bellasachun, que terra est ultra flumen quod lingua persica dicitur
230 flumen Geos. [6] Prefatus autem rex Persarum, congregatis astro-

202-217: C, FLV (=β), G, I, B; 218-230: FLV (=β), G, I, B; DZ (=π).

203 autem] *om.* C, etiam β. dictus] *om.* B, LV (scilicet F). 210 appellat Cβ. 213 his diebus eum βB. 218 Iudeorum GI, *cf. Zarncke, l.c., p. 21-22.* 224 rex *om.* βB, *cf. 226.* 225 ei *om.* π, ei frater *om.* B. 226 *alt.* rex *om.* βB, *cf. 224.* 228 lingua] in lingua Gπ, *cf. 229, 302.* usque ad IB, *cf. 435, 480.* 230 autem *om.* GD. 230-231 astrologis suis convocatis I, convocans astrologos suos π.

207-208 Cf. Juges 2, 16. 209-210 quem vulgus ... appellant] voir la note sur II, 231-232. 211 I Rois 17, 14. 214 opera magnificaverit] Eccle. 2, 4. gressus ... dirigens] cf. Prov. 20, 24. 214-215 cf. Ps. 46, 4. 215 carte] voir p. 56-62. 218 Indorum] voir l'apparat critique.

logis suis, quesivit ab eis ut ei futura predicerent et que ventura essent post mortem eius. [7] Qui iuxta consuetudinem eorum ceperunt puerum unum virginem, quem minui fecerunt utroque brachio et sanguinem eius recipientes in uno vase coniuraverunt illum:
235 [8] et puer antequam mortuus esset predixit eis omnia. Dixit quoque quendam regem David nomine valde nobilem debere sibi subiugare regnum Persarum. Sic predictus Chancana rex Persarum quesivit ab eis quid super hoc dicerent, et si scirent in provincia illa aliquem regem qui vocaretur David. [9] Qui dixerunt se nullum scire qui
R XVI, 95 240 vocetur hoc nomine: *tamen rex Israel habuit filium* | *unum parvulum qui vocatur David, qui nullius valoris est.* [10] Dixit ergo rex prefatis astrologis: *Mittamus fratri suo ut nobis eum mittat et sic occidamus eum, et de nomine ipso nos liberabimus.* [11] Misit ergo nuncios suos ad regem Indie, fratrem David, ut ei fratrem suum mitteret, quia
245 ei volebat benefacere et honorifice promovere. [12] Frater vero David, receptis super hoc nunciis, cum quibusdam fidelibus suis, de quibus confidebat, misit fratrem suum ad regem prefatum dubitans quid vellet facere de fratre suo. [13] Veniente puero ad regem Persarum, letatus est valde rex de adventu suo. [14] Puer
250 osculatus est terram coram eo eumque devotissime salutavit. Qui valde formosus erat, quem statim ut vidit rex, misertus est eius.

[15] Aderant ibi due uxores regis, quarum una erat filia regis Iohannis, amita regis Israel, patris David, altera erat filia regis Chanichi, ex qua filium habebat qui vocabatur Philippus. [16] Que
255 dixerunt ei: *Neque vos timetis deum? Puer hic ad vos sub fide vestra advenit et est sub umbra vestra et pedibus tetigit tapete vestrum, et vultis eum morti tradere pro verbis diabolicis vobis annunciatis, videlicet pro his que dixit vobis puer quem minui fecistis et interfici?*
R [17] Et valde istud ei improperabant uxores eius, quarum una erat
XVI, 96 260 christiana, | scilicet amita patris ipsius David, et altera incredula.

FLV (=β), G, I, B; DZ (=π).

235-236 quoque *om.* βπ, regem *om.* GZ, dixitque regem David β. 238-239 aliquem regem] *om.* I, regem aliquem D. 239 se *om.* GD. 239-240 vocaretur G, qui ... nomine *om.* π. 243 de nomine ipso] *om.* β, de ipso nomine I, de ipso (*om.* nomine) π. ergo] *om.* β, igitur B, preterea π. 245 ei volebat benefacere] *om.* β, volebat ei benefacere ID, ei bene volebat facere G. vero] autem IB. 248 veniente] veniente autem βG. 255 sub fide vestra ad vos D, sub fide nostra ad nos G. 256 venit BD. tapete vestrum] *om.* β, tapetum vestrum ID, tapetium vestrum B, tapetia vestra G. 259 istud ei improperabant *om.* β, istud improperabant ei GZ, ei illud improperabant B. 260 patris ipsius] *om.* β, ipsius *om.* D, ipsius patris GZ. altera] *om.* βZ, altera erat IB.

Sic rex verecundiam habuit in corde suo et consideravit quid de h..
facturus esset. Demum permissione divina permisit eum repatriar
[18] In continenti puer cum suis equitavit et instinctu divino pe-
diem et noctem equitavit XL leucas, tantum properans reditu..
265 suum equitaturas mutando. [19] Accesserunt ad regem scribe et
astrologi sui improperantes ei quod male fecerat, quia ipsum redire
permiserat. [20] Rex in continenti penitens de eo quod fecerat
misit post eum cursores equites ut eum apprehenderent. Quem
invenire non potuerunt: [21] evaserat enim voluntate divina
270 Demum venit ad terram fratris sui. [22] Post hec spacio trium
annorum mortuus est frater eius omnesque de regno convenerunt
in eum elegeruntque ipsum in regem ipsorum pro eo, quod vide-
batur formosus, discretus et magnanimus, [23] et virtute divina
primo bono omine promoverunt eum in ordinem secundum con-
275 suetudinem predecessorum suorum et deinde unxerunt eum in
regem; deinde copulaverunt ei in uxorem filiam regis Damachagi
[24] Et in tantum ipse laboravit, quod gentis maxime copiam con-
gregavit, quam utique nemo dinumerare poterat, et equitavit super
terram Chancana regis Persarum. [25] Cui prefatus rex Persarum
280 Chancana occurrit cum multitudine magna et adinvicem pugnave-
runt. [26] Sic voluntate divina et auxilio vivifice crucis rex David
prevaluit ipsumque devicit, et maior pars gentis eius occisa fuit
R XVI, 97 preter quosdam, qui lavacro | baptismatis abluti sunt. [27] Captu-
est etiam rex Persarum Chancana predictus et aureis compedibus
285 astrictus et super currum ductus captivus in terram regis David

[28a] Predictus rex David subiugavit sibi totam terram illius,
quod regnum vocatur *regnum regis regum Sarracenorum*, in quo
sunt LXIIII magne civitates, quarum una vocatur Damagalcha,
alia Chasahar, alia Lakehelech, Melech, Bessibehelec, Chaten,
290 Asgucheat, Chaogent, Bakara, Samarchanda, Phargana, Agagya.
[28b] † a Chasahar usque Phargana sunt X diete, a Phargana usque
Chaogent alie X diete, a Chaogent usque Bachara XX diete, a

FLV (=β), G, I, B; DZ (=π).

262 deinde BZ. 265 equitaturas suas βG. 269 evasit BZ. 270 demum] *om.* β, deinde IBZ, *cf.* 275. 272 ipsorum] *om.* Bπ, eorum I. 273 *pr.* et *om.* GZ. 275 et *om.* Bπ. demum BD (*cf.* 270), post hec Z. 277 maxime] *om.* β, maximam GZ. 279-280 rex Persarum Chancana] *om.* β, Persarum Chancana *om.* Z, Chancana *om.* BD, rex Chancana Persarum G. 280 magna] *om.* β, maxima G, *cf.* 277, 311-312, 362. 282 sue IB. 287 *pr.* regnum *om.* βI. 291 † a] *om.* βπ, iterum a GB, interim a I.

Bachara usque Zarmich VIII diete, a Zarmich usque ad Bokarichi X diete, a Bokarichi usque ad Abiar X diete, item a Zarmich usque
295 Bellasachun X diete. [29] Postmodum venit rex David ad terram que dicitur Alaanar, que est in confinio Indie. In provincia vero, ubi est prefata civitas Alaanar, sunt tante civitates, quas dinumerare nemo posset. [30] Civitas [illegible]a rex Persarum morari consueverat, Gasne | vocatur, que est maxima civitas et populosa

R XVI, 98

300 valde, in qua sunt quingente machomerie et totidem scole et sexcenti fundeti, ubi hospitari consueverant sophi Sarracenorum, qui dicuntur lingua nostra *monachi*. [31] Prefatus rex David pugnavit postmodum cum rege predicte terre que dicitur Alaanar, et devicit eum et tota | fere gens eius occisa est preter quandam partem, que

R XVI, 99

305 conversa est ad fidem nostram. [32] et subiugata sibi tota terra illa reversus est ad terram que vocatur Chatha. Tunc erant treuge inter regem Chatha et Chavarsmisan, et erant inter eos terre pro indiviso, scilicet Bachara, Samarchant, Bellasachun. [33] Prefatus Chavarsmisan misit nuncios suos ad regem David et concordavit
310 cum eo deditque ei totam terram quam habebat ultra fluvium Geos. [34] Postquam ipse fuit securus de rege David, congregavit gentem maximam et ivit super quandam provinciam que vocatur Chorasan, et super magnum Arach et parvum Arach, que sunt magne provincie, et Diarbechen, et venit prope Baldach per sex dietas. [35] Qui
315 misit nuncios suos ad calipham Baldacensem, qui dominatus fuerat in Baldach per annos XLI, qui vocatur Alenanzer Lenidalla, quod est interpretatum *auxilium legis divine*: istud est cognomen eius, nomen eius vocatur Romanzur filius Mostadi. Vnde et diffidavit eum. Caliphas magno timore ductus, quia vires habere non
320 poterat ut resisteret ei, consuluit fideles suos [36] qui dixerunt ei ut rogaret Iaphelech, id est patriarcham Indorum, qui in civitate Baldach morabatur, quod mitteret regi David ut treugas frangeret Chavarsmisan | et sic cessaret ab infestatione sua. [37] Prefatus

R XVI, 100

FLV (=β), G, I, B; DZ (=π).

297-298 tot sunt civitates, ut earum numerus ignoretur β, tot sunt civitates, ut eas Z, tot sunt civitates, quot D. 302 lingua] in lingua GIπ, *cf. 228.* 303 que dicitur *om.* Iπ. 304 fuit IB. 311 ipse] *om.* β, enim ipse GB. 312 maximam] *om.* β, magnam IB, *cf. 280.* provinciam quandam IB. 320 qui dixerunt ei] ei *om.* I, qui hortati sunt (*om.* ei) β, qui sibi dixerunt D.

---

301 fundetus, fundicus (funduk), *factorerie.* 318-319 diffidare] *dénoncer la foi vassalique, annoncer la rupture du lien de vassalité, désavouer son suzerain* Niermeyer, *Mediae lat. lex. minus.* 319-320 habere non poterat] voir p. 33, n. 1.

caliphas nocte equitavit cum quibusdam de suis, quia die equitare
325 non consuevit nisi statutis diebus, et ivit ad domum patriarche, qui morabatur in Baldach. Quem statim ut vidit patriarcha, honorifice suscepit et letatus est valde de adventu suo. Tunc allocutus est eum caliphas dicens: *In maximo articulo peto auxilium tuum, et fidus amicus in necessitate probatur:* [38] *ecce nequam iste Chavarsmisan super nos*
330 *potenter advenit et si occupaverit terram istam, omnes christianos tuos morti tradet, quia valde eos odio habet.* [39] De quo respondit patriarcha, verum fore. Tandem dixit ei caliphas quia *hoc modo me iuvare potestis. Rex David et omnes alii qui custodiunt legem vestram, vobis obediunt: rogo ut per litteras et nuncios vestros regi David precipiendo*
335 *mittatis ut guerram moveat Chavarsmisan, et sic cessabit a molestatione nostra. Scio enim pro certo quod, si rex David ipsum molestare ceperit, in continenti ipse repatriabit. Nam si hoc michi compleveritis, vobis et omnibus qui tenent legem vestram, quicquid volueritis concedemus.* [40] Respondit ei patriarcha: *Vos scitis quia sacramento tenemur*
340 *omnibus predecessoribus vestris et vobis, ut nullas litteras mittamus alicui regi christianorum nec aliqua nova ei significemus de terra vestra.* [41] Ad quod respondit caliphas: *Ego sum dominus huius terre et caliphas prophetarum Sarracenorum: super hoc licenciam vobis concedo et litteras* | *securitatis inde vobis faciam.* [42] Sic pa-

R XVI,101

345 triarcha exaudiens preces caliphe misit regi David ut dicto Chavarsmisan treugas infringeret. Quo audito rex David congregavit gentem innumerabilem et equitavit super terram Chavarsmisan. [43] Audiens istud Chavarsmisan ad propria rediit. De quo letatus est valde caliphas offerens maximam auri quantitatem
350 patriarche, [44] quam omnino patriarcha recipere recusavit: unum tantum rogavit, ut faceret ei dirui quandam machomeriam, que erat super ecclesiam patriarche, que sibi magnam inferebat molestiam. Quam prefatus caliphas sic funditus subvertere fecit in nocte, quod in die etiam signum ipsius non comparuit, et istud
355 fuit primum malum omen legis sarracene. [45] Preterea postquam

FLV (=β), G, I, B; DZ (=π).

325 consueverat BZ. 326 moratur BD. 328 dicens] *om.* Z, dicens ei ID. 331 quia] *om.* Z, quod BD. me *om.* IB. 333 potes I, poteris Z. alii *om.* BZ. 334 litteras] litteras vestras B, litteras nostras I. 341 ei *om.* Z, significemus ei ID. 344 inde vobis faciam] *om.* β, inde tibi faciam D, vobis inde faciam G, vobis facio I, tibi tradam Z. 349 auri maximam quantitatem B, maximam (magnam D) quantitatem auri π. 350-351 unum tantum rogavit] unde tantum rogavit B, unde rogavit D, unum rogans Z.

355 sarracene] voir sur II, 344-345.

Chavarsmisan ad terram suam rediit, voluit libenter pacificari cum rege David, quod ille penitus recusavit, et sic congregavit gentem innumeram et transivit flumen Geos preparans se regi David potenter oppositurum. [46] Quem rex David viriliter devicit
360 in campo, et maior pars gentis sue [illegible]cisa fuit. Asserunt quidam eum fuisse mortuum, quidam vero [illegible]t ubi sit. [47] Iterato congregavit gentem maximam rex David et XVI alios magnos viros, quorum unus habebat C milia hominum, alius CC milia vel parum
R XVI, 102
plus vel parum minus, et divisit | exercitum in XL crucibus,
365 quarum quelibet continebat sub se C milia hominum, et venit citra flumen Geos et cepit [48] Choarismen et Moa et Bendei, Techris, Nanru, Sarches, Thus, Tarsis, Dargan, Chorasan, Nichaguar, Termede, Baguarda, Nassa, Bastem, Edabamagan, Ceregi, Bolche, Segisten, Saarsitan, Messedali, Chechi, Mean, Seheri, que
370 omnes sunt magne civitates, preter alia parva castra et villas, que fuerunt CC, [49[illegible] et regnum soldani Soniar, in quo sunt he civitates: Musahar, Delbikan, Deschaan, Curchaan et alia provincia, que dicitur Delgor, in qua sunt VIII magne civitates, et regnum de Marendran, in quo sunt VIII civitates magne et CC castra, et terra
375 ista in longitudine est XX dierum et in latitudine XII. Et hic est finis terrarum Chavarsmisan. [50] Regnum soldani Tagiel est in introitu regni Persarum, quod dicitur magnum Arach, id est
R XVI, 103
magnum regnum, quod per tres | menses potest equitari. [51] et caput huius regni est quedam civitas que vocatur Rabi. Alie
380 civitates vocantur Auher, Scharrai, Schemenech, Sehemanan, Casvin, Senchan, Cham, Chaschan, Amedan, Esbohan, Sanguhaa, Senchehan, Conine, Amiana et castra plusquam CCC. [52] In terra de Diarbakan sunt he civitates: Mirris, Eiohan, Bellochan, Cohai, Change, Eschenii, Aramie, Enuschaar, Meraga, Sada, Chanoguin,
385 Testemodi, Sardahan, Guarduhil, Munedo, Solemeste, et terra ista est XLVII dierum in longitudine. Item in provincia que dicitur Chanka sunt XX civitates et castra CXX, et regnum istud vocatur regnum Ebibeth, quod dicitur parvum Arach, id est *parvum regnum*. Omnes prefatas terras subiugavit sibi rex David et distat a Baldach

---

FLV (=β). G, I, B; DZ (=π).

360-361 quidam eum fuisse] *om.* β, eum quidam fuisse G, quidam eum esse I, eum quidam esse B, quidam ipsum Charnamysan fore Z. 361 dubitabant GB. 362 gentem maximam] gentem magnam G (cf. 280), exercitum ... permaximum β. 370 parva] *om.* βB, castra parva G. 371 fuerunt] *om.* β, sunt IB.

390 per V dietas et a Musseech per totidem dietas. [53] et caput exercitus pervenerat ad terram Georgianorum, quos devicit et abstulit eis XL castra, quia, cum essent christiani, confederati erant cum Sarracenis. [54] Post hec rex David misit nuncios suos | ad caliphamR XVI, 104 de Baldach, qui tulerunt super caput suum vexillum, in quo erat
395 crux, quando intraverunt Baldach. [55] Quibus dixerunt Sarraceni: *Quare fertis super caput vestrum crucem, cum sitis in Baldach* (que dicitur sarracenice Darheselem, quod est interpretatum *curia salutis*) *et in facie Sarracenorum?* [56] Quibus dixerunt nuncii: *Dominus noster, rex David, precepit nobis ut hoc modo intremus*
400 *terram, aliter vero non; quod si nolueritis, revertemur.* [57] Significatum est hoc caliphe, qui dixit: *Intrent sicut velint.* Quos statim ut caliphas vidit, honorifice suscepit assurgens eis, quos iuxta se sedere fecit. [58] Cui nuncii ex parte domini sui per interpretem locuti sunt dicentes: *Rex noster vos salutat et significat quod noster*
405 *Iaphelech*, id est patriarcha, *multum se commendat de vobis, quod sincerum semper habuistis animum erga christianos et honorastis ecclesias nostras, pro quo ipse concedit vobis sextam partem terre quam tenetis, et vult habere Baldach, ut sit ibi sedes patriarche.* [59] Quibus dixit caliphas: *Rex virtute divina subiugavit sibi tantam terram et*
410 *ubique personaliter esse non potest. Oportet ut per terras conquisitas statuat baiulos suos: supplico* | *ergo ut me in terra ista baiulum suum*R XVI, 105 *statuat, et dabo ei tantum pecunie quantum ipse voluerit.* [60] Nuncii dixerunt: *Non venimus ad querendam pecuniam, sed quia audivimus vos fecisse dirui sanctam Ierusalem, tantum pecunie ferimus, quod*
415 *muros ipsius auro et argento reedificabimus.* [61] Obtulit nunciis exennia valentia C milia bisantiorum, que nuncii recipere noluerunt. [62, 63] Quando autem rex David pervenit ad terram que dicitur Casvin, quam sibi subiugavit, dimisit ibi baiulum suum cum paucis de suis, et dimittens terram illam post tergum suum, homines
420 illius civitatis interfecerunt baiulum regis et alios de familia sua.

FLV (=β), G, I, B; DZ (=π).

391 terras βB. 393 suos *om.* βZ. 396 crucem (cruces B) *post* fertis, IB. 399-400 intremus terram] *om.* β, terram *om.* G, intraremus terram Iπ, intremus terras B. 400 volueritis IB. 401 intrent sicut velint] intrent sicut volunt D, ut intrent sicut volunt G, ut intrarent sicut vellent Z. 411 supplico ergo] ergo *om.* GI, unde supplico β, rogo (*om.* ergo) D. 414 sanctam civitatem Ierusalem I, muros sancte civitatis Ierusalem β. 419 et *om.* βI, de suis et *om.* Z. terram illam] *om.* I, terram ipsam D, ipsam terram G.

---

419 dimittens] voir sur IV, 93.

[64] Quod cum audisset rex, misit partem gentis sue ad obsidendam terram illam, que obsessa fuit VI diebus. [65] Septimo die in medio noctis ceciderunt tres turres et VI cubiti de muris predicte civitatis et ingredientes christiani terram ipsam occiderunt in ea LXXX
425 milia hominum pugnatorum.

R XVI, 106

Que secuntur ex alia carta translata sunt.

[1] Subiugavit dominus famulo suo regi David terram Caracher, in qua sunt XII magne civitates, et preterea terram soldani Begrichar, in qua sunt VIII magne civitates, preterea terram que
430 dicitur Sacom, usque Sagibus XX dietas et inde usque Pharaga et Margana X dietas. Inde subiugavit terram Coegent, unde venit copia optimi serici, que durat usque Bocara, que continet intra se CCC <civitates> et LXVI flumina et iudices seu consules, XII milia et continet XX dietas, et inde usque ad terram Harsinoth
435 VIII dietas et inde usque Sacchere XX dietas. Ista sunt ultra flumen Geos et in medio terrarum istarum sunt CCL oppida et ville magne. [2] Citra flumen Geos cepit dominium soldani Machemoth, cuius terra dicitur Choressan, in qua sunt he civitates: Amanchioniro, Mero, Sirchos, Thos et Maummerie, Dabuli, Sarasten, Gaharamien,
440 Nessaor, unde veniunt optimi baudekini, Barach, Herte, unde veniunt lapides preciosi, Bastem, Schere, Damirigagi; iste sunt maiores civitates. | De aliis oppidis et villis magnis CCXXXII sibi subiugavit. [3] Acquisivit preterea terram soldani Senecha, que continet has civitates magnas: Nessihor, Debihagan, Dehestan,
445 Gargan, et preterea cepit regionem Decantan-de-hensin, que continet VIII civitates magnas. [4] Preterea cepit regiones Macharenzedran et terram adiacentem cum X civitatibus magnis et CCL munitionibus magnis. [5] Inde cepit regiones soldani magni, qui potentior est omnibus predictis, Caioreseth, continentes III menses

R XVI, 107

421-425: FLV (=β), G, I, B; DZ (=π); 426-449: FLV (=β), G, I, B.

421 quod ... rex] quod ... rex David GB, quod dum venisset ad noticiam regis Z, quod veniens ad noticiam suam D, quo comperto rex β. 425 hominum *om.* βD. 431 subegit β, subiecit B. 433 <civitates> *Zarncke.* 435 usque ad βG, *cf.* 228. 436 istarum terrarum βG. 437 fluvium βI.

---

433 iudices seu consules] ? *Consules etiam dicuntur qui in emporiis seu portubus maris mercatorum iura ac mercas tuentur* DuCange. 440 baudekinus, baldakinus, baldekinus, *pannus omnium ditissimus ... sic dictus quod Baldacco, seu Babylone in Perside, in Occidentales provincias deferretur* DuCange.

450 in longitudine et totidem in latitudine. [6] Inde cepit terram soldani Theor Delbarach. Inde venit prope Baldach et cepit a latere terram Debilhagan continentem XLVII magnas et famosas civitates, inter quas maiores sunt: Leray, Aschar, Chasvin, Chon, Chassehen, Sephen, unde veniunt optimi bocarani, Hamedan, et preter pre-

455 dictas XLVII civitates continet oppida et villas magnas CCCXX. [7] Postea cepit terram soldani Sardahan continentem has civitates: Harman et Marahan, Selemesth, Marahage, unde venit terra qua capita abluuntur. Preterea cepit terram amiralis Bobair continentem XI civitates, cuius | metropolis est Keme, et CLXX oppida

R XVI,108

460 et villas magnas. Et hec est ultima regio Persidis ex parte nostra et inde non est nisi plana terra usque Baldach, scilicet V diete. Omnia predicta nomina sunt in persica lingua.

Habet autem rex David tres exercitus, quorum unum misit in terram Calaph fratris soldani Egypti, alium misit in Baldach,

465 tertium misit versus Mausam, que prisco nomine Ninive nuncupatur, et iam non distat ab Antiochia nisi per XV dietas, festinans venire ad terram promissionis ut visitet sepulchrum domini et reedificet civitatem sanctam. Prius tamen proposuit domino concedente subiugare nomini christiano terram soldani Iconiensis et

470 Alapiam et Damascum et omnes regiones interiacentes, ut nec unum post se relinquat adversarium.

Precedentium litterarum exemplaria attulerunt comiti Tripolitano homines ipsius ex partibus illis venientes, mercatores etiam a partibus Orientis species aromaticas et lapides preciosos deferentes

475 consimiles litteras attulerunt; quotquot autem de partibus illis veniunt idem dicunt. De exercitu etiam nostro quidam a soldano Egypti capti fuerunt, quos fratri suo Coradino misit Damascum; Coradinus misit eos domino suo caliphe Baldacensi, ille autem regi

---

450-462: FLV (=β), G, I, B; 463-478: C, FLV (=β), G, I, B.

450 longitudinem ... latitudinem CI. 458 amiralis Bobair G, am(m)iraudi Bobatre β, ammirabilem Bobacce I, admirabilis Bobatre B. 464 Egiptii CI, *cf.* *118*. 465 qui βI. nuncupatur] *om.* G, nominatur IB, vocabatur β. 467 ad] *om.* G, usque ad C, in I. 476 venerunt βB. nostro etiam C, autem nostro I. 478 Coradinus rex Damasci CG, *cf.* *128*, *201*. misit eos] eosdem misit β, eos *om.* B.

---

454 bocarannus, boquerannus, bacaranum, buchiranum, *telae subtilis species* DuCange. 472-473 comiti Tripolitano] Bohémond IV, voir sur II, 340.

David pro magno munere predictos captivos transmisit. Qui post-
480 quam eos christianos esse cognovit, a vinculis absolutos usque
(R XVI, 109) Antiochiam reduci precepit, qui | predictos rumores et alia quam
plurima de rege David nobis retulerunt. Soldanus igitur Egypti
per nuntios predicti caliphe Baldacensis audiens predicti regis
David insuperabilem potentiam et mirabiles triumphos et qualiter
485 iam fere per ducentas dietas terras Sarracenorum in manu potenti
occupasset nec erat qui valeret ei resistere, consternatus animo et
mente confusus precepit adduci sibi quosdam nobiles ex nostris
quos in carcere Kayri detinebat captivos, electum scilicet Belva-
censem et fratrem eius et vicecomitem Bellimontis et Iohannem de
490 Archies et Odonem de Castellione et Andream de Espoisse et quos-
dam de fratribus Templi et Hospitalis sancti Iohannis et de domo
Theutonicorum, per quos pacem cum nostris se sperabat obten-
turum, proprios etiam nuntios in exercitu Damiate cum litteris
nobis transmisit modis omnibus attemptans si pacem vel treugas
495 posset habere nobiscum. Christianorum autem exercitus predictis
rumoribus exultabat et *confortabatur in domino* et maxime post-
quam litteras imperatoris Romanorum Frederici recepimus cum
nuntiis eius affirmantibus, quod concedente domino cum magna
virtute et magnifico apparatu venturus esset in proximo Augusto
500 ad honorem dei et subsidium christianorum. | Anno siquidem (R XVI, 110)
preterito liber quidam Sarracenorum magne apud ipsos auctoritatis
in manus nostras devenit. Hunc autem quidam eorum astrologus,
quem prophetam magnum Sarraceni reputant, a principio legis

C, FLV (=β), G, I, B.

480 usque] *om.* β, usque ad GI, *cf.* 228. 481 deduci IB. 482 igitur *om.* GI. 484 insuperabiles potentias B, mirabilem potentiam I, mirabiles potentias (et ineffabiles triumphos) β. 485 terras principum Sarracenicorum β, Sarracenorum terras I, terram Sarracenorum CG. in manu potenti] *om.* I, potenti virtute β. 486 ei *om.* G, qui ei valebat resistere I, qui ei resistere posset β. 487 sibi adduci C, sibi *om.* G. 487-488 quosdam ex nostris nobiles C, quosdam nobiles quos ex nostris (captivos tenebat) β. 493 proprios etiam nuncios suos G, nuntios etiam (*om.* proprios) β, et proprios nuncios B. 493-494 cum litteris in exercitu Damiate nobis transmisit C, nobis in exercitu Damiate transmisit cum litteris β. 496-498 postquam litteras Romanorum imperatoris Frederici cum nuntiis affirmantibus recepimus C, *cf. p. 30* (β). 498-500 quod ... christianorum] *om.* β, qui domino concedente ... christianorum C. 501 magne *om.* B, magno apud eos β, magne quidem apud nos I. 503 reputabant βI, vocant C.

488-490 Voir la note sur V, 253-256. 493 in exercitu] voir p. 33, n. 1. 496 Ephésiens 6, 10. 501 liber quidam] voir Funk, p. 108-109.

eorum cum summo studio scripserat. Predixit autem inter alia
505 multa quanto tempore lex eorum permanere deberet et que sicut
gladio inceperat, ita gladio peritura erat. Prophetavit insuper
quanta mala Saladinus facturus esset christianis et qualiter ante
destructionem gentis paganorum et exterminium legis eorum regnum Ierusalem cum multis aliis regnis proprie subiceret ditioni, inde
510 vero non tanquam vaticinando, sed quasi historiam ordinate describendo de recuperatione civitatis Acconensis et de hiis que in
exercitu regum Francie et Anglie et aliorum occidentalium principum acciderunt apertissime retulit ac si ea propriis oculis aspexisset.
Addidit insuper, sicut oculis nostris vidimus, quecumque usque
515 ad captionem Damiate hiis diebus nobis et Sarracenis variis casibus
contigerunt et propter hoc aliis, que nondum evenerunt, que ipse
in proximo ventura predixit, fidem facilius adhibuimus: prenuntiavit enim qualiter capta Damiata | Alexandriam et Kayrum et
(R XVI, 111) Babyloniam et universas Egypti regiones christianorum populus
520 optineret, Damascum preterea et Alapiam et omnes adiacentes
provincias christianorum princeps potentissimus in virtute exercitus populi christiani occuparet et civitatem Ierusalem cum universa Syria liberaret de manibus paganorum. Quoniam autem qui talia
predixit Sarracenus extitit, multi ex nostris verbis eius fidem ad-
525 hibere noluerunt non advertentes qualiter Balaam ariolus et gentilis
de Christo et filiis Israel prophetavit et Nabuchodonosor de futuris
regnis et lapide sine manibus de monte exciso sompniavit et Pharao
rex Egypti fertilitatis future et sterilitatis subsecuture in sompnis
previdit enigmata; sed et Cayphas, *cum esset pontifex anni illius*,
530 *non a se ipso*, sed a spiritu sancto prophetavit loquens sicut asina
Balaam et que diceret non intelligens, nec aliquem de sanctis pro-

---

C, FLV (=β), G, I, B.

504 predicebat (506 prophetabat) β, predixerat IB. autem *om.* β, enim I. 505 permanere debet C, permaneret I. 506 peribit I, finiret β. 507 soldanus CI. 509 subicerent CI. 512 regis IB. Francie et Anglie] et *om.* C, Anglie et Francie I. 513 ea *om.* βG. respexisset I, vidisset G. 514 insuper] etiam βB. 515 casibus variis GB, in diversis casibus β. 518 enim] *om.* G, etiam I. 520 Damascum preterea] et quia Damascum β, Damietam (*sic*) autem I. 523 de manibus (manu I) paganorum liberaret βI. 530 prophetavit *om.* βB.

518-519 cf. 88-89. 525 Balaam] Nombres 24, 17-19. 526-527 Daniel 2, 31-36. 527-529 Genèse 41, 17-36. 529-530 Jean 11, 49-52. 530-531 Nombres 22, 28; ...*licet divino imperio asina Balaam locuta fuerit* DO, 1100, 35-36.

phetis apertius de Christo et utroque eius adventu estimo fuisse locutum quam dominus locutus est per Sybillam: firmius est enim testimonium, quod a parte adversariorum profertur. Vt autem om-
535 nis ambiguitas ab hiis qui dubitant tolleretur, hoc presenti anno Suriani qui nobiscum erant in exercitu, librum alium antiquissimum lingua sarracenica scriptum de antiquis armariis suis nobis ostenderunt, cuius erat superscriptio: *Revelationes beati Petri apostoli a discipulo eius Clemente in uno volumine redacte.* Quicumque autem | (R XVI, 112)
540 libri huius auctor extiterit, ita aperte et expresse de statu ecclesie dei a principio usque ad tempora Antichristi et finem mundi prenuntiavit, quod ex completione preteritorum indubitatam facit fidem futurorum. Prenuntiavit autem inter alia de consummatione seu consumptione perfide legis Agarenorum et qualiter
545 imminente et quasi in ianuis existente destructione paganorum primo civitatem herbosam et aquis circumdatam — sic enim Damiatam appellavit — populus christianorum subiugaturus esset, post hec vero de duobus regibus novis subiungit, quorum unus venturus est a partibus Occidentis, alium a partibus Orientis obviam
550 predicto regi in civitatem sanctam venturum predixit et quod per manus regum predictorum dominus abhominabilem impiorum hominum legem exterminaturus esset multis ex ipsis gladio interemptis, aliis ad fidem Christi conversis, ut *intraret plenitudo gentium* et sic omnis Israel salvus fieret et post hec veniret *filius perditionis*
555 et inde iudicium et finis. Hunc predictum Apocalipsis librum postquam universo populo in sabulo ante Damiatam ad verbum dei congregato causa consolationis et recreationis ostendimus, non multo post tempore memoratas epistolas et rumores iocundos tam de rege orientali David quam de imperatore Frederico audivimus,
560 sicut in predictis duobus libris prius audieramus. Vnde et populus domini inter labores multiplices et angustias, quas hucusque |

C, FLV (=β), G, I, B.

533 enim est GB. 535 dubitabant βB. 539 autem *om.* βB. 540 huius libri auctor I, auctor huius libri G. 542 quod] qui C, ut (*cf.* 543) β. 543 fecit G, faciat (*cf.* 542) β. prenunciat βI. 547 appellat β, appellant CB. 548 vero] *om.* β, autem G. novis *om.* βB. 549 alium] alius (*cf.* 550) βI, alius autem B. 550 regi] *om.* B, regi quem (*cf.* 549) β. 551 predictorum regum GI. 551-552 ab(h)ominabiles ... leges βB. 554 post hec veniret] veniret *om.* C, veniat post hec β. 560 unde et] unde *om.* β, et *om.* GI, ut B.

---

536 librum alium] voir Funk, p. 109-110. 544 Agarenorum = Sarracenorum. 553 Romains 11, 25. 554 Jean, 17, 12. 561 cf. 21.

R
I, 113

pro Christo sustinuit, plus quam dicere possemus gavisus est et in Christi servitio confortatus. Confidimus enim in domino, quod *qui cepit ipse perficiet, dilatabit locum tentorii sui et longos faciet*
565 *funiculos suos* et erit sepulcrum eius gloriosum et *spiritu oris sui interficiet* impium: ipse enim *mortificat et vivificat, deducit ad inferos et reducit,* ipse *pauperem facit et ditat, humiliat et sublevat.* Ipsi honor, virtus et gloria in secula. Amen.

Datum in exercitu Damiate octava Pasche.

C, FLV (=β), G, I, B.

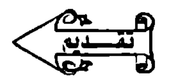
562 est *post* Christi (563) β, *post* confortatus (563) C, *om.* G. 563 quod] quia Cβ. 568 honor] honor et βB. amen *om.* CI (*cf. IV, 272*). 569 *prorsus om.* βGB, *habent* CI: Damiate octava Pasche, *cf. IV, 240-242(a)*; ante Damiatam (*cf. 131-132*) in octava Pasche I; *cf. p. 54-55 (VII)*.

563-564 Philipp. 1, 6, cf. IV, 204-205; VI, 227. 564-565 Isaïe 54, 2. 565-566 II Thessal. 2, 8. 566-567 I Rois 2, 6-7, cf. VI, 165-166. 567-568 Pour cette doxologie, cf. I Tim. 6, 16. 569 Voir p. 49 et 54-55 (VII).



الخطاب السابع

والخطاب السابع والأخير فقد أرخه جاك دى فتيرى فى ١٨ إبريل عام ١٢٢١م



كتبه جاك دى فيترى بعد عودته إلى بلاد الشام، وبعد أن أخفقت الحملة الصليبية الخامسة على مصر، شارحاً فيه طبيعة أرض مصر وطبيعة الشعب المصري، وذاكرًا بعض عادات وتقاليد الشعب المصري مؤكدًا للبابا فى رسالته أن ما يتمتع به الشعب المصري من طيبة قلب يمكن أن يسمح بنشر الديانة المسيحية بينهم لأنه الشعب الذى لايضطهد أحداً من اليهود أو النصارى، ومؤكداً فى الرسالة وناصحاً فيها أيضاً ألا تتراجع البابوية عن تجديد الحملات الصليبية للاستيلاء على مصر، إذ هى كما ذكر "مفتاح الدخول إلى بيت المقدس".

ترجمة النص إلى العربية :

بنعمة من الرب، أرسل أنا جاك دى فيترى "يعقوب" وخادم الكنيسة أكونيسس وكذلك المكرسين لعمل الكرازة والبشارة، وأيضاً من قبل الأخوة الأعزاء فى المسيح والرجال المكرمين من الجميع "والتروفلاريني" الذى يعمل فى الدير والسيد العظيم يوحنا من "نيفيلا" والأخ أجنس وكافة الأصدقاء وأنا "يعقوب" نبعث ونرسل جميعنا بوافر التحية .

وأيضاً "ليوبولد" مسئول النمسا والذى يتمسك بهذه العلاقة التى تربطنا إلى الأبد. وكذلك الأخ العزيز "ستيفانو" الذى يعمل شماساً فى مدينة فيليب وأولئك الذين يعملون فى مناطق ومدن فارسية من خلال الحكمة السماوية التى يمنحها الرب لكل عبيده الذين ينقلون رسالة المسيح .

نبعث إليكم أنا "يعقوب" الأسقف الموجود فى مدينة أكنيسيس ومعى الأخوة الباقون بالسلام فى المسيح.

لقد حققنا أعمالاً عظيمة بفضل مساعدة الرب لنا فى مدينة دمياط، ذلك أن المسيحية قد إمتدت إلى مدينة تنيس وارتبط نشاطنا الناجح بهذه المنطقة بفضل مساعدة الرب لنا .

إننا على علم بأن الوثنية[1] تهدف إلى تدمير الحياة وتقوم على أساس السلب والنهب. على العكس من المسيحية التى تهدف إلى السلام والبناء، إذ كثيراً

---

[1] نعت جاك دى فتيرى المسلمين بأنهم وثنيين، فى النص اللاتينى ولكن كلمة "Sarracenis" تعنى الشرقيين، أو المسلمين. وهى دليل على التعصب والكراهية للإسلام والمسلمين. المترجم.

ماوجدنا أناساً يسلبون وينهبون من المعـابد ويستولون على مـا بداخلهـا، بـل ان جيوش الوثنيين تعيث فساداً فى كل مكان.وقد ذكر فى العهد القديم أن "عاخان بـن آشور" قد استولى على رداء بن شنعارين فى أثناء حصار مدينة أريحا أيـام النبـى يوشع مما أدى هزيمة شعب الله فنحن حاشا لنا أن نطمع فيما ليس لنـا بـل إننـا نسير فى خضوع الرب الذى يعطى ويمنح بسخاء فى كل شئ بل ويفيض علينـا، إذ أن هذه الأموال الغير مستحقة تؤدى إلى الهلاك، كما هو مكتوب "محبـة المـال أصل لكل الشرور الأمر الذى إذا ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمـان وأصابوا أنفسـهم بأوجاع كثيرة" وهكذا فنحن الآن فـى عهـد النعمـة، إذ لا تتواجـد جيـوش وقـوات عسكرية ماديين، بل إننا جميعاً نعمل كجيش المسيح فى الكرازة، وكذلك يشـاركنا فى هذا كل الأخوة والأخوات الذين يعملون كجنود فى هذا الجيش.

وهكذا نحـن نحـارب مـع زملائنـا فـى قبرص وأخرون كـانوا يواجهـون الخطر الشديد فى دمياط ، ومع ذلك كانت قوات المسيح تعطينا الغلبة والانتصـار فى كل حين. ولكن هذا لا يمنع أن توجه إلينا مـن بنـى باليعال "وهـو تعبـير كتـابى يفيد من يحـالفون الشـيطان" "أعـداء كنيسـة الله" حيـث كنـا نواجـه المخـاطر بالسـهام والأسلحة فيما عدا جماعة "مايثـو" من منطقة صقلية. وهكذا كنا كجنـود نحـارب فى مصر وفى جزر معزولة، وكان يسـاندنا فـى ذلـك الأتقيـاء المسيحيون الذيـن يؤمنون بقلوبهم ويقدمون أموالهم، وكنا نواجـه هـذه المخـاطر أيضـاً فـى منطقـة "تورتوبليس" وكنا نقابل بضراوة شديدة ضد الأعداء الذين يبغون مقاومة البشـارة المسيحية، وكان هناك أيضاً البدو الذين قاموا إلى حـد مـا بمسـاعدتنا، كمـا كـان يمدنا المؤمنـون فـى كـل مكـان وأيضـاً الأصدقـاء الذيـن يضـع الـرب فـى قلوبهـم

للرحمة والسلم لنا ضد أبناء باليعال الذى يزرعهم الشيطان فى كل مكان فى محاولة يائسة لإيقاف انتشار المسيحية والكرازة، ولكن هيهات أن يتحقق هذا الوهم، إذ أننا كنا نجد الكثيرين للذين ينتظرون الساعات الطوال من أجل سماع كلمات الرب المنسكبة على أفواه خدامه.

ومع هذا كنا نجد فى كل وقت معاناه الأمرين. وفى مدينة الأسكندرية كان يبلغ عدد المسيحيين هناك نحو ثلاثة آلاف (٣٠٠٠) وأيضاً مثلهم فى القاهرة ودمشق كانوا يتحملون كما تحمل المسيح الصليب وكان هناك أعداء باستمرار يحالون بشتى الوسائل أن يزيحوا ويمنعوا ما نقوم به من عمل، غير أن عدد المسيحيين والتمسك بالمسيحية كان يزداد ويزداد معه الإيمان ولم تنطفأ جذوته فنحن دائماً نتوقع مساعدة الرب لنا فى الأوقات الحرجة.

وكان هذا هو الوضع فى مدينة "تورقوبليس" حيث حاول الأتراك بكل قوة أن يوقعوا خدام الرب فى الأسر ويمنعوا العمل الجليل الذى كانوا يقمون به، ولكن على العكس أدت الحياة المسيحية التى كان يحياها خدام الرب إلى الصمود والتغلب على ما كانوا يقمون به أو يدبرونه من أعمال شريرة، وهكذا كان هذا هو سلاحنا على الدوام ناظرين إلى صليب المسيح الذى يمثل الألم، ولكن بعد الصليب توجد القيامة التى تمثل الأمل.

وهكذا كان السيراكيون "فى منطقة سيراكيا" على نفس النهج وصاروا مثالاً لكل أتباع الإيمان، فيما بعد بما قدموه من مثال نادر على الحياة المسيحية الحقة.

ولعل الخطـر الـذى يتهـدد الإيمـان ـ أى إيمـان ـ هـو الإرتـداد، ذلك أن الشخص المنتسب زوراً إلى عقيدة عندما يـرى الأخطـار التـى تحيط بـه مـن كـل جانب يتحول تمسكه بهذه العقيدة نتيجة نخوعه أمـام الأخطارالمحدقـة بـه فيترك الديانة. وكم كان يحزننـا ويؤلمنـا أن نسـمع أن أناسـاً يبيعـون المسـيح كمـا بيـع يهوذا الأسخريوطي سيده. ولكن كانت هذه حالات نـادرة لا تذكـر بجـانب الصـور الرائعـة لأولئـك الذيـن يتحملـون كـل الآلام، ولا يفقـدون إيمـانهم، كمـا نجـد مثـلاً الأخوة فى دمشـق، وفـى دميـاط ومنـاطق آشـور، وكذلـك فـى مدينـة تريقوبليس وأيضـاً فـى أنطاكيـة وطرابلـس وكـل التجمعـات المسـيحية الكبيـرة فـى المـدن الموجـودة فى سـائر أنحـاء البـلاد. إن كـل هـؤلاء تحملـوا الآلام حتـى النهايـة، وكان المثال الجلى لنا جميعاً فـى الدفـاع عـن الكنيسـة الأولـى فـى بيت المقـدس "أورشليم" حيث كان النواة لنشر المسيحية فى كل أنحاء العالم.

حقاً كان الجميـع جنـوداً أوفيـاء للمسـيح، فلـم يـتراجعوا قيـد أنملـة، بـل استمروا حتى عندما طردوا، كانوا يرتحلون إلى مكان آخر، لكى ينشروا الإيمـان فى مكان آخر، فلم يفت هذا فى عضدهم، بـل زادهـم إصـراراً علـى نشـر الإيمـان المسيحى.

إن كل هؤلاء كانوا ينادون الرب عندما يشتد بهـم الأخطـار والمضـايقـات فى كل مكان يطلبون منه التدخل كى يساعدهم فى أن يتثبتـوا ويتحملـوا الرسـالة التى كلفوا بها وجعلوا أنفسهم فى خدمتها.

هكذا نحن نعمل كما ذكر الرب يسوع مثل الزارع الذى خرج يزرع فسقطت بعض البذور فى أرض خصبة فأثمرت ثماراً جيدة، وتلك التى سقطت فى أرض بها شوك فنما الشوك ولخنق النبات، وسقطت بذور أخرى فى أرض ليست بها تربة عميقة، فلم يصمد النبات لكى ينبت فيها. وهكذا فإن أنواع التربة مختلفة. وهكذا فإننا وجدنا ذلك المثل مطبقاً فى كل الأماكن التى كنا نذهب إليها فى ربوع مصر حيث النيل الذى سبق أن تكلمنا عما صادفناه من أمور مبهجة، وأمور قاسينا منها ونحن نقوم بالعمل الكرازى بأن الأمر الأساسى لكل خادم للمسيح أن يكرس نفسه كليةً للرب .

وهكذا سوف لا يبالى إن ظهرت له أمور تضايقه، فالرب يسوع دائماً يتدخل فى الوقت المناسب، كما حدث مع التلاميذ عندما عصفت بهم الرياح وهم فى السفينة فى عرض البحر، وكان هو نائم على وسادة فى مؤخرة السفينة. لقد قام ونهر الرياح فصار هدوء عظيم وحينئذ صاح التلاميذ عجباً وثقةً فى الإيمان الذى كاد يوشك أن يضيع ولكن الرب أثبت لهم أنه يتدخل دائماً .

حدث هذا فى مدينة دمياط، وكذلك عندما تعرض المؤمنون لحظر الرجم عندما كانت تواجههم الأخطار فى الملاحة ويتعرضون للجيوش الجرارة فى تينيس وفى ترونوم، وأيضاً عندما حاول ملك دمشق ويدعى "كورادنيس" أن ينقلب على المؤمنين فلم ينجح فى ذلك، وهكذا حكى لنا الأخ "سيراف" أمثلة عديدة لذلك.

ونستطيع أن نتذكر هنا ما ورد فى التاريخ المقدسة عن الملك داوود أن يمسحه الرب بديلاً عن شاول ، وكم لاقى شاول من عنت ، بل أنه أحياناً ما يجد فرصاً سانحة يستطيع أن ينتقم فيها من شاول، ولكنه لم يلجأ إلى هذا الأسلوب

فى الانتقام بل تركه. كان هذا بالفعل صورة مصغرة لما فعله الرب يسوع فيما بعد حيث سامح أعداءه، ولم يحاول أن ينتقم منهم، بل قال : "يا أبتاه اغفرلهم لأنهم لايعلمون ماذا يفعلون ".

وهكذا ضرب ملك اسرائيل لنا مثالاً فى كيفية التعامل مع الأعداء وأوضح الرب يسوع هذه الصورة فى أجلى بيان لها، بل إننا لا نستطيع أن ننسى ما لاقاه داود من أبنائه فعندما نطالع قصة أبشالوم لابنه الذى أعلن العصيان ضد ملك أبيه ورفض أن يزعن له وأراد أن يُصبح ملكاً على إسرائيل بدلاً منه نجد أن داوود قد بكى بكاءاً مراً. عندما مات ابنه أبشالوم وراح يصيح يا بنى ... يا بنى وكذلك عندما وقع أحد أبنائه فى خطية الزنا مع أخت غير شقيقة له.

وهكذا نجد أن داوود الذى كان أصغر أخوته الستة لأبيه "هويس" هو الذى أختير لكى يُمسَح ملكاً على إسرائيل. وأيضاً لا نستطيع أن ننسى ما فعله داوود وهو فتى صغير غض، عندما استطاع بحجر صغير ومقلاع أن يردى جاليات وقبائل الجبار الفلسطينى الذى أرهب جيش إسرائيل وكان يهزأ من إله الإسرائليين حيث اعتقد أن أحداً لن يستطيع أن يأتى إليه داوود وقضى عليه قائلاً : :"أنت تأتى إلىّ بسيف ورمح وأنا آتى إليك باسم رب إله إسرائيل."

وهكذا فإن الوعود الإلهية التى قُدمت لنا فى هذه الأسفار مستمرة حتى اليوم كما كتب بولس الرسول "إن كل هذه الأمور قد حدثت لنا نحن الذين انتهت إلينا الكلمة فى أواخر الدهور " وكل ميل أو بعد عن الإرادة الإلهية بالطبع سيجلب الخسران الشديد. نقول تكررت هذه الأحداث بصورة أو بأخرى فى مملكة فارس وكذلك فى مملكة السيراكيين "الشرقيين" مع اختلاف الأسماء ، فنجد بدلاً من

الأسماء التى وردت فى التاريخ المقدس أسماء أخرى مثل "داما جلتنا" و"تشاساهار" و"لاكهنتيمى" ، "ميليتس" ... كل هؤلاء ممن كانوا يتبوءون السلطة، ولكن النتائج كانت دائماً واحدة كما أخبر بها التاريخ المقدس فى العهد القديم إذ لابد من أن تفرض الإرادة الإلهية فى النهاية كلمتها على الجميع.

حكم هؤلاء فى مناطق مختلفة وسعوا إلى بسط نفوذهم على سائر البقاع المحيطة، ولكن هؤلاء لم يضعوا مجد الرب فى الحسبان. غير أن داود عندما تولى السلطة فى اسرائيل سعى إلى وضع الرب فى الحسبان قبل أى شئ، حتى أن الرب شهد لداود بقوله: "وجدت داود بن يس حسب قلبى الذى سيضع مشيئتى" حتى أن الرب أعطى له كل شئ لكى يبنى الهيكل لأنه كان رجل حروب، وجعل مهمة بناء الهيكل لابنه سليمان "ولكن فى النهاية وجد شعب إسرائيل كل الراحة والسلام فى عهد داود، وأيضاً فى عهد سليمان الذى شهد بناء الهيكل "وهكذا نحن الآن فى عهد الخلافة نسعى واضعين أنفسنا كما كان الشعب القديم فى خدمة الرب لبسط الإيمان وقد قلنا سابقاً إننا كما قال بولس للرسول "اسعى كجندى صالح للمسيح يسوع" وأصبح بذلك مثالاً لكل المؤمنين حيث نستعد جميعاً مسلحين بسيف الإيمان وخوذة ودرع القوة الإلهية لمواجهة العدو الروحى "إبليس" الذى يطلق سهام الشر الملتهبة.

❖ *هنا ينتهى الجزء الأول من الخطاب السابع* ❖

الجزء الثانى من الخطاب السابع

لم يكن داود هو الوحيد الذى تعامل معه الرب على هذا النحو فى التاريخ المقدس بل ذكر له التاريخ الخاص بشعب إسرائيل "أن الرب كان يظهر دائماً للآباء الأوائل، ابراهيم، اسحق، يعقوب " ومن بعدهم وهو يقطع لهم العهود قائلاً "أنا هو الرب إله ابراهيم واسحق ويعقوب " حيث أن هذا القول يفيد دائماً ثبات الرب وثبات العهود التى يقطعها للمؤمنين فلا يمكن أن يكون الرب فى حقبة من الزمن ويختفى فى أخرى، بل إن ما يميزه على الدوام هو الثبات، وهذ ما يعطى المؤمن دائماً الأمان فلا يخشى مما يتعرض له. وتكرر هذا القول مع داود ومع سليمان، وفى العهد الجديد نجد الرب عندما كان يظهر لزكريا الكاهن فى الهيكل حيث كانت اضطهادته اليهود دائماً مستمرة، وهذا ما كان يحدو بالآباء الأوائل إلى أن يقيموا حجراً عند المكان الذى يظهر فيه الرب ويدلى بهذه العهود ويسكب على هذا الحجر زيتاً، بل أن الشعب الإسرائيلى عندما كان يعانى فى أرض مصر ظهر الرب لموسى لكى يوجه الشعب الإسرائيلى واستهل قوله "أنا هو الرب إله ابراهيم واسحق ويعقوبلله ثم اطلق على نفسه اسماً آخر هو للهيهوه"

ولعل من حُسن الطالع أن نجد نحن ملكاً يحمل هذا الاسم "داود" وهو يساعد الكرازة المسيحية فى أيامنا هذه أسماء مثل شوار سمن ، موا وبرزى، تشوس، نانرو، جابوس ، ثوس ، نارسيس،... يلعبون نفس الدور فى أيامنا هذه. ونجد الأماكن وهى تتبدل، فمثلاً هناك فى أرض ديار بكر كان يوجد أسماء ، ميرس ، يوهان ، بيلوكان، كوداى، وكذلك أسماء أخرى لمناطق أخرى مثل مملكة أبيديث التى توجد بها أسماء مثل "أراك". كل هؤلاء يضربون الأمثلة لما نريد أن نوصله إليكم من فكرة فى هذه الرسالة. فما نورده هنا مجرد أمثلة، لانستطيع أن نحصر كل الأمثلة "الحالات" التى تتشابه بعضها مع البعض.

لكن مازال إلى رب داود هو الذى يعمل فى كل الظروف، وهو الذى يعطينا الغلبة كما قال داود فى مزاميره "مزموره" وأيضاً إذا سرت فى وادى ظل الموت لاأخاف شراً لأنك أنت معى، عصاك وعكازى هما يعزيانى" وكما كان داود ملكاً على أورشليم، هكذا الرب يسوع هو ملك اورشليم السماوية كما قال بولس الرسول ، فإن اورشليم هى أمنا جميعاً كما جاء فى رسالته إلى أهل غلاطية ونحن جنود الرب يسوع مستعدين كل حين للإجابة على كل الأسئلة الموجة إلينا عن سبب الرجاء الذى فينا كما قال بطرس الرسول لا نطمع فى مال بل نتطلع إلى الأمجاد السماوية التى أعدت لنا من قبل الرب يسوع الذى وعد وهو قادر على تنفيذ هذه الوعود حيث قال "إنى ذاهب لأعد لكم مكاناً، ومتى أعددت هذا المكان آتى واخذكم معى إلى حيث أكون انا تكونون انتم ايضاً".

وتوجهت جيوش متعددة إلى أماكن مثل مصر، وأخرى إلى وسام وثالثة إلى يننوى ورابعة إلى آلابيا وخامسة إلى دمشق. وكانت هذه الأماكن تمثل لنا مراحل الخطر التى تحدق بالجميع.

ونحن عندما نطالع سفر الرؤيا الذى يوجد فى آخر أسفار العهد الجديد نجد أن الرسول يوحنا قد رسم لنا صورة لما سوف يحدث فى نهاية الأيام فى الصراع بين الخير والشر، وقد كتب يوحنا الرسول رسالته وسفره فى شكل رسائل مرسلة إلى الكنائس السبع التى كانت فى آسيا الصغرى، وقد ذكر لكل كنيسة ما سوف تتعرض له من أحداث. وكل هذه تمثل الصور المختلفة الحالية للخطر الذى يحدق بنا جميعًا وعلينا الاستعداد له.

وكذلك ذكر الرسول يوحنا أن الذى يحاول أن يقاوم المسيح، فيكون ضد سلطان الرب والذى أومأ إليه بولس الرسول فى رسالته قائلاً : "لا يظهر لك الرب إذا كنت ضد المسيح".

نستطيع أن نقول أن كل هذه الجيوش الجرارة والتى تسعى إلى نشر الدمار والخراب تكون بصورة تقريبية ضد المسيح الذى يعمل على نشر السلام فى العالم.

أيها الأخوة ابتهلوا ضد كل هذه المحاولات ، كما قال بطرس الرسول "إن إبليس خصمكم كأسد زائر يحاول أن يفترس من يقترب إليه" !

ولننظر جميعاً إلى ما يحدث فى الشرق وما يحدث فى الغرب. ففى الشرق نجد دمشق ودمياط وقبرص وفى الغرب نجد انجلترا وفرنسا.

إن الأحداث هنا وهناك تبين لنا بصورة واضحة تحقيق أقوال يوحنا الرسول فى سفر الرؤيا الذى أشرنا إليه. إن العذاب الذى يعانيه المؤمنون فى سيراكية وأولئك فى دمياط شرقاً والأحداث التى تجرى فى ممالك الغرب، كل ذلك يعتبر مطابقًا تماماً لما قاله الرسول يوحنا.

إن ما تفعله الجيوش الجرارة فى المعابد وما يدمر حالياً يعتبر صورة ومظهراً للخراب والدمار الذى أشار إليه الرب يسوع فى حديثه عن نهاية العالم، عندما قال : "تجتمع النسور هناك حيث تكون الجثث" وهذا بين ما حدث فى الأسكندرية والقاهرة وسائر المدن.

إن ما حدث فى أنطاكية يُعد مثالاً واضحاً أخيراً لم يورده الكتاب بشأن الضيق، حيث أورد يوحنا الرسول وتعرض لذلك كله فى رسالته إلى إحدى الكنائس.

إن ما كابده السيراقيون "الشرقيون" فى مدنهم لا ينطبق فقط مع ما ذكره الكتاب، بل إن المنجمين فى تلك المناطق يتوقعون أموراً شديدة سيئة سوف تقع فى المستقبل بل إن هناك بعض الأخوة الذين لديهم رؤى وأحلام كما قال يونيال النبى فى العهد القديم "ها أنا أفيض مع سيوفكم ورجالكم أحلاماً، فيحلم شيوخكم رؤى وفتياتكم

احلاماً" وقد حدث هذا فى يوم الخمسين وفاضت الروح القدس على اتباع المسيح، فصاروا يتكلمون بلغات متعددة نقول نجد أن بعض الأخوة المعاصرين لنا مثل التلميذ كليمنس يذكر لنا أمور متشابهة.

وهكذا تتأكد لنا الأمور من سائر الوجوه وتعود بنا الذاكرة إلى الوراء أنه كما خلّص الرب يسوع الشعب الإسرائيلى من أرض مصر وكما تمت نجاة المسيحية منذ أيام الإمبراطورية الرومانية فإن النبوءة النهائية لابد أن نقول أن الرب يسوع سوف يخلصنا ويحرسنا فى هذه الأيام ... أيام الضيق الذى ذكر سفر الرؤيا "إننى امنحك عشرة أيام عجاف"، وبالطبع هذه الأيام العشرة هى رمزية، حيث جاء عشرة من الأباطرة الرومان الذين أذاقوا المسيحيين العذاب.

وهكذا فنحن ننال التعزية كل حين كما ذكر الرسول بولس فى رسالته إلى العبرانيين، فإن هذه الأمور وقعت لنا أمثلة لها.

نحن نثق فى الرب الذى قال "متى طلبتم شيئاً باسمى فإنكم تنالوه إلى الآن لم تطلبوا شيئاً، اطلبوا فتجدوا لا تيأسوا أيها الأخوة إن ضاقت بكم الحياة. إننا نجد فى سفر الرؤيا الرب يسوع وهو ممثلاً فى تشكيل الحمل الذى يهزم به حية ابليس".

وقد اختار الرسول يوحنا فى سفر الرؤيا الحمل الذى يذبح له من الرب يسوع قال عنه يوحنا المعمدان: "هو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم، وأشير إلى الشيطان بالحية التى حاولت ونجحت فى إخراج أدم من الجنة عن طريق حواء. ولكن الرب يسوع استطاع أن يرد الإنسان مرة أخرى إلى الفردوس المفقود".

لذلك لانتزعزع من هذه المضايقات الأرضية المؤقتة لأننا نوقن ونؤمن أن الرب قد أعد لنا لمجاداً سماوية .ووجدنا أيضاً فى سفر الرؤيا "بابل" المرأة الزانية التى زنى معها ملوك الأرض، ولكنها فى النهاية سقطت وصارت مسرحاً لكل طير نجس كما يقول الوحى.

وسقطت بابل، ونحن نعلم أن بابل هى التى كانت ترمز فى العهد القديم إلى العالم حيث كانت أول بقعة "منطقة" حاول فيها الإنسان أن يصعد إلى الله، فتبلبل الإنسان فى لسانه وصارت اللغات المتعددة.

لقد التف ملوك العالم حول بابل طمعاً فيما استجلبته لهم، ولكنها سقطت وكان سقوطها مدوياً .

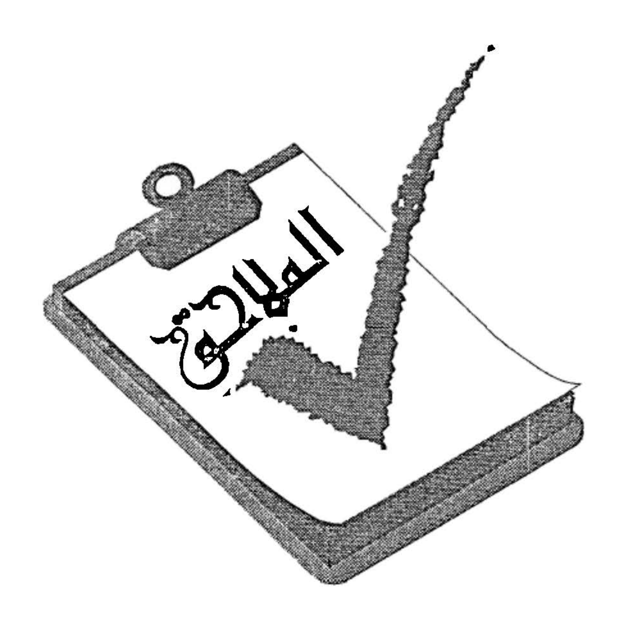
هكذا يقول الكتاب "أكل وزنى معها ملوك الأرض حيث امتلأت بالخمر والحنطة والزيت واللؤلؤ والذهب والفضة والزبرجد والياقوت والزمرد وكل خيرات الأرض ولكنها غدت بعد ذلك خراباً".

هكذا لاتضعف معنوياتنا فى هذه الآونة لأن الرب وعدو وهو صادق فى وعده.

ليكن المجد للرب فى كل حين جيلاً بعد جيل، إنه يستحق لأن نسبح له فى الأرض.

كتبت هذه الرسالة فى دمياط فى عيد الفصح الثامن

❖ هنا ينتهى الخطاب السابع ❖


الملاحق

الترجمة العربية لكتاب

تاريخ مملكة بيت المقدس

The Hisotry of Jerusalem, Trans-in English

by, Aubuny stwart,in p.p.t.s vol, XI, Landon,1886

مقدمة الكتاب

ولد جاك دى فيترى بمدينة فيترى على نهر السين، وقد صار قساً لكنيسة أرجنتيل "Argentuil" عام ١٢١٠م ثم راهباً بعد زيارة قام بها إلى مدينة ونى "Oigne"، وبعد فترة قصيرة أصبح "جاك دى فيترى" واحداً من أبرز رجال القانون الكنسى ثم "كاهناً" لمدينة أوستن بفلبرويك فى إقليم باربان.

كان جاك دى فيترى واحداً من أبرز رجال عصره، لما قام به من دور بارز فى التأثير على الحركة الصليبية فى القرن ١٣م، وبلغ شهرة لاتقل عن شهرة بطرس الناسك فى القرن ١٢م ويعلق إيتن البريونى على ذلك بقوله : "لقد عاشت عظات جاك دى فيترى، تؤكد تعصبه الدينى، وحماسته الشديدة، إلا أنه ليس هناك ما يدعو إلى الشك فى نجاح هذه العظات آنذاك، يؤكد ذلك نجاحه فى الوعظ والتبشير لأول مرة ضد الألبجنسيين، وما بذله من جهد فى سبيل استرداد القبر المقدس فى فلسطين وما دعا إليه من قيام حرب مقدسة، من خلال مجمع اللاتيران الرابع، الذى عقد عام ١٢١٥م. ويعلق فولير "Fuller" ، على ذلك بقوله إن هذا المجمع أعطى الفرصة لجاك دى فيترى إلى مشاهدة بيت المقدس بعد استردادها "من المسلمين" وفى عام ١٢١٧م عينه البابا أسقفاً لمدينة عكا نتيجة للجهد الذى قام به فى مجال الوعظ والتبشير الدينى.

وفى نفس العام ــ ١٢١٧م ــ قاد الملك الهنغارى حملة صليبية إلى الشرق، وهو نفس العام الذى نجح فيه المسلمون فى الاستيلاء على إقليم الجليل، غير أن الصليبيين قد نجحوا فى استرداد بعض المناطق. وفى العام التالى (١٢١٨م)، اصطحب جاك دفيترى الجيش الصليبى إلى دمياط، وتابع بنفسه العمليات العسكرية وبشكل مباشر.

وفى عام ١٢٢٧م غادر جاك دى فيترى فلسطين عائدا إلى "ونى" وفى عام ١٢٢٩م عاد إلى روما تاركاً وراء ظهره منصبه الأسقفى فى عكا، وقدم إلى البابا جريجورى التاسع تنازلاً بذلك.

وفى نفس العام ١٢٢٩م، عينه البابا أسقفاً لبيت المقدس ومندوباً بابوياً فى كل فرنسا وألمانيا. وفى أواخر أيامه عُين بطرقاً لبيت المقدس، ولكنه مات فى ٣٠ إبريل عام ١٢٤٠م قبل أن يتسلم منصبه الدينى المرموق.

إن حديثاً مختصراً عن حياة جاك دى فيترى يوضح أنه ولد، حوالى ذلك الوقت الذى صدم فيه الغرب اللاتينى بسبب سماعهم أنباء سقوط بيت المقدس فى أيدى صلاح الدين (١١٨٧م)

لقد أعجب جاك دى فيترى منذ صباه، بتعاليم كل من جودفرى، وتانكرد، وكذلك بتاريخ بعض معاصريه، أمثال، "فيليب أغسطس وريتشارد قلب الأسد" وقُدّر لجاك دى فيترى أن يرى بيت المقدس فى أيدى المسيحين قبل أن يموت[1] وكان أفضل لرجل كنيسة مثل "جاك دى فيترى" أن يقيّم الامبراطور فردريك الثانى بدلاً من أن يجعله فى منزلة رجل وثنى.

وعلى الرغم من تمتع جاك دى فيترى بمكانة طيبة بين المسيحين، بسبب نشأته وتربيته بينهم، إلا أنه لم يحظ بمكانة بعض المؤرخين الذين نجحوا فى أن يعكسوا صورة دقيقة عن المشاعر الصليبية. فجاك دى فيترى قد وعظ وبشر فيهم، عندما صار رجلاً يافعاً، وقاتل معهم ليس فقط فى فلسطين ولكن فى مصر أيضاً.وما كتبه جاك دى فيترى عن الأرض المقدسة، لم يعد سوى ما بلغ إلى سمعه، أو شابه ذلك، لأن الأرض المقدسة آنذاك، كانت فى أيدى المسلمين. بيد أن ما قدمه لنا جاك دى فيترى بشكل صادق، وصورة أكثر واقعية ـ فى الأرض المقدسة ـ هى حالة التشكك والكراهية

---

[1] المقصود هنا ، تسليم بيت المقدس للامبراطور الرومانى فردريك الثانى، من قبل الملك الكامل لما كان بينهما من صداقة قوية.

تجاه الجيل المنحدر من الصليبيين الأوائل - العصر البطولى - مبرراً وجهة نظره بما قام به الرهبان من ارتكاب الأخطاء أثناء موسم الحج. وعلى الرغم من صدق نظر جاك دى فيترى، إلا أنه كان مبالغاً فيما قال، بدرجة كبيرة، خاصة ما يتعلق بتخلفهم وتخنثهم وخياناتهم - أى المسيحيين الوطنيين - وظهر فيهم ما يعرف باسم "بولانى" *Pullani*"، "وفيلى "*Filli*"[1] . وهذه الأسماء الحقيرة اكتسبها البعض، وإن كانت فى معناها تغيب حتى عن أذهان المثقفين. ويعلق السيد والتر، على ذلك بقوله فى كتابه "بيت المقدس" إن المناخ فى سوريا قد ساعد بشكل خطير، فى القضاء على ضعف قوة "الصليبيين" ورغم هذا، فإن أسلوب جاك دى فيترى كان مليئاً بالنعوت والصفات لتلك الطبقة، المخلّة من الصليبيين.

لقلقد أبدى جاك دى فيترى حماساً كبيراً فى انتقاده لتلك الطبقة إلى حد أنه شبهها بإمرأة غاضبة، تصرخ بأعلى صوتها. وعلى الرغم من هذا، فإن هذا العصر لم يكن أحسن حالاً من العصر السابق عليه، غير أن كثرة الذم والقدح فى هذا العصر أفقدته كثير من قوته.

وفى النهاية، فمهما كان رأينا فى أسلوب جاك دى فيترى فى كتاباته، فإنه لم يساور أحداً الشك فى أنه لن يكتب هذا الجزء من الكتاب من تجربته الخاصة، ونفس الشئ بالنسبة للجزء الثانى من الكتاب أيضاً، ذلك أنه من الصعب القول، بأن جاك دى فيترى كان يعرف شيئاً عن الأصل الطبوغرافى - للحملة الصليبية - بل أن ما يمكن قوله هو أن جاك دى فيترى فى تاريخه، يعتبر منقول وبصورة مجسدة ، عن وليم الصورى ، وغيره من المؤرخين كما استمد بعض كتاباته من الأساطير والخطابات.

وفى النهاية فإن "التاريخ المختصر" لجاك دى فيترى" يوضح أنه كان صاحب نهم شديد ، ومتحرراً أيضاً فى الكتابة.

---

[1] هى أسماء تعنى التحقير "أى الطبقة المتدنية"

تاريخ مملكة بيت المقدس، لجاك دى فيترى أسقف عكا وكاردينال وأسقف توسكولم ومندوب البابا فى كل من فرنسا وألمانيا وأخيراً بطرق بيت المقدس

بداية مختصرة لتاريخ مملكة بيت المقدس

إن أرض الميعاد المقدسة المفضلة لدى الرب، وكرمها بنزول الملائكة الأقداس، أنها موضع إعجاب العالم أجمع اختارها الرب وفضلها على سائرالأمم، لقد ازدانت بوجود الرب فيها وجوداً فعلياً، الذى سوف يعفو عن البشرية عند تقديم القرابين المقدسة فيها، وسيتم تحريرها وتخليصها، فالرب أحبها وفضلها على سائر المدن الأخرى، فلوق أرضها تسقط آثام وذنوب البشرية، ورغم ما تعرضت له من تدنيس، فإن الرب منعنا من أن نقدم التعاليم المقدسة للمسلمين، وألا ننشر الدرر واللآلىء أمامهم أيضاً. ومدينة القدس تخص كثيرمن الناس، فكم عدد القادمين إليها، وياله من كثرة العائدين منها، ذلك لأن الذين لديهم القدرة على التمييز بين الأشياء المقدسة وتلك المدنسة، قلة نادرة جداً.

إنها أرض سيدنا يسوع المسيح، الأرض التى تفيض بالعسل واللبن، وهى أرض البطارقة المقدسين، وأرض الرسل، لقد تم تطهير هذه الأرض من المسلمين بعد أن كانوا قد دنسوها بشتى أنواع الرجس، وذكرها الرب على لسان النبى قائلاً: "إن الذى يلمسك إنما يلمس مقلة عينى، "لأن العين أحب أعضاء الجسد إلينا، وذلك عندما تدخل حبة من الرماد فى العين فإننا نبادر بأقصى جهدنا إلى إزالتها، وبالمثل، فإن الرب قد أزال الخطايا والآثام الجاثمة فوق الأرض المقدسة، وعلى هذا، يتضح مدى حب الرب فى تطهيرها من دنس وخطايا وآثام المسلمين، كذلك وعد الرب أولئك الآثمين أن يرحمهم ويغفر خطاياهم إذا ماندموا على ما اقترفوا من آثام. وقال قس الرب العظيم، مليخاص، إن الملك سليمان وما تبعه من ملوك حتى عهد داوود، قد نزلوا فى مدينة القدس، وهى أعظم مكان، غير أنه بارتكاب الآثام وازديادها، سقطت

الأرض المقدسة فى أيدى أطفال بنى اسرائيل، ثم سقطت فى أيدى البابلين مدة سبعين عاماً عندما تعاظم آثامهم التى صارت كرمال البحر، خاصة على عهد الملك "Zedekiah" والنبى "Jerme".

وبعد استرداد بيت المقدس ـ من المسلمين ـ عاد إليها عدد كبير من أبنائنا وقدموا نذورهم، وفرحوا بعودتهم مرة ثانية إلى ديارهم، وتحقيق رغباتهم.

ورفض بعض أفرادنا العوده وفضلوا البقاء فى المملكة الصليبية، وحرصوا على الاحتفاظ بالمدينة والعمل على توسيعها وتأمين حدودها، وطرد الأعداء بعيداً داخل حدودهم، وعاهدوا الرب "اقسموا" أن يبذلوا قصارى جهدهم ومجابهة المخاطر، من أجل أن يقدموا له ليس فقط الرأس، بل الذيل أيضاً[1] .

كان شعبنا "أى المسيحيون " عدد قليل إذا ما قورنوا بالشعوب الإسلامية المحيطة به من كل جانب ، فمن ناحية شرق الأردن كان هناك الموابيون، وهم أحد الشعوب السامية القديمة، والعمونيون، وهم من نفس جنس الشعب السابق. ومن الجنوب كان هناك الأورمان من المصريين والفلسطينيين . ومن الغرب تجاه الساحل، توجد بطليموس وعكا وصور وطرابلس، ومدن أخرى تمتد حتى أنطاكية، وقيسارية فيليب، عاصمة ديوقلويس وكذا دمشق من الشمال . وعلى الرغم من هذا الخطر المحدق بهم من كل جانب، إلا أنهم رفضوا التخلى عن المدينة المقدسة، بعد أن استولوا عليها من أجل المسيح، وهكذا أنزلت قواتنا الرعب فى قلوب المسلمين بسبب إيمانهم القوى، غير مبالين بما يتعرضوا له من مخاطر من أجل الرب، متندهم وعضدهم آملين أن ينالوا جزاءهم فى الآخرة .وعلى هذا، فإن الواحد من قواتنا كان يغلب ألفاً من المسلمين، الإثنان يغلبوا عشرة آلاف، غير مبالين بأعداد المسلمين الكبيرة. ذلك لأن تضحياتهم هى إرضاءً للرب، مخلصين إلى أقصى حد فى القتال، يطاردون الأعداء

---

[1] يقصد المؤلف هنا مدينة بيت المقدس وملحقاتها. "المترجم"

ويذبحونهم، ويكبلون بعضهم من أجل المسيح، وكانت المدن القوية، والقلاع الحصينة درعاً وسنداً لهم فى انتزاع الأراضى المقدسة من أعدائهم المسلمين.

لقد نجح هؤلاء الرجال، منذ بداية الحركة الصليبية وبشجاعة منقطعة النظير فى الاستيلاء على مدينة جبيل *'Joppa'* واستخدموها كميناء للإبحار منها، وتوافد هؤلاء - إلى الأرض المقدسة - لمساندة أنصار المسيح، وتمكنوا من الاستيلاء على عدة مدن وأماكن حصينة، مثل، رلمله، التى أطلق عليها البعض رامثا - *'Ramatha'* وهى تقع على للوادى، وكانت هذه المدينة يوماً ما مدينة مقدسة مكتظة بالسكان، يحيط بها سور كبير من الحجارة، ومحصنة بأبراج عالية . وهناك أيضاً مدينة حيفا *'Hafia'*، وهى التى كانت تعرف باسم بورفيرا *'Borphria'*، وتقع على شاطئ البحر عند بداية جبل الكرمل ، *'Mount Carmel'* على بعد أربعة أميال من عكا، أما مدينة طبرية فى إقليم الجليل، على ساحل بحر *'Gemmesareth'* والذى عرف فيما بعد باسم بحر طبرية، ويطلق عليه العامة اسم بحر الجليل، كل هذه المدن استولت عليها قواتنا بقيادة الدوق الباسل جودفرى بعد عام واحد من الاستيلاء على بيت المقدس (١٠٩٩م).

وفى نهاية هذا العام - ١٠٩٩م - مات جودفرى بعد قتال مرير، ووقع الاختيار على أخيه بلدوين بإجماع الآراء ليكون سيداً عليهم. وكان بلدوبين هذا فارساً شجاعا متمرساً على فنون القتال منذ صباه، وهو الذى صار ملكاً على بيت المقدس. كان ملماً بشئون الإدارة، تواقاً إلى توسيع حدود مملكته الصغيرة، فاستولى على بعض مدن الساحل، مثل مدينة آشور، *'Assur'* "أرسوف" بفضل مساندة الجنوية له، الذين وضعوا أسطولهم تحت خدمته فى ميناء يافا *'Jappa'*، وكانت أرسوف وقيسارية تنعمان بالغابات والأشجار الكثيفة، وكذا المراعى الخضراء، وكانت تحمل اسم، *'Antipatcr'* وهو على نفس اسم *'Antipater'* وهو والد هيرودوس. وتقع أرسوف بين جبيل وقيسارية.

لقد نجح بلدوين، بفضل مساعدة الجنوية له في الاستيلاء على قيسارية وفلسطين عن طريق البحر والبر، وصارت ملكاً له، وتعرف قيسارية قبل ذلك باسم برج ستراتوه "*Strato's tower*" الذى بناه هيرود على شرف قيصر، فعرفت باسم قيسارية، وهى تقع على شاطئ البحر، غير أنه ليس بها ميناء يصلح لرسو السفن، تحيط بها الحدائق والمراعي الخضراء، وبها مياه جارية، وتعتبر قيسارية المدينة الرئيسية في فلسطين، وهى المدينة التى احتجز فيها القديس بولس فترة طويلة في السجن، ثم غادرها إلى روما بعد أن فك أسره.

انتقل بلدوين بعد ذلك من الجهاد ـ المهمة الصغرى ـ إلى المهمة الكبرى، وحشد كل قواته، وحاصر مدينة عكا، باعتبارها أكبر ميناء وأفضل ميناء لاستقبال الحجاج ورسو السفن، وحاصر الجنوية ميناء عكا بسبعين سفينة، بينما حاصرها بلدوين بجميع قواته من ناحية البر، وشدد الحصار حتى عزلت المدينة تماماً، واضطرت إلى التسليم بعد عشرين يوماً من الحصار شريطة أن يمنح بلدوين أهلها الأمان والسماح لمن يرغب منهم الخروج بأمتعته. ولمدينة عكا اسمان، فهى بطليموس وعكا، وهما اسمان لأخوان، الأول يحمل اسم بطليمى "*ptolemais*" والآخر "*Acre*" أو "*Acon*" .وقيل أنهما المؤسسان الحقيقيان لتلك المدينة، فحملت اسميهما. وتقع مدينة عكا بين البحر والجبل على شاطئ نهر بيلوس "*Belus*"، وبها ميناء جيد وعديد من الحدائق، وتحيط بها القرى والأرضى الزراعية وتقع عكا فى إقليم فينيقيا، وعاصمتها صور "*Metropolis*".

واصل بلدوين فتوحاته، فحاصر مدينة بيروت براً وبحراً، واستسلمت بعد شهرين من الحصار، ثم عين برترام سيداً عليها "*Beyrtram*" وكانت قواتنا قد نهبت العديد من مواطنيها وأسروا البقية الباقية. وتقع بيروت على شاطئ البحر بين صيدا وبيت جبرين "*Bibliun*" فى إقليم فينيقيا، وكانت صور حاضرة لها . وتتميز بيروت بخصوبة تربتها وبأشجارها العالية، والغابات وأشجار الكروم؛ وبيروت هى

المكان الذى صلب فيه المسيح على يد اليهود، بعد أن ثبتوه على خشب بمسامير، حتى أنهمرت منه الدماء بغزارة، وبعدما حدثت المعجزة، أخذ يهود المدينة خشبة العماد المقدس.

وفى نفس العام واصل الملك بلدوين فتوحاته فاستولى على مدينة صيدا وأجبر أهلها على ترك المدينة ودانت لإدارته . وتقع صيدا ضمن الحدود الفينيقية على ساحل البحر، بين صور ـ المدينة الرئيسية ـ وبيروت، وهى مثل سائر المدن الفلسطينية، تتمتع بالأشجار والفواكه والكروم والغابات والحقول الخضراء، وتتميز بتربة رملية، وقد شَرُفَتْ المدينة بزيارة المسيح لها شخصياً و من بيروت اتجه المسيح إلى سواحل صور وصيدا . وفى الجزء الثانى من كتاب الملوك، يخاطب سليمان أهل حيرام بقوله: " انتم تعلمون أنه لم يعد بيننا أحد يمكنه أن يقطع شجرة ، كما فعل الملوك من قبل" .

وبعد نجاح بلدوين من توسيع حدود مملكته ناحية الجنوب الغربى، كان حريصاً على توسيع حدود المملكة تجاه ما وراء شرق الأردن . فقام ببناء قلعة كبيرة تمتد فوق جبل مرتفع فى أرض "*Arabi The Thrid*"، وهى تعرف بسوريا سوبال "*Syria Sobal*" وسميت هذه القلعة باسم ،" الجبل الملكى" أو "قلعة الشوبك" لأن الملك هو الذى قام ببنائها. وتمتاز بغناها بالحنطة والنبيذ والزيت ، وبمناظرها الخلابة وباعتدال المناخ، وكانت لها السيطرة على القرى المجاورة حتى مواب "*Moab*" ،أى حصن الكرك.

وفى نفس العام، مات الملك بلدوين، صاحب الذكرى العطرة، فى مكان بين بطليموس "عكا" وصور، ويعرف باسم "*Scandalion*"، أى الأسكندرونة ، وهو مكان وفير المياه، يقع على مسافة خمسة أميال من صور، حيث دفن الملك، مع سائر الملوك المبجلين فى جبل كلفارى "*Calvary*". وقد خلفه على عرش المملكة أحد

أقربائه ، ويعرف باسم بلدوين أيضاً، وبلدوين دى بورج " كان تقياً ورعاً، من أسرة نبيلة فى فرنسا، وكان على درجة وكفاءة عالية فى فنون الحرب والقتال" .

إن انتصارات هؤلاء الملوك وجهودهم من أجل توسيع حدود مملكتهم المسيحية ومهاجمة أعدائهم والاستيلاء على مدنهم، أمر يفوق الوصف، وهو فوق طاقتى، ذلك لأنهم، باختصار وبفضل جنود السيد المسيح، لعبوا دوراً بارزاً فى هذا المجال، حيث قدموا أنفسهم فداءً للرب، مثلما كان حال المكابيين من قبل، وعلى هذا فإن سيرتهم العطرة، سوف ترددها الكنائس فى كل مكان وزمان.

والآن دعونا نحكى باختصار عن أربعة إمارات ظلت مدة طويلة فى أيدى المسلمين، وهى المدن التى عادت إلى الكنيسة المسيحية بفضل مساعدة الرب.

وأولى هذه الإمارات ☜ هى كونتيه الرها "*Edessa*" وهى تقع فى إقليم ميديا، وتبدأ من غابه تُعرف باسم مرعش "*Marish*" وتمتد حتى خلف نهر الفرات تجاه الشرق وهى تضم العديد من المدن وكذا القلاع والحصون العديدة .

والرها مدينة عريقة، إذ كانت عاصمة الميديين قديماً، وهو نفس الاسم القديم الذى قرأناه فى "*Tobit*" على أنها "*Roges*" وتسمى الآن باسم "*Roasse*"، طبقاً للروايات القديمة، وما ذكره التاريخ الكنسى أن الملك أبجر "*Abgarus*" كان يحكم هذه الإمارة منذ أيام يسوع المسيح، وقد أدهشه ما سمع من المعجزات التى قام بها يسوع المسيح فى يهوذا "*Judaea*" وأرسل هذا الملك رسالة إلى المسيح وطالبه فيها بضرورة الرد عليها . وقبل أن يصبح بلدوين ملكاً، كان أميراً على الرها، وهو الملك الذى نجح هو وأسلافه فى طرد المسلمين "*Sarcances*" من إمارة الرها، وأخضعوها لسيادتهم. كانت الرها غنية بالأخشاب والأعشاب، وتجرى بها الأنهار، كما أن هذه الإمارة كانت تحمل الاسم الخاص بالعراق قديماً، وهو ـ *Mesopotamia* ـ لأنها كانت تمتد بين نهرين وهى تعنى باليونانية "*Midest* ، *potamos* "، وهو اسم نهر، وتقع حران داخل حدود إمارة الرها، حيث كان يقطن فيها سيدنا ابراهيم، قبل أن

يدخل أرض الميعاد. وكان لمدينة الرها ثلاث أسقفيات الأولى هى جيروبلس "Geropolis" والثانية هى قورقوس "Coricus" ثم أسقفية الرها، وكانت هذه الأسقفيات تابعة من الناحية القضائية لبطرياركية أنطاكية.

أما الإمارة الثانية ☜ فهى إمارة أنطاكية، وعاصمتها مدينة أنطاكية، يحدها من الغرب طرسوس فى إقليم قليقيا ، مسقط رأس القديس بولس الرسول.

ومن الشرق يجرى نهر بين فالينا "Valena" التى كانت تابعة لقلعة مرقبة "Margat" ومرقبة "Mareclea" ، وهى مدن تقع على شاطئ البحر، وكان الاسم القديم لأنطاكية هو رابلا حسبما قرأنا فى الكتاب الرابع للملوك ، أن ملك يهوذا صدقيا "Zedekiah" ملك بيت المقدس قد حضر إلى نبوخذ ملك بابل "Babylom" وذبح نبوخذ ابن ربيلاتا أمام أعينهم، ثم سلموا أعينهم بأمر ملك بابليون السابق، ثم حملت اسم أنطاكية بعد ذلك نسبه إلى للملك الجديد، انطيوخس "Antioch" الذى قام بتوسيع حدودها بشكل ملحوظ ، وجعلها المدينة الرئيسية ، وهيمن هذا الحاكم على كل الإمارات الشرقية. وعندما نجح القديس بوليس الرسول فى أن يحظى بشرف أسقفية أنطاكية، سميت باسم ثيوقليس نسبة إلى "Theophilis"، وهو مواطن جدير بالاحترام، أصبح فيما بعد أسقف المدينة السابع، وهكذا تحول اسم المدينة التى كانت تحمل اسم رجل وثنى إلى اسم رجل أخر تقى ورع ، وهو ثيوفلس الذى أسند إليه القديس لوقا أعمال الأسافقة، وحضر بنفسه إلى "أنطاكيه" ومن هذه المدينة تلقى أتباع المسيح الاسم المقدس ، الذى نادى عليهم به السيد المسيح بفاهه، فعرفوا بالمسيحين نسبة لاسم السيد المسيح إن هذا المكان هو للمكان الثالث لكنيسة الرب بعد كنيسة الرسل، وكانت بطرقيتها تضم عشرين إقليماً تحت سلطانها. أربعة عشر منها تحت سيطرة الأسافقة المساعدين بينما الستة الآخرين كان يحكمها اثنان من كبار الكاثوليك أحدهما يدعى هورينوبلس "Hirimopolis" اوبلداخ "Baldach"، بينما الآخر يعرف باسم"آن"وهو كبير "عظيم" برسيا "Berisa".

وتقع مدينة أنطاكية، فى مكان يُعرف باسم جوف سوريا 'Coele Syria' وهو موقع مناسب بين الجبال والأنهار ، وتتميز حقولها الكثيرة بخصوبة التربة التى تزينها الأشجار الجميلة، وهى غنية بمصادر المياه العذبة ، كما يوجد بها بحيرة غنية بالأسماك ، وهى تبعد عن البحر حوالى عشرة أو إثنى عشرة من الأميال ، ويوجد بها ميناء يسمى السويدية 'St.sinneon bart' عند مصب نهر العاص 'Orontes' ويوجد شمال أنطاكية مرتفعات تعرف باسم "التل الأسود" لأن به عدد كبير من النُساك والأساقفة اليونانيين ومن مختلف الشعوب والوطنيين أيضاً.

وكذلك الرهبان اللاتيين ، كذلك يعرف هذا المكان أيضاً باسم جبل نيرو'Nero' نسبه إلى كلمة نيرو باليونانية والتى تعنى المياه، وهى عند العامة 'black'.

أما الإمارة الثالثة ☜ فهى كونتية طرابلس وتبدأ من جبل نيرو' Mount of Nero' وتنتهى عند جدول يصب بين جبيل وبيروت ، وتقع طرابلس على شاطئ البحر، فى إقليم فينيقيا وهو موقع فريد، غنى بالأنهار والعيون المائية، وتكثر بها أيضاً الحبوب والفواكه والحشائش الخضراء ، وتتميز طرابلس على جارتها بموقعها بعيداً عن التل "جبل لبنان". وتجرى بها عيون المياه العذبة الصافية ، التى تجرى فى الأراضى اللبنانية فتروى بها حدائق لبنان وبساتينها . لذلك فإن قول البعض، بأن عين ماء الحياة التى كان يعنيها سليمان فى أسفار العهد القديم 'Canticles' توجد هنا فى طرابلس. كما توجد عيون للمياه العذبة بالقرب من طرابلس قد تفجرت من المياه الملحة، وهنا توجد الحكمة فى أن حدائق طرابلس تعطى الفاكهة مرتان فى العام ، خاصة " نبات الكرمة".

لقد حاصرت قواتنا طرابلس بعد الاستيلاء على بيت المقدس ـ ١٠٩٩ـ على يد ريموند كونت تولوز وهو رجل رائد فى كل الأمور ، فارس شجاع تقى ، تمكن من بناء قلعة بالقرب من المدينة عرفت بقلعة الحجاج 'Pilgrim's Castle' ولازالت تعرف بهذا الاسم حتى اليوم ، ويرجع سبب تسميتها بهذا الاسم هو أن الحجاج هم الذين قاموا ببنائها.

ثم واصل برترام بعد موت أبيه ريموند كونت تولوز حصار المدينة ، حتى اضطر أهلها إلى الاستسلام وأخذها برترام كإقطاعية من ملك بيت المقدس، الذى كان موجوداً أثناء استسلام المدينة ، وأصبح برترام بذلك هو الرجل الشرعى للإمارة.

أما الإمارة الرابعة ☜ فهى مملكة بيت المقدس والتى تبدأ من نهر ابرهيم الذى يجرى بين جبيل وبيروت وتنتهى فى الصحراء تجاه مصر، حتى خلف القلعة المعروفة بالداروم ، وقد استولت قواتنا على بيت المقدس بعد عناء كبير، ونتيجة ما بذلوه من تضحيات ، حيث طاردوا الأعداء (المسلمين) من دانيت "*Dan*" حتى بير سبع "*Bersheb*"، وتابعوا فرارهم حتى خارج حدود المملكة .

وتقع دانيت شمال أرض الميعاد، وهى مدينة قديمة جداً تقع على مقربة من جبل لبنان ، وتقع بين لبنان ودمشق، وكان اسمها القديم هو "لشم" "*Leshem*" ثم عُرفت بعد ذلك بدانيت ، بعد أن أصبحت تابعة لأبناء "*Dan*" وبعد ذلك قام فيليب تترش، الابن الأكبر لهيرود بتوسيع حدود المدينة، كذلك تُعرف دانيت باسم قيسارية فيليب وكذلك تعرف الآن باسم بانياس "ويطلق عليها العامة اسم بلنياس"، أما الجزء الباقى من الغابات، فيعرف باسم بانياس، وهو بالقرب من جبل لبنان ويسمى بغابة لبنان "*Forest Lebanon*" أما بئر سبع "*Bersheb*" ، فهو الحد الجنوبى للأرض المقدسة ، وبئر سبع جزء من بيت جبرين، وهى التى نزلت فيها جماعات كبيرة من قبيلة سيمون،"*Simeom*" وتمتد على مقربة من الجبال التى تطل على الساحل وعسقلان ، وتمتد حوالى عشرة أميال من عسقلان، وتعرف هذه المنطقة باسم ، معاهدة البئر "*The Treety of the well*" لأن ابرهيم حفر بئر فى هذا المكان كشاهد على المعاهدة، التى وقعها مع ملك يدعى إميلخ "*Abimeleck*" وكذلك سميت بالبئر السابع، وفى هذا اليوم سميت باسم بيت جبرين "*Bit Jibrin*".

إن ما حققه الصليبيون الأوائل وما بذلوه من جهد فى توسيع حدود المملكة الصليبية ، أمر ليس بمقدورى وصفه ، غير أن ما استطع أن أقوله هو، أنه علينا أن نكرّم هؤلاء ــ جنود المسيح ــ والتى ستظل ذكراهم فى أذهاننا ، لأن هؤلاء فى الحقيقة، قاتلوا المسلمين بشجاعة منقطعة النظير، تحت إشراف قادة متمرسين على القتال، وفتحوا العديد من المدن الحصينة، التى تمتد فى الجنوب من مدينة بلبيس والتى تسمى أيضاً *Beluisn* " وتقع فى الصحراء على الحدود المصرية إلى الرها فى أقصى الشمال، وحران التى تقع خلف نهرالفرات فى أرض العراق *"Msopotamia"* وعلى هذا فإن هؤلاء الأوائل من المسيحيين قد فازوا بالشهادة بسبب ما بذلوه من دماء فداءًا من أجل توسيع حدود المملكة الصليبية ، وقد تحقق لهم ما أرادوا، وذلك بضم الأراضى المجاورة لبيت المقدس، خاصة التى تقع على البحر، واستولوا على كل المدن والقلاع التى تقع بين مدينة الفرما المصرية فى الجنوب حتى اللاذقية فى سوريا ، هذه الأخيرة لم يفلحوا فى قيام كيان صليبى بها.

والفارما مدينة قديمة جداً تقع على شاطئ البحر، ليست بعيدة عن مصب النيل، ويمكن للمرء أن يدخل مصر عن طريقها ، وقد نجح بلدوين أول ملك صليبى للمملكة أن يستولى عليها بالقوة ، وأسر من بها من المسلمين وأعمل فيها السلب والنهب .

وتقع خلف مدينة الفارما فى صحراء مصر، مدينة أخرى، تعرف باسم لارس *Laris* " ثم مدينة بلبيس ، والتى أسماها الأنبياء باسم بليزيوم *Belusium*"، وتقع على بعد خمسة أميال من البحر، كل هذه المدن السالفة الذكر أمكن لقواتنا الاستيلاء عليها ، وتأمين الحد الجنوبى لمملكة بيت المقدس بعدما أقاموا الحصون والقلاع القوية فى مواجهة "مصر" المصريين" أما مدينة الداروم *Darum*" ، فتقع على حدود المملكة ، بين وادى عربة *Idumee*" وفلسطين، على مسافة خمسة أميال من البحر ، وقام الملك الصليبى أماليك ببناء قلعة الداروم وملحقاتها من الحصون فوق

ربوة عالية على شكل دائـرى، ولهـا أربعـة أبـراج، وكـان هـذا المكـان ذات يـوم ديْراً للرهبان اليونانيين ، ولازال هذا المكان يحمـل اسـم الـداروم ـ أى بيت اليونـانيين ـ وتأتى بعد ذلك مدينة غزة، وَهى مدينـة قديمـة تمتد علـى بعد أربعـة أميـال مـن هـذه الحصون السالفة . وكانت ذات يوم واحـدة مـن خمسـة مُدن فلسطينية ، قـام ببنائهـا الملك بلدوين الثالث ، رابع ملوك بيت المقدس، إذ كـانت قبـل ذلـك عبـارة عـن مكـان خرب، غير مأهول بالسكان فأعاد الملك بلدوين هذا، بنائها فوق ربوة عاليةً وحصنها تحصيناً قوياً، وقام بتسليمها لجماعة الرهبان من الفرسان الداوية بشكل دائـم لتكـون حصناً قوياً ومنيعاً ضد الأعداء "المسلمين".

وتقع غزة على بُعد عشرة أميال من عسقلان، وكانت أيضاً واحدة من المـدن الفلسطينية الخمسة ، وتقع على شاطئ البحر، على شكل قوس أو نصف دائرة، بحيث كان الخط المنحنى تجاه البحـر، والجـزء الدائـرى تجـاه الـبر، ناحيـة الشـرق، وكـانت عسقلان آخر مدن مملكة بيت المقدس بأيدى المسلمين، استولى عليها الملـك بلدويـن (الثـالث) بصعوبـة بالغــة بسـبب قــوة أسـوارها والحواجـز العديـدة ، مـن الأبــراج والمتاريس، وكان بها مستودع للسلاح وبها حامية عسكرية، غير أن أهلهـا أسـلموا أنفسهم للملك بلدوين (الثالث) بعد حصار طويل، ومنحهم الملك عهد أمان على أنفسهم وممتلكاتهم .

وهناك مدينة أخرى، تقع بين عسقلان وجوبـا هـى مدينـة أشـدود، علـى بعد عشرة أميال من عسـقلان ، بالقرب من البحـر، وكـانت إحـدى مـدن فلسـطين الخمسـة يوماً ما، غيرأنها صارت الآن قريـة صغيرة ، تقـع علـى تـل صغير بـالقرب مـن اللـد والرملة، وظلت فترة طويلة أرضاً خاويـة ، حتـى قـام الملـك فولـك، ثـالث ملـوك بيـت المقدس ببناء قلعة عُرفت باسم قلعة إيلين ، وهو اسم التل ، التى تقع فوقـه، وقـد قـام الملك بتسليمها لنبيل يُعرف باسم باليان (آل إيلين) وهذا المكـان وأمـاكن أخـرى تعـرف ببئر سبع أو جبلين .

أما البرج الأبيض ، الذى يعرفه العامة باسم بلانسجارد "تل الصافية" يقع على بعد ثمانية أميال من عسقلان، كحاجز لغارات أهل عسقلان ، ومنع تهديداتهم وغاراتهم على مملكتنا.

أما المدينة الخامسة ☜ من المدن الفلسطينية فهى مدينة أكرن "*Ekron*" وتقع على شاطئ البحر بالقرب من أشدود .

غير أن كتاب الملوك الأول يخبرنا بأن مرض الطاعون، قد أتى على هذه المدن الفلسطينية الخمسة، وأخذ الفلسطينيون تابوت السيد المسيح ، ومن المدن القوية التى أتى عليها مرض الطاعون، أرسوف وقيسارية الفلسطينية، وهى مدن تقع على شاطئ البحر، وقيسارية (فلسطين) هذه غير قيسارية فيليب أو دانيت "*Dan*" ويأتى بعد ذلك البترا "*Petra*" ، وهى صحراء بالقرب من عثليث "*Districtum*" وهناك مدينة أيضاً تعرف باسم لابيرنوم على جانبى بحر الجليل ، وهى الأماكن التى قام فيها السيد المسيح بتعليم وتدريس بعض المعجزات، ثم تأتى حيفا وعكا وبطليموس. وهذا ما استطعت جمعه من معلومات عن تلك المدن الفلسطينية .

أما مدينة صور فهى مدينة عريقة، تقع فى قلب البحر، تحيط بها المياه من كل جانب تقريباً، بها ميناء مناسب ورصيف لرسو السفن ، وهى مدينة آمنة .وتعتبر مدينة صور عاصمة لكل الإمارات الفينيقية وتتميز صور أنها محاطة بسور وحصون وأبراج شاهقة وهى غنية بالأسماك، والحدائق الساحرة وأشجار الفاكهة وحقول الحبوب، أقيمت على تل، بها عين مياه جارية ، قيل أن السيد المسيح استراح عندها، من عناء السفر، عندما كان يتجول على سواحل صور وصيدا. وهذا الينبوع ذو مياه صافية جداً ، وهى تتدفق بشدة ، فتمد كل البساتين والحدائق بالمياه ، وفى الواقع يمد هذا الينبوع كل المدينة بما تحتاجه من المياه العذبة، ويبدو هذا الينبوع "العين" هو ما أشار إليه سليمان فى أنشودته " أنه بئر "عين الحياه " وهو حالياً "رأس العين".

وبالقرب من المدينة، يوجد حجر ، يقدسه كل المواطنين والحجاج، ربما لأن السيد المسيح، جلس عليه، وعلم المحيطين به ، كما يبدو أنه كان يرفض أن يدخل المدينة لأنها وثنية "*City of The Gentils*" وقيل أن هذه المدينة هى أول مدينة تأسست بعد طوفان "Tira" ابنى يوشع "*Sophet*" ونوح "*Noah*".

وتسمى صور بالعبرية "*Sor*" والجميع يعرف اسمها باسم "*Sur*" ، ويعلق "*Ezekiel*" على مدينة صور بقوله "يا أهل صور، لقد سعدتم بمدينتكم الجميلة، فموقعها وسط البحر، وتتويجها فوق سائر المدن الأخرى ، وتجارها من الأمراء، لماذا هم جديرون بالاحترام، لقد حدثنا النبى كثيراً عن ثروتها ومميزاتها وتجارها من الأمراء". كان ملك هذه المدينة قديماً هو آجنور "*Agenor*" ومن هذه المدينة جاء "*Dido*" الذى أسس قرطاجنة فى إفريقية ونطالع فى الكتاب الأول لماروش "*Marroch*" وحيرام الذى جاء من لبنان وأسس هيكل سليمان، من الخشب الأحمر. وكان سليمان قد أرسل إليه بعض الأسئلة ليجيب عليها، وأجاب عليها إجابة بالغة، بينما ذكر آخرون أن مارخول "*Marchal*"، أنه هو الذى كان يحاجج سليمان على قدم المساواة. وحضر إلى هذه المدينة ملك آخر، هو ابوللونيوس "*Apollonius*"، الذى قرأنا عن أفعاله فى كتب وروايات كثيرة وشائعة، وهنا أيضاً دفن اورجين "*Origen*" وهو الذى أخبرنا عنه القديس جيروم فى رسالته إلى باماخيوس "*Pamachus*" وكذا اوسانيوس "*Oceanus*" واخيانوس يقول : "الأن قد مر حوالى مائة وخمسون عاماً منذ وفاة أوريجن فى صور وقيل أن امرأه تنتمى إلى هذه المدينة وهى كنعانية "*Canannitish*" أقامت تمثالاً لسيدنا يسوع المسيح كيما تحقق نبوءة داوود "*David*" ومن بين أولئك المشهورين أيضاً قانونى محنك يعرف باسم ، أولبيان "*Ulpian*" وهو من أبناء مدينة صور. ويذكر لوقا فيقول لنا : "إننا لو كنا نثق فى الفنيقيين لكانت الإشارات الأولى قد ترسخت فينا".

وقيل أن أهالى صور هم أول من نبغوا فى صناعة الأقمشة ذات اللون الأرجوانى، ولذلك فهم يعرفون بالأرجوانين، أو بمعنى أخر، أن الصناعة الأرجوانية النفيسة تُعرف بالصورى .

وقد تعرضت صور لحصار الملك بلدوين الأول مدة أربعة شهور دونمـا جدوى بسبب مناعة حصونها وقلاعها، ولما لم يحقق شيئاً البتة، قرر العـودة ثانيـة علـى أن يعود على رأس قوة كبيرة كي يتمكن من الاستيلاء عليها وقد تحقق له ذلك بعدما هدم مبانيها واستسلم أهلها، غير أنـه أعاد بناءهـا مـن جديد علـى شـاطئ البحـر.وهنـاك المدينة لتى بناها الأسكندر المقدونى بين صور وعكا وتُعرف باسم الأسكندرونة، إلا أننا كنا نعرفها باسم "*Scandalium*" ويتميز هذا المكان بوفـرة، مياهـه، وتقـع علـى بعد خمسة أميال من صور، وقام سيد طرابلس ببناء قلعة قوية تطل على صور ـ قلعة نبين ـ وهى تبعد عن مدينة صور عشرة أميال، وفى نهاية هذا المكان ضرب بلدوين حصاراً شديداً على مدينة صور حتى تمكن من أن يمنع هجمات الصوريين، وتقع هـذه القلعة بين لبنان والبحر، وهى غنية بالأشجار "أشـجار الكرامات" ويحيط بهـا الأراضـى الزراعية، ويرجع إخفاق الملك بلدوين دى بورج فـى الاسـتيلاء عليهـا إلـى خطايـاه ومـا ارتكبـه مـن آثـام، ممـا دفـع بطـرق مملكـة بيـت المقـدس ورئيـس الأسـاقفة، وبعـض البارونات ومعهم كونت طرابلس بالمعسكر أمام المدينة ونجحوا فى الاسـتيلاء عليهـا، ويرجع نجاح هؤلاء فى الاستيلاء عليها إلى مساندة البندقية لهم، حيث هاجمت سفنهم المدينة من ناحية البحر، بأربعين سفينة حربية وبعض السفن الكبيرة الأخـرى، وهـو ما أجبر أهالى المدينة على الاستسلام بعد حصار دام خمسـة شـهور، فـأمنهم الكونـت على حياتهم وممتلكاتهم، وكان ذلك بعد العام الحادى عشر بعد المائة وأربعة وعشـرين عاماً من تجسيد المسيح، وبذلك عادت المدينة "صـور" إلى المسيح والمسيحيين.

وأما مدينة صرفند "*Sarapta*" ، فتقـع علـى البحـر، وعلـى بوابتهـا خـاطب النبى الأرملة العجوز التى كانت تحتطب، والتى كانت يدها مملوءة بالطعـام الـذى كـان يتضاعف دائماً، لأنها كانت تصنع الخبز من أجل الرب، وبسبب هذا، قـام المسـيحيون ببناء كنيسة صغيرة عند بوابة المدينة. ثم تأتى عدة مدن أخـرى هـى صيـدا وبـيروت وجبيل، التى تقع على شاطىء البحر، فى إقليم فينقيا، وكانت تسـمى أيضـاً "*Evaea*"، لأنه يقال، أن الابن السادس لكنعان كان يعرف باسم إيفا "*Evaea*" وأنه هو الذى قـام ببنائها، ويقال أن أقدم إنسان وأقدم جبـال كـان فـى هـذه المنطقـة الحصينـة، فموقعهـا الحصين كان بمثابة مرشد للسفن.

ومرة أخرى نقرأ في الفصل الخامس من الكتاب الأول للملوك : "اقشطر الحجرَ وأعدَ الخشب والحجر لبناء بيت الرب" وقد تمكن برترام كونت طرابلس من الاستيلاء على المدينة بفضل مساعدة الأسطول الجنوى الذى كان يبلغ عدده سبعون سفينة، وبسط الجنوية أيديهم على المدينة.

وأما المدينـة الثانيـة ☜ فهى مدينة البتروم "*Botrum*" وتسمى بالعامية البترون "*Botrian*"، ثم قلعة نيـان "*Nephian*"، أى رأس الشكعة ثم مدينة طرابلس، ومدن أخرى، منها مدينة أرك "*Archas*" ـ آلارك ـ وتقع على بعد ميل واحد من البحر، ثم مدينة آردوس التى بناها آراديوس داخل جزيرة بالقرب من البحر وآراديوس هذا هو من كنعان ومنها وجد الرسول بطرس "القديس بطرس الرسول" أم القديس كليمنت، وهى تتضرع إلى الله، وأخبرنا القديس كليمنت أنه يوجد بهذا المكان عمودان من الزجاج البديع الذى نال إعجاب كل الناس، ثم تقع فى مواجهة هذه الجزيرة مدينة لنترادوم التى تُعرف اليوم باسم طرسوس وفى هذه المدينة أسس القديس بطرس كنيسة صغيرة لمريم العذراء عندما كان متجهاً من بيت المقدس فى طريقه إلى أنطاكية. وحظيت هذه الكنيسة بمكانة عظيمة حتى اليوم لهذا السبب وبسبب ما جاءت به القديسة مريم للعذراء من معجزات دفعت العديد من الناس إلى التدفق إلى هذه الكنيسة خاصة وأن القديسة مريم كانت تقوم بمعالجة المرضى واستشفائهم مما أدى إلى أن تكون الكنيسة مزاراً للمسيحيين والمسلمين معاً. وهو الأمر الذى كان يدفع المسلمين إلى تعميد أبنائهم بهدف استشفائهم وضمان حياة أطول ـ كما يعتقدون ـ وبعد استيلاء المسلمين على بيت المقدس، حرص بعض النبلاء أمثال بيوتو *Poitou* وبلويس *Plois* إلى جانب بعض نبلاء آخرين إلى السيطرة على هذا المكان وتسليمه إلى كونت طرابلس، وقد اعتبرت هذه الأماكن من بين أماكن الحج المقدس. ثم تأتى مدينة مارقيا ـ "*Maraclea*" وكذلك باياناس،"*Valania*" وقلعة المرقب "*Margat*" وأيضاً قلعة الجبل "*Gabulum*". وفى واجهة أنطاكية توجد اللاذقية وهى من أكثر المدن شهرة وغنى وتتمتع بما تحويه من سلع من شتى أنحاء العالم .

وفى الوقت الذى كان قد نجح فيه تانكرد من الاستيلاء على المدينة، نجح تانكرد فى أنطاكية من الاستيلاء على مدينة أخرى تُعرف باسم آباميا *Apamea* وبذلك وسع فى مساحة أنطاكية بإضافة هاتين المدينتين إليها فى يوم واحد. كما توجد لاذقية أخرى فى آسيا الصغرى، وهى التى اعتبرها القديس يوحنا من بين الكنائس السبعة فى آسيا. كل هذه المدن السابقة الذكر كانت قواتنا قد نجحت فى الاستيلاء عليها نتيجة ما بذلوه من تضحيات ضد المسلمين الذين لم يترك لهم حصناً واحداً بالقرب من البحر.

ولكن بعض المدن الداخلية وخاصة، التى تقع خلف لبنان والتى لم تستطع قواتنا الاستيلاء عليها اكتفوا - أى قواتنا - بإلزام هؤلاء - سكان تلك المناطق - بدفع الجزية لنا والتى غالباً ما كانت تستغل فى توسيع الحدود السياسية لمملكتهم وتأمين حدودها وكذلك الاستعانة بها ضد هجمات العدو - المسلمين - وبذلك نجحت قواتنا فى وضع حد لهجمات المسلمين المزعجة ضد قواتنا "قوات الصليبين".

وكان بإمكان قواتنا أن تضم مدينة حمص وبعض المدن الأخرى، فى جنوب سوريا مثل هليوبوليس، وبعلبك، وكذلك عمان "*Aman*"، التى تعرف الآن باسم هاما *Hama* إلا أن قواتنا آثرت السلام على الحرب، ودفعوا مقابل ذلك أموالاً طائلة، وبالمثل كان حال المسلمين، خاصة وأن الخليفة الإسلامى وكذا سلطان مصر، كانا غير قادرين على التصدى لقواتنا وغاراتهم المتكررة، مما دفعهم ذلك إلى دفع جزية سنوية إلى ملك بيت المقدس، خاصة عندما يكون هناك مخاوف من دمشق من قبل سلطان مصر، والذى كان يدفع جزية سنوية لملك بيت المقدس مقابل حمايته من تهديدات سلطان مصر أيضاً.

كان الملك الثانى لمملكة بيت المقدس، بلدوين دى بورج قد اجتمع بقوات المملكة وحشد جمع كبير وحاصر مدينة حلب، إلا أن الحصار الصليبى لم يستمر طويلاً بسبب مبادرة المسلمين بحشد قواتهم أيضاً بعدد فاق عدد قواتنا، مما دفع ذلك الملك بلدوين إلى رفع الحصار وقرر الانسحاب.

وفى عهد الملك الرابع، بلدوين "الثالث" بن الملك فولك الأنجوى، اجتمع إمبراطور الروم آنذاك، الملك كونراد الثالث ولويس ملك فرنسا، قائدا الحملة الصليبية الثانية، عندما دعاهما القديس برنارد، وكان مع الملك الصليبى أيضاً بطرق بيت المقدس وأسقف أوستيا الرسول الشرعى وعدد من رؤساء الأساقفة والأساقفة والأدواق الكونتات والبارونات، خاصة الفرنسيين، وقد قرر الكونتات المجتمعين مهاجمة دمشق سنة ١١٤٨م.

ودمشق مدينة قديمة جداً، وهى مدينة رئيسية تتمتع بموقع جغرافى، وهى قليلة السكان وسُميت فيما بعد بخادم ابراهيم، الذى قيل أنه أسسها وهى عاصمة سوريا الصغرى، وكانت تُعرف بلبنان فينيقيا، كما كانت تُعرف فى كتاب يوتا "*VII - 8 Isa*" برأس سوريا، وهى تقع فى أرض سهلية قاحلة تتدفق من مرتفعاتها ينابيع مياه، تتجمع فى مجرى مائى يحول أرضها إلى منطقة خصبة، تكثر بها الأشجار، خاصة الفاكهة.

وبالقرب من مدينة دمشق، وفى نفس المكان كانت هناك مدينة أخرى تُعرف باسم مليسوفير "*Melgissopher*"[(١)] وبالقرب أيضاً من مدينة دمشق نادى "سال" "*Saul*" على السيد المسيح، ولقد بادر الأمراء الصليبيون بمحاصرة المدينة وحطموا أسوارها، واستحوذوا على النهر الذى يجرى من أمامها، إذ أن أهل دمشق كانوا يشكون فى قدرتهم على الاحتفاظ بهذا المكان، حول سور المدينة بهدف الاستيلاء عليها. بينما قام بعض السريان بدور المرشدين للأمراء "الصليبيين" وأقنعوهم بأن

---

(١) تعنى بالعربية "متوغلة باستمرار الرحلة" The going on a journy "المترجم"

يحركوا جيوشهم إلى مكان آخر بعيد عن سور المدينة. وعلى هذا، ترك الصليبيون المكان، وأخذه المسلمون، الذين كانوا قد أخذوا حذرهم منا، وبالتالى فقدت قواتنا مصدر المياه، وكان هذا التصرف قد آثار عضب وحنق المخلصين الذين فقدوا الثقة فيهم، وعادوا إلى أدراجهم بخفىّ حنين، يجرون وراءهم أذيال الخزى والعار.

وعلى هذا تحالف الإمبراطور البيزنطى يوحنا كمونين وأمير أنطاكية وكونت الرها، وحشدوا قواتهم من الجنود والمعدات الحربية والخيول وحاصروا مدينة قيسارية التى تقع على مقربة من مدينة انطاكية، والتى تُعرف الآن بقيسارية العظيمة[1] غير أن الحصار لم يقدر له الاستمرار بسبب تواطؤ كل من أمير أنطاكية وكونت الرها اللذين أهملا أمر تحقيق هذا المشروع من جهة وبسبب انشغال الملك بلدوين الثالث ملك بيت المقدس من جهة ثانية بأعماله الداخلية، فقد كان بلدوين منصرفاً إلى الاستيلاء على مدينة بصرى "*Bostrum*" والتى وجدها قد تحصنت تماماً، فلم يستطيع الاستيلاء عليها، وعاد إلى مملكته، وقد تعرضت قواته لغارات المسلمين أثناء عودتها فأغضب ذلك الملك بلدوين.

ومدينة بصرى مدينة قديمة جداً، وكانت عاصمة العرب القديمة "الأولى" وتُعرف الآن باسم بوسرث"*Bossereth*"وكان لها السيادة على إقليم تراخون،"*Trachon*" ويخبرنا القديس لوقا فى إنجيله أن لغة أهل تراخون، "لغة فيليب القدونى"، وكانت هى اللغة السائدة فى المنطقة. وكانت تلك المدن جميعها، بعيدة عن عيون المياه والآبار، وعلى هذا فقد كان سكان تلك المدن يعيشون على مياه الأمطار التى كانوا يتجمعون حولها والتى كانت تتجمع فى شكل "برك"، وتعرف المياه الجوفية لهذا الإقليم باسم "تراخونت" "*Trachonitis*" وكانت مساكن أهل هذه المنطقة هى الأطلال والكهوف حتى أن سكانها يعرفون باسم "أهل الكهف". وبعد ذلك هناك إقليم ديقوبلس "*Decopolis*" وتقع حدوده ما بين صيدا وبحر الجليل ويربط هذا الإقليم بدمشق إقليم

---

[1] قلعة شيزر

أثوريا، وهذا يقع على حدود صيدا والجبال، وهى التى تفصل بيننا وبين المسلمين فى الوادى الذى يعرف بتل باشر "*Bacher*" وأصبحت بذلك على مقربة من لبنان أو بوابة لبنان "*Fores Lebanon*" وهو نفس الإقليم اثوريا الذى يربط المنطقة بإقليم ترلخون "*Trachonitis*".

وقيل أن الملك لماليك - أخو بلدوين الثالث - حاصر مدينة مصرية تدعى القاهرة، وكان قد رفض نصيحة أحد الرجال الأشرار، يدعى ميلود بلانس "*Milodeplanci*" بالانسحاب مقابل مبلغاً من المال. ولكن فى الحقيقة كان أماليك "*Amlric*" قد حاصر مدينة الإسكندرية المدينة المصرية العريقة، التى كان شيركوه - ابن عم صلاح الدين - قد استولى عليها من سلطان مصر. ولكن مدينة الإسكندرية قد عادت إلى سلطان مصر مقابل مبلغاً من المال وتم توقيع إتفاقية بناءًا على ذلك وعاد أماليك إلى أدراجه. ولكن عاد أماليك مرة ثانية وهدد مدينة دمياط المصرية، بعد ما أرسل إليه الإمبراطور البيزنطى بعدد من السفن والقاذفات الحربية.

ودمياط مدينة مصرية حصينة جداً، ورغم هذا سقطت فى أيديهم، غير أن بقاء أماليك فى دمياط لم يبق مدة طويلة ورفع الحصار عنها بسبب ما تعرضت له قواته من الجوع وشدة البرد وارتفاع الفيضانات، وعاد بعد ما تعرض لخسارة كبيرة.

ومنذ ذلك الحين، وبعد ما أخفقت قواتنا فى الاستيلاء على مدينة دمياط، أو أى مدن مصرية أخرى، اضطروا إلى بناء بعض الحصون والقلاع القوية على الحدود، لتفصل بينهم وبين أعدائهم - المسلمين - ولتكون أيضاً بمثابة خطوط دفاعية قوية، ومن أشهر هذه الحصون والقلاع، قلعة مونتريال الشوبك وبترا فى الداخل، وتعرف الآن باسم الكرك "*Karak*" وراء الأردن، وصفد، وهى مدينة فى بيت المقدس، وبلفوار "*Pelvor*" "كوكب الهوى" وأماكن أخرى حصينة على الجانب الآخر للأردن، وصفد هذه، قلعة حصينة وقوية تقع بين عكا وبحر الجليل، أما بلفوار فتقع بالقرب من تل طابور "*Tabor*"، والاثنان يقعان بالقرب من يزرعية "زرعين" "*Jezreal*" المأهولة بالسكان، وهى تقع فوق مرتفع بين "*Citoplis*" وطبرية "*Tiberias*".

ولكى يحافظ ملك بيت المقدس على الأمن داخل هذه المدن، قام بتقسيم المملكة بين الأمراء والبارونات والتى كانت مهمتهم الأولى هى حفظ الأمن. بينما كان ملك بيت المقدس يحتفظ لنفسه بأفضل الأماكن فيها مثل نابلس وعكا وصور، وبعض المدن والقرى الأخرى. وكان هؤلاء الأمراء والبارونات قد أقسموا يمين الولاء والطاعة، من أجل حماية الملك، ومعهم عدد كبير أيضاً من الفرسان، من هؤلاء، كونت طرابلس وسيد بيروت وصيدا وسيد حيفا "بورفيرا" وسيد قيسارية وأمير الجليل، الذى كان سيداً أيضاً على طبرية، وكذا كونت يافا وعسقلان وسيد الشوبك والكرك، وكل ما وراء الأردن وسيد آثور وسيد إيلين وأماكن أخرى، وكل هؤلاء السابق ذكرهم، كانوا يحظون بمكانة رفيعة لدى ملك بيت المقدس.

ومنذ ذلك الحين أخذت الكنيسة الشرقية فى الازدهار مرة ثانية، وبدأت العقيدة الدينية الكاثوليكية، تنتشر فى الأراضى الشرقية، وبدأت شجرة الرب تجنى ثمارها، ومن ثم "دوّن" فى أنشودة الأناشيد، تبدو وكأنها اكتملت، لقد ولى الشتاء واختفى المطر، وتفتحت الزهور فى الأرض، وحان وقت النضج فى أماكن بعيدة من العالم، ومن كل جنس ولغة، وأمة تحت السماء، وتوافد الحجاج بدافع الرغبة، وتدفق أهل الورع إلى الأرض المقدسة منبهرين يبجلونها، وتم إعادة بناء وترميم الكنائس القديمة وأبنية أخرى جديدة، بما قدمه الأمراء من عطايا وصدقات المؤمنين، وأقيمت أيضاً الأديرة للرهبان فى أماكن مناسبة بهم.

ووضع كل شىء فى خدمة الرب، وتم تأسيس كل ما هو مطلوب لذلك فى مكانه، وقد أدان الصالحون ـ من الرجال ـ العالم، واختاروا أماكن معينة حسب معتقداتهم الدينية ليقطنوا فيها، وتكون مناسبة لأغراضهم الدينية ويكرسون حياتهم من أجل الرب.

لقد كانت الأرض المقدسة مكان جذب للبعض اقتداءًا بالرب الذى اختار هذا المكان القفر المسمى كوارنتينا "*Quarantena*"، ويعرف الآن باسم "*El korumtl*" حيث صام هناك الرب أربعين يوماً بعد تعميده، وقام هؤلاء القادمون، بالاستيطان فى هذا المكان من أجل خدمة الرب، فى تواضع وكذلك داخل صوامعهم، بينما جاء آخرون إلى هذا المكان أيضاً وتقلدوا بالنبى الزاهد المقدس إليا "*Eligh*" الذى عاش حياة العزلة على جبل الكرمل، خاصة الجنب الذى يطل على مدينة حيفا "*prophyria*" قرب بئر يُعرف باسم "*Elighak well*" ولم يكن هذا المكان ببعيد عن دير القديسة مريم العذراء. وبالقرب من هذا المكان توجد فراشات النحل التى تصنع عسل روحانى حلو المذاق، وهو نفحة من نفحات الرب.

كما يوجد جبل كرمل آخر، خلف الأردن بالقرب من تلك البرية القفر، وهو المكان الذى أخفى داوود فيه نفسه حين هرب من أمام سال "*Saul*" إذ كان يوجد منزل ذلك للفلاح الفظ، ولكن جبل الكرمل الذى كان يعيش فيه إليا "*Eligah*" يقع بالقرب من شاطىء البحر على بعد أربعة أميال من عكا.

غير أن للبعض قد اختار مناطق هادئة كى يعتزل العالم (الناس) من أجل عبادة الرب، ففى وادى الأردن، حيث اعتكف يوحنا المعمدان "*St.John The Baptist*" منذ طفولته بعيداً عن الناس، إذ كان بإمكانه، وبفضل هذه الحياة أن يتصل بالرب. وفى عزلة مثل هذه، لم يأكل يوحنا المعمدان سوى ما توفره له البرية من جراد وعسل. وبذلك أصبح هذا النظام سائداً فى سوريا، حيث كان هؤلاء يقومون بصيد الجراد الذى يطير فى شكل جماعات ويحتفظون به كطعام لأنفسهم.

ولقد شاهدت العسل بكميات وفيرة، فى هذه المناطق، ولكن من قصب السكر. وقصب السكر ملىء بالعسل الذى يمكن الحصول عليه عندما يتم عصر القصب فى عصارة ثم يسكب العصير عن طريق تسخينه بالنار.

وبهذه الطريقة يصنع الناس نوع من العسل، ثم بعد ذلك استخراج السكر، وهكذا يسمى بعسل السكر.

غير أننى لا أعتقد أن المعمدان "معمدان المسيح" أكل لحم الجـراد، إذ تخلـى عن كل شىء حتى الخبز، وقد تحققت من ذلك بالاستفسار من راهب سـورى، كـان يعيش مع بعض الرهبان فى هذه المناطق والذين تعودوا "اعتادوا" حياة التقشف والزهد تحـت مباشرة الأسقف "*Abbot*" رئيس الدير، ولقد سألته عن نوع الجراد الذى قيل أن 'يوحنا ' قد أكله فى تلك البرية المجاورة للأردن، وأجاب على الفور قائلاً: "إن هنـاك نـوع من العشب ينمو أمام ديـر الرهبـان الذى يسمونه بلانجوستاى "*Langustae*" أو قصوليا الجراد "*Locust -bean*" إذ ينمو هذا العُشب بكميات وفـيرة أمـام أديرتهم" وأضـاف قائلاً: وهذا هو العُشب الذى كان يعتمد عليه المعمدان فـى طعامـه." عـلاوة علـى ذلك قال : إن هذه البرية غالباً ما كانت مستودع للعسل الذى يصنعه النحل.

ولقد توجه بعض رجال الدين الآخرين إلى تلك البرية بالقرب من بحر الجليل، والتى غالباً ما كانت منطقة وعظية للرب، حيث كـان يقوم بإطعام أعداد غفيرة مـن خبز الشعير والسمك الصغير، وأنعم على المنطقة بمعجزات كـثيرة. وهنـا أيضـاً ظهر بنفسه أمام حوارييه بعد انبعاثه، كما أكل وشرب معهم ومشى فوق مياه هذا البحـر، وهنا نادى على بعض حوارييه قائلاً: "اتّبعونى أعلمكـم كيـف تكونـوا صـائدى الرجـال" وهنا اختار مأواهم الفريد على السهل حيث توجد أعشاب كـثيرة مـن العشـب الجـاف. وأما البعض الآخر فكان على الجبل المجاور الذى صلى عليه الرب.

إن بحر الجليل هو بحـيرة ذات ميـاه عذبـة علـى حـدود الجليـل، وهـى مليئـة بجميع أنواع الأسماك، ومياهه صالحة للشرب، ونظراً لطولهـا وسـعتها أطلق عليهـا اسم بحر، وهذه عادة اليهود والمصريين الذيـن يطلقـون علـى أى تجمـع مـائى بحـر، سواء كان ملحاً أو عذباً. ويسمى كذلك بحر طبرية، وذلـك لأنـه يجـاور مدينـة طبريـة التى تقع بالقرب من منطقة "*Bethsaida*" ومدينة بطرس "*Peter*" وأنـدرو التـى أنعم الرب عليهما بحضوره شخصياً بهما، وتسمى أيضاً بحيرة جنزار "*Lack of Gennesareth*"

والتى فسرت على أنها "الرياح المتولدة" لأنه من العيون المائية التى تنبع من الجبال تبدأ من حولها رياح قوية، غالباً ما تتجمع وتحدث اضطرابات فى البحيرة، وتتحول إلى عاصفة، فتحدث أمواجاً عالية تؤدى إلى انقلاب السفن الصغيرة. ويجرى نهر الأردن تجاه البحيرة السالفة الذكر. وقد استمد اسمه من عينين من المياه "من شقين" غور "*Jor*"، ودان "*Dan*" والتى منهما مصادر اسمه. ويقع بالقرب أيضاً من جبل لبنان وقيسارية فيليب ومن هنا يجرى النهر فى مجرى واحد حوالى مائة ميل ويروى المناطق المجاورة وتجرى مياهه عبر الوادى الشهير"*Illustrious vally*" والذى يسمى بوادى الملح، وقد تحول إلى "البحر الميت" وهناك تبتلع المياه ولا تعود ثانية، ويقع بالقرب من مكان يُعرف بالذور "*Zoar*" ويعرف اليوم اسم بوميرا "*Poumier*" والبحر الميت يعرف باسم بحيرة أسفات "*Lake of Asphat*" وأيضاً باسم بحر الملح، لأنه شديد الملوحة حتى أن أحداً لم يستطع أن يشرب من مياهه. وغالباً ما كان يعرف ببحر الشيطان "*Devil's sea*" ذلك أنه لا يمكن لأى كائن حى أن يعيش هناك، ويعرف أيضاً بجبل الملح، علاوة على ذلك توجد على جانبيه أشجار التفاح التى تمتد بطول البحر يتخللها مناطق خربة، وأتربة كريهة الرائحة، ولذلك أنزل الرب النار والحجارة فوق سدوم "*Sodom*" وكذلك "*Go marrah*" وأيضاً فوق ثلاث مدن أخرى. وكان سكان تلك المدن شديدى الحقد والحسد وارتكاب الخطايا ضد الطبيعة. وكانوا أيضاً يمارسون الرذائل والنقائص والعيوب بعضهم ببعض.

وفى هذا المكان المسمى بنتوبليس "*penitopolis*" لم يستطع أحد أن يصل إلى القاع لأن الرب عندما أشعل النار فى تلك المدن، ألقى بهم حفرة فى عميقة جداً. ونهر الأردن الذى سبق ذكره، وكان يقدم خدمات كبيرة لكل البلدان التى تقع بين جبل لبنان، فهو يوفر المياه التى يسقى بها الأرض والحدائق فتحمل الأشجار الثمار والفاكهة، وتمدنا بالمياه العذبة للشرب وكذلك السمك للغذاء، وشواطئه صالحة

للزراعة، مثل قصب السكر، الذى يستخدم الناس قشه فى تثقيف منـازلهم وفـى تجليد الحوائط وكان العسل يتساقط "يجمع" مـن الأشـجار فـى الحقول المجـاورة لهـذا النهـر بكميات ضخمة من محصول قصب السكر، فيمدنا بسكر وفير. لقـد كـان لـدى السكان الوطنيين رغبة شديدة فى غسل أجسادهم وملابسهم فى مياه نـهر الأردن، لأن مخلصنا يسوع المسيح قام بتعميده القديس يوحنا المعمدان فى هـذا النهـر، فتطهـر هـذا النهـر بملامسة مياهه لجسده الطاهر، ومنحـه قـوة متجـددة لكل مياهـه. ولذلـك اعتـبر نـهر الأردن نهر عريق للأسباب سالفة الذكر، ففوق هذا النهر سُمع صوت الرب وشُـوهدت روح القدس على شكل يمامة، وتم تعميد الابن فى هذا المكان وعدد كبير مـن الرجـال والنساء على يد يوحنا المعمدان.

وفوق هذه المياه أيضاً، كـان المذنبـون والمخطئـون يقومـون بتعميـد "طهـارة" أنفسهم كيما ينتهجوا نهج المسيح، واعتادوا على رمـى "إلقاء" أنفسـهم بـالنهر كنـوع من أنواع للطهارة على يد نامان السورى، كذلـك كـانوا يتطهـرون مـن مـرض الجـذام حتى تُشفى أجسادهم مرة ثانية، وكأنهم أطفال رضع، أو صغار، وكان يوشع "*Josha*" وعدد كبير من أطفال بنى إسرائيل يعبرون هذا النهر دون أن تكبل أقدامهم فى الوقـت الذى كانت المياه تعلو رأسه ثم تنحدر ثانية إلى النهر.

ومن مجرى النهـر، أخـذ أطفـال بنـى إسـرائيل اثنـى عشـر حجـراً طبقـاً لعدد القبائل الاثنى عشر. وكانت هذه الحجارة قوية جداً، حتى أن القديس يوحنا المعمـدان، كان يقوم بتسليمها، وقال عن ذلك : أن الله هو القادر على إعانة هؤلاء الأطفال كيمـا يرفعوا هذه الحجارة إلى إبراهيم.

كذلك عبر كل من إليا واليشع دون أن تبتل أقدامهم، وبعد ذلك لمـس المسـيح هـذه الميـاه بعباءتـه وقسـمهم هنـا وهنـاك، حتـى أن بعض رجـال الديـن قـاموا ببنـاء مساكنهم بجوار هذا النهر بسبب قداسته وطهارة مياهه.

لقد أقاموا أديرتهم فوق تل طابور لتكون نقطة اتصال خارجي بذلك المكان المبجل.وتل طابور شديد الارتفاع والانحدار أيضاً.وهناك ظهر الرب وتشابه مع كل موسى وإلياس فى هيئة "حضور" بطرس، وقد أضحى كل من جيمس وجان، ذلك فى عظمة انبعاثه فى المستقبل. إن تل طابور، هو أحد بلدان منطقة الجبل، وهو غير بعيد عن الناصرة، وبالقرب أيضاً من جدول كيسون، وعلى الجانب الآخر منه، توجد مرتفعات "*Gilbou*" على بحر الجليل. وفيما يتعلق بهذه المرتفعات، التى تعلن عن خيلائها، تنحدر من فوقها الرطوبة والأمطار بشكل غير عادى، غير أن هذا لم يكن دائماً بشكل ثابت ودائم، ولم تكن هذه الظاهرة أيضاً بالنسبة لأولئك الذين يقطنون فى المناطق المجاورة.

إن جماعات الرهبان البندكت "*Cisteccian*" وكذلك "*Premonstraten*" قد قدموا ببناء أديرة لهم فى أماكن مناسبة، كما قام بعض أولئك الذين اشتدت رغبتهم فى التوجه إلى الأرض المقدسة، بترك ديارهم وأسرهم ومنازل آبائهم فى شكل جماعات من الرجال، حتى أصبحوا عقبة فى حركة الذهاب، وفضلوا أن يحيوا فى وسط الزحام عن أن يحرموا أنفسهم من امتيازات سكن الأماكن المقدسة، مثل بيت لحم، والناصرة، والتى امتلأت بقدور الفرنج المفعمة بالروائح العطرية، بسبب حضور المسيح فيها من جهة، وكذلك الناصرة كانت السيدة مريم العذراء قد حملت بالمسيح عن طريق الروح القدس هناك، وفى بيت لحم ولد السيد المسيح، وفى بيت المقدس التى آثارت لعابنا صلب ومات ثم قُبر.

إن بيت المقدس هى مدينة كل المدن، وقدس الأقداس، عظيمة بين الأمم وأميرة بين الإمارات، وما تتمتع به من إمتيازات خاصة، جعلها مدينة الملك العظيم. إنها تتوسط الأرض، مركز العالم، فسوف تكون ملاذاً لكل شعوب العالم، وهى مملكة البطارقة، والأم الرضيع لكل الأنبياء ومعلمة الرسل، ومهد عقيدتنا وإيماننا، موطن السيد المسيح وهى مهبط الأديان، مثلما كانت روما هى الأم المخلصة، اختارها الرب

ليطأها بقدمه، شرفت بحضور الملائكة فيها، ألفتها كل الشعوب تحت قبة السماء وتقع بيت المقدس فوق تل مرتفع، يقع على جانبيها التلال، وهذا الجزء من سورية يسمى يهوذا وفلسطين، إنها مليئة باللبن والعسل، ويكثر بها الشعير والنبيذ والزيت، وهى بركة ونعمة لكل الأزمان، وعلى الرغم من أن أنهارها مفتقرة إلى المياه فلم يكن لها مصادر، غير أنه هناك مصدر واحد يسمى سلوم "*Siloam*" وهو يجرى تحت جبل صهيون "*Mount of Sion*" فى وسط وادى يوسف، وأحياناً تزيد المياه بشكل ملحوظ ثم تندر مرة أخرى.

وكان لكل مدينة، وبالقرب منها توجد بعض الصهاريج لتخزين مياه الأمطار التى تفى حاجات الإنسان والحيوان من مياه الشرب، كما كانت تستغل فى نواحى أخرى، وكانت صهاريج كل مدينة تحمل أسماء تختلف بعضها عن بعض طبقاً لمصادر مياهها واختلاف مواطنها ولغتها، فالأول مثلاً يسمى جوب "*Jeubs*" والثانى سليم "*Salem*" ومن الكلمتين جاء اسم بيت المقدس "*Jetusalem*"، إنها تسمى أيضاً سوليما "*Solyma*" وهورسليما "*Hiersalyma*" ولوز "*Luz*" وبثل "*Bethel*" وأخيراً كانت "*Aelia*" وأيضاً آليوس "*Aelius*" "*Roman*" "*questor*" والكيستور، موظف رومانى، قديم للإدارة المالية، والذى قام ببنائها، بعد أن كانا كل من الإمبراطور تيتوس وفسبسيان قد حطماها. وقيل أن أول أسقف لها هو جيمس الرسول، الذى قتل بمطرقة من حديد فى بيت المقدس وانتقل إلى الرب كشهيد. وظلت بيت المقدس بدون أسقف بعد مماته ذات مكانة رفيعة، حتى عهد الإمبراطور قسطنطين. ولكن فى الفترة التى سبقت عهد الإمبراطور، المؤمن بالله "قسطنطين" وزوجته الإمبراطورة التقية، عقد مجمعاً كنسياً مجمع "السنود" "*Synod*""، فى مدينة قسطنطين من أجل أمور تتعلق بالمدينة المقدسة "*Jerusalem*"، وقام الإمبراطور بتعيين بطرقاً على المدينة، وأسند إليه بعض الأساقفة المساعدين، الذين تم نقلهم من بطريركية الإسكندرية وأنطاكية، وذلك أن الإمبراطور رأى أن تأسيس البطريركية الجديدة كان على حدود الاثنين "أنطاكية - الإسكندرية". وفى كنيسة الرب، احتلت بطريركية بيت المقدس المنزلة

الرابعة، بعد الكرسى الرسولى "*Apostolic see*". وقد جعل تحت إشرافه، أربعة مطارنة، وهم كالآتى: صور التى جعل لها أربعة أساقفة مساعدين فى عكا، وصيدا وبيروت وبانياس، وهذه الأخيرة تعرف الآن باسم بلنياس، التى تتاخم أرض الميعاد، والحاضرة الثانية هى قيسارية وجعل لها أسقفاً مساعداً واحداً هو أسقف سبيسطة "*Seboaste*".

وكان لهذه المدينة "سبيسطة" قديماً اسم آخر هو سامريا "*Samaria*" وقد كانت المكان الذى دفن فيه كل من يوحنا المعمدان، وإليا والنبى عاموس.

ولم يكن فى حيفا "بورفيرا" أسقفية، بل كانت تابعة تبعية مباشرة لرئيس أسقفية قيسارية، أما الحاضرة الثالثة "البطركية" فهى الناصرة وكان لها أسقف مساعد واحد هو أسقف طبرية. وطبرية مدينة على شاطىء البحر - بحر الجليل - فى منطقة الجليل وهى غنية بالحنطة والأسماك، وكان الكرسى الأسقفى من قبل فى مدينة كينتوبلس وهى التى تعرف الآن باسم بيسان "*Bethshan*" وتمتد على الساحل بين مرتفعات جلبوع ونهر الأردن. وهى مدينة جميلة جداً، وهى غنية بمياه الآبار والعيون والنهيرات، وقد كانت يوماً ما حاضرة لمدينتا "ترتيا" الفلسطينية "*Palestine tertia*" والجليل، غير أن الكرسى الأسقفى انتقل إلى الناصرة بسبب فخامة المكان الذى شرف بحضور السيد المسيح فيه، أما الحاضرة الرابعة، "البطركية" فهى البتراء، وكان لها أسقف مساعد واحد وهو أسقف يونانى فى مرتفعات سيناء فى كنيسة القديسة كاترينا العذراء، ورئيس الأديرة فى ذلك الدير.

وتتمتع البتراء بحصون قوية، تعرف باسم الكرك "*Crac*" وتقع البتراء فى البرية، وتمتد بعض أجزائها فوق تل مرتفع خلف الأردن على حدود مواب، "*Moab*" "الكرك" وهى عاصمة مدينة سكندا العربية "المملكة العربية السعودية الآن" وهذا هو المكان الذى قال عنه النبى اسحق، أرسل أنت المصباح إلى الحاكم، "حاكم الأرض من القمر *Sel* إلى البرية". أنها تقع بالقرب من مدينة قديمة جداً تسمى رابوت "*Rabboth*" التى تقع أمامها بوابة مذبح داوود.

وكان لبطرق بيت المقدس أساقفة مساعدين تابعين وله تبعية مباشرة، من أمثلة ذلك، بيت لحم، وحبرون، واللد "Lydda" وكانت كنيسة بيت لحم، ديراً للراهبات، وفقاً للنظام الكنسي على عهد بلدوين أول ملك صليبي لمملكة بيت المقدس، وكان هذا الملك الصليبي قد حظى بمكانة رفيعة نظراً لما حظى به المكان الذى شرف بميلاد المسيح، وقد رفعها إلى مقام الكتدرائية، وأقام عليها أسقفاً بأمر رسمى، كما أن البابا صاحب الذكرى العطرة، باسكال الثانى، أسند إليه أيضاً السلطة القضائية لمدينة عسقلان، وكذلك بالنسبة لكنيسة حبرون، والتى كانت من قبل ديراً للراهبات، ثم رفعت إلى مرتبة الأسقفية، بسبب المكانة الدينية التى تتمتع بها المدينة، حيث كانت مهبط آدم وحواء "Adam and Eve" وثلاثة من البطارقة الرسل، وهم: إبراهيم واسحق ويعقوب وكذا سارة وربيقا "Rebecca" وقد دفنت أجسادهم جميعاً فى كهفين، وهى ذات صلة بخدم الرب. والأسماء القديمة لحبرون Arba، والكرج العربية "Kirijath"، أما مدينة اللد، فكانت تعرف باسم "Diospolis" ديوسبولس، وتُعرف الآن بالقديس جورج.

وفوق ذلك، فإن البطارقة السالف ذكرهم، كان منهم رؤساء الأديرة، وأديرة الراهبات اللاتى كن يتمتعن بامتيازات تتمثل فى حمل شارات الحبر الأعظم، ومن هذه الشارات، صولجان الأسقف "The Staff" والتاج أو القلنسوة "The mitve"، والخاتم "The ring" وأخيراً الصندل أو الخف، "The sandles"، وكل هؤلاء يمثلون المسَاعد للسيد المسيح الخادم فى السماء. وكنيسة البطريركية هى كنيسة القبر المقدس على مشارف جبل كلفارى "Calvary" وكان يتبعها عدد من الأديرة، كانت حياة الرهبان فيها حياة منتظمة، تحت إدارة القديس أوستن "St.Austin"، وكان من بين هذه الأديرة ديراً مهمته انتخاب بطرقاً فى مكانة رئيس الدير، وفى كنائس معبد الرب بجبل صهيون، وجبل اولفت "Olivet" كان رؤساء أديرة الكنائس يقومون بخدمة الرب، بناءًا على نظام أوستن سالف الذكر. وفى كنائس الأديرة، خاصة كنيسة

القديسة ماري كان اللاتين ورؤساء الأديرة في وادي يوسف، 'Jehosaphat' مع الرهبان السود يقومون بخدمة الرب وفقاً لنظام بندكت. أما في بيثان، وهي قرية تقع على بُعد خمسة عشر فرسخاً من بيت المقدس خلف جبل أولفت، وكانت توجد القديسة ماري ومارثيا وآخوهما لازاريوس 'Lazarus' بالإضافة إلى عدد من الأساقفة السود وبعض الراهبات اللاتي يتبعن نظام أوستن قديس.

كما أن هناك بيثان أخرى، خلف الأردن حيث تم تعميد يوحنا المعمدان، وفيها يتم نفس النظم والقواعد التي تنتمي إلى أسقفية القديسة آن؟ التي ولدت أم السيد المسيح. وهي تقع بالقرب من البوابة والتي تسمى بوابة يوسف "Jehasaphat' حيث يوجد المكان الذي قيل أن السيدة العذراء وضعت فيه وهو مكان أيضاً لدير راهبات سود 'black nuns' وأيضاً دير أسقفية مريم العذراء في بيت المقدس، وبه دير آخر لراهبات سود يقمن على خدمة الرب تحت نظام القديس سنت، وهذا المكان مليء بالبخور والأشخاص الأطهار المخلصين الذين لم يتعصبوا لدين أو جاه وقبلوا حياة الفقر والبؤس، وعلى جبل تابور 'Tabor' هناك دير به رهبان سود تحت إدارة أسقفية الناصرة. كما أن مدينة جوبا 'Jobba' كانت تابعة لأسقفية كنيسة القبر المقدس، لأنه لم يكن بها أسقفية. ونفس النظام كانت مدينة نابلس 'Neaplis' والتي تسمى في الإنجيل 'Sicher' حيث يوجد بئر يعقوب والذي بجواره تحدث الرب مع إمرأة السامري 'The woman of Samaria' ولم يكن بها أسقفية، ولكنها كانت تتبع مباشرة دير معبد الرب.

هناك أيضاً العديد من المدن في أرض الميعاد، والتي لم يكن بها أسقفيات قبل الغزو اللاتيني تحت إدارة الكنائس السورية أو الكنائس اليونانية، وذلك رغم كثرة عددها وفقرها فإن اللاتين قاموا بدمج عدد من الكراسي الأسقفية للكنائس في كرسي اسقفي في مدينة واحدة. أو بمعنى آخر (خصص اللاتين كنائس عديدة ومدن كثيرة لمدينة ذات كتدرائية واحدة، خشية أن تصبح مكان لدير معين. ودعونا الآن نضيف وباختصار عدد من تلك الأماكن التي كانت ظاهرة بين الأماكن المبجلة).

إن الناصرة، مدينة صغيرة على مدخل الجليل من جهة الغرب وتقع بين جبلين، ويقع بينها وبين صفورية *"Sophor"* عين مائية صافية والتى تتدفق منها المياه بوفرة وقوة وتسمى عين صفورية. وفى هذا المكان كان لدى ملوك بيت المقدس رغبة فى تجميع قواتهم العسكرية بسبب نمو الحشائش ووفرة المياه من جهة، كما أنه المكان الذى ولدت فيه القديسة مريم العذراء من جهة ثانية. كذلك دون شك هو المكان الذى تم فيه خطبة مريم العذراء ليوسف "النجار" وهو المكان الذى نزل فيه الملائكة عليها ليبلغوها ببداية الخلاص، وهذه المدينة المقدسة يحبها الرب. فالكلمة أصبحت علقة "جسداً" والوردة ذات الرائحة الجميلة شاعت منها كل العطور ونمت فى رحم مريم العذراء، ويقال أن اسمها مشتق من زهرة أو وردة، وامتازت عن الأخريات بأن مخلصنا المسيح قد تربى فيها، وتحت قدميه وضع الأب كل الأشياء فى السماء والأرض، وبيت لحم التى فسرت على أنها بيت الخبز الحقيقى الذى قيل أنه هبط من السماء تقع على مشارف القدس، ويمكن القول أنها تبعد أربعة أميال عن المدينة المقدسة وفى مدينة داوود هذه توجد الكنيسة الكتدرائية المقدسة أما القديمة فقد خصصت لمريم العذراء. وفى هذه المدينة حاول أعداء الإيمان خطف وذبح المسيح بقوة، وفيها أيضاً معلف للدابة التى هبط به إلى الأرض وهى المكان الذى عرشه السماء وكرسيه الأرض. كما أنها المكان الذى هبط فيه الكهنة بأمر الملائكة، وفيها ندر "لبن" الرضيع مع أمه مريم العذراء، وفيه نزل ثلاثة من السحرة عندما قادتهم نجمة من السماء فاشتروا المدينة هذه، وفيها ولد الملك وقدم إلى الرب هدايا روحية. وفى هذه المدينة أيضاً تطلع هيرود الشرير، عدو الإيمان إلى ذبح المسيح بطريقة وحشية، مما يجعل الموت مصحوباً ببعض الطهارات. وهناك أيضاً قبر يعقوب وروفائيل، التى ماتت فى نفس المكان بعد أن ولدت بنيامين، وهناك جاءت إمرأة تسمى نومى *"Naomi"* من البتراء فى البرية، والتى اتخذها بوزا *"Boaz"* زوجة له فحملت منه سيد الأرض، الذى جاء بالابنة آسيا *"Sion"* وقد تمنى داوود لوشرب من

مياه بئر بيت لحم، راغباً من أن يشرب من مياه الحكمة وأيضاً من مياه بئر مريم العذراء المبارك. وحتى القديس جيروم صاحب الترجمة للكتب المقدسة إلى اللاتينية، كان قد اختار لنفسه المدينة المقدسة المفضلة لدى الرب من أجل خدمة المسيح، وفيها ذبح المسيح ثم قبر فيها، وكذا أبولا المبارك وابنته أوستاخيم '*Eastochim*' والعديد من العذارى قدمن أنفسهن لخدمة الرب والتأمل في السماء في الدير هناك، وزهدنا الدنيا من أجل خدمة ربنا وسيدنا يسوع المسيح، وكرسن حياتهن من أجل خدمة تلك الأرض المقدسة.

ومدينة بيت المقدس المبجلة، نزل فيها يسوع المسيح، ففيها أسرار خلاصنا وبذا فهى تتفوق على الأماكن الأخرى، وكذا المدن فى طهارتها، وما تتمتع به من امتيازات، فهى محاطة بروائح الفواكه التى أنعم الرب بها عليها. وكانت بيت المقدس مكان جذب للعديد من رجال الدين لما تتمتع به من مناطق دينية مقدسة، مما دفع للكثيرين منهم لأن يقدموا أرواحهم فداءً لها وحباً فيها، كما أنها بالإضافة إلى ذلك كانت محاطة بسور قوى حصين عال بحيث كان هذا السور ملفت للإنتباه. وقد كان بهذا السور أربعة فتحات منتظمة لإطلاق النار من حائط لآخر، وكان جانبه الغربى مبنى من الحجارة المربعة الأسمنتية، وغير قابل للكسر ومزود بالملاط والرصاص المصهور، ويكفى هذا الجانب لحماية المدينة، ويسمى هذا ببرج داوود.

أما فى الجهة الجنوبية منه فيقع جبل صهيون، وبعد أن طرد '*Jebusties*' داوود، أقام داوود فى قلعة صهيون، وأطلق عليها اسم "مدينة داوود". أما من جهة الشرق، فيوجد جبل بيثان أو ألفت أو الكلفارى، حيث صلب المسيح فى مكان يسمى '*Golgotha*' ويعرف بقبر الرب، وأما الموقع الثانى فى هذا المكان فهو يقع بالقرب من جبل كلفارى والذى استمر حتى عهد الإمبراطور هادريان، ولم يكن به أسوار تحمى المدينة.

والمكان الذى قبر فيه الرب وعانى منه لم يكن به مدخل، غير أن الإمبراطور هادريان أعاد بناء المدينة التى حطمها تيتيوس وفسبسيانو، وقام برصف شوارعها وممراتها وجعل بها قنوات داخلية تحافظ على المدينة ونظامها فى فصل الشتاء من القاذورات.

كذلك قام الإمبراطور هادريان بتوسيع كبير فى المدينة، وأحاط قبر الرب بسور ضمن الأسوار التى تحيط بالمدينة. ثم قام المسيحيون ببناء كنيسة القيامة (قيام الرب) 'The Lord's Resurrection' تبجيلاً له، وهو عمل بارع دائرى الشكل مكشوف من أعلاه، وهو المكان الذى تستقبل فيه كنيسته كل المقدسين والمبجلين من كل مكان. وفى هذا المكان يرقد جسد الرب المقدس، بعد أن بخر بالمر والصبر المقدس مدة ثلاثة أيام، وفى اليوم الثالث نهض مرة أخرى، وهنا تظهر الملائكة، وحلظ القبر، ثم تنزل النار المقدسة من السماء.

والآن وعندما تذكر تلك الكلمات فى كل مكان من العالم، نقول: "نهض الرب من القبر، وتعلق من أجلنا فوق شجرة، وليقرأ المؤمنون ورجال كنيسة القبر المقدس بطردهم من هذا المكان، وأصبح ظاهراً ومرئياً فى ذلك المكان." كذلك نقرأ فى الإنجيل عن عيد الفصح، إنه لم يكن هنا، بل رفع إلى السماء، إن الشماس الذى يقرأ الإنجيل فى توازن مع نغمات أصابعه من أجل قبر الرب، وهذا المكان هو ما يعرف بكلفارى، وهو المكان الذى صلب فيه المسيح، ويعرف فى العبرية 'Hebrew' بـ 'Golgotha' المجاور لكنيسة وقبر الرب، وهو مكان شاق بين الأماكن المقدسة، وهو مكان ذو تأثير شديد وقوى على القلب بسبب ذكرى آلام المسيح 'Lord's Passion' حيث تألم المسيح من أجل خلاصنا، فقد تجرد من ملابسه وصلب على صليب وثبت بمسامير على الصليب، ثم شرب من المر والخل وسخر منه اليهود، وتعرض لامتهانات عديدة حتى مات فى شكل مخذى، ثم صلى من أجل القتل (صلى قبل موته) وأمر أمه أن تعتنى بالحوارى، ووعد بالخلاص، ثم صرخ بصوت عال، ودمعت عيناه ونزف دماءً غزيرة، سالت بقوة ليغتسل العالم من جنبه المطعون، وهنا تركوا ملابسه

بينهم ثم ألقوها ليستروا جسمه، وهنا يهتز العالم وتتصدع الجبال، وامتلأت الأرض بدمائه، وغابت الشمس واختبء ضوؤها. وعندما زار الحجاج هذا المكان المقدس تأثروا بكل هذه الأشياء، وشعروا بالأسى والحزن يعتصر قلوبهم، وكانت عيونهم تذرف الدموع رحمةً وشفقة على هذا البلاء والآلام.

والآن فإن مدينتنا القوية، مدينة صهيون، كان بها جبل يقطن فيه الرب يتساقط منه العسل وحلاوة الأزهار، وهى تريح العقول وتعيدها إلى التقوى بروائحها الطيبة، وكذا بسبب قدسيتها فإنها سبباً فى إطعامهم.

وهنا يقيم الرب عيد الفصح فى عيادة مع حوارييه ومعه منديل غسل به أقدام الرسل، وأعطى بذلك مثالاً للتواضع، فقد ارتدى ملابسه مرة ثانية، وأكل وشرب مع حوارييه فقتن بذلك عهداً جديداً، هو تحول الخبز إلى جسده والنبيذ إلى دماء وتعليمه لحوارييه الحديث القدسى، وهنا يحفر يوحنا قبر ابنته[1] مادامت على قيد الحياة فتكون معه. وهنا ظهر الرب لحوارييه، عندما كانوا يجلسون والأبواب موصدة، علاوة على ذلك، فإن الحواريين ظلوا فى مكانهم حتى يوم عيد الفصح "العنصرة" بينما صعد المسيح إلى السماء، وظلوا ينتظرون عودته "ميعاد نزول الروح القدس على شكل لهب" بما تحمل الكلمة من معنى فى كل اللغات. وفوق هذا، فإن حشداً من اليهود الذين دافع عنهم القديس بطرس قد حضروا بعد ما سمعوا صوتاً من السماء، واهتدوا إلى طريق الرب. كل هذه الأشياء تجعل هذا المكان يتفوق على غيره من الأماكن المقدسة الأخرى، فصارت أعظم مكان مقدس يحظى باهتمام خاص.

إن معبد الرب المقدس الذى بناه سليمان "*Solomon*" على جبل مور "*Moriah*" من ثلاث طوابق، وهو الثانى من المدن القديمة المقدسة، وإن كان قد دمر لأول مرة على يد البابليين ثم بعد ذلك على يد الرومان ثم أعيد بنائه بسواعد المؤمنين على نفس الموقع على شكل مبنى دائرى أقيم فى عمل رائع بديع.

---

[1] هى مريم العذراء ابنة "يحيى"

وفى هذا المكان أيضاً رفعت الصخرة التى لازالت فى المعبد ثم حطمها الملاك الذى ظهر لداوود، وهو نفس الملاك الذى ذبح الآلف من الإسرائيليين بسبب الآثام والخطايا التى ارتكبها العديد من اليهود بأمر داوود. ولنفس السبب، وفى نفس اليوم اعتبر المسلمون أن معبد الرب هو الصخرة "ربطوا بين معبد الرب والصخرة".

وبسبب هذا التبجيل التام لها، فإن أحداً منهم لم يستطيع أن يدنسها بأية قاذورات مثلما يفعلون فى الأماكن المقدسة الأخرى، ولكن منذ عهد سليمان وحتى الآن فإن الناس تأتى من كل فج عميق إلى هذا المكان المبجل، وعندما امتلكوا المدينة المقدسة فإنهم أقاموا تمثال محمد فى المعبد، ويمنعون المسيحيين من دخوله، ويعتقد البعض منهم أن تابوت الرب قد اختفى فى الصخرة، حتى ذلك اليوم، ويرى ملك إسرائيل يوشع "*Josiah*" أن أطلال المدينة قريبة الشبه منها، وأنها وضعت فى منطقة قدس الأقداس داخل المعبد ثم اختفت، غير أننا نقرأ فى الكتاب الثانى للمكابيين أن الأسر البابلى قد انتهى تقريباً، ولقد خرج النبى جرمش "*Jermith*" إلى جبل موسى وصعد عليه، حيث أقام الخيمة "التى اتخذها اليهود هيكل سليمان" والتابوت ومذبح البخور، ووقف عند باب الكهف وقال: "من هذا المكان الذى لا يمكن معرفة الوقت الذى سوف يجمع فيه الله شعبه مرة ثانية ويستقبلهم فى رحمة من عنده، سوف يوضح لهم هذه الأشياء وسوف تظهر عظمة وجلال الرب فى هذا المكان المقدس" وعندما أتمه سليمان "أى بناه" قدم الأضاحى إلى الرب وظهرت النار التى نزلت من السماء واحترقت واستنفذت الأضحيات وملأ الرب البيت، ولم يستطع الكهنة أن يدخلوا البيت "بيت الرب".

وكذلك كل أطفال إسرائيل شاهدوا كيف نزلت النار وأن عظمة الرب قد ظهرت فى البيت، وركع سليمان على ركبتيه، ومد يداه إلى السماء وصلى من أجل الرب حتى أن كل إنسان يمكنه أن يدخل البيت ويطلب ما يشاء وسيجد الرب يصغى إليه، بل ويظهر إليه قائلاً: إننى أسمعك أيها المصلى، وأن الخشوع الذى تستعجله من أجلى،

دفعنى لأن أطهـر هذا البيت من الخطيئة والدنس، وقد استعجلت بناءه، وستكون عيونى مفتوحة وأذنى صاغية إليك أيها المصلى فى بيتى الذى اخترته وطهرته لنفسى. كما أننا نقرأ فى الكتاب الثانى للمكابيين أنه: "عندما أرسل ملك أنطاكية هيرولد حصاناً يمتطيه رجل رهيب المنظر، والحصان مزين بسرج وسيم جداً وأسرع الحصان بطريقة مذهلة، ثم ظهر هيرولد وهو يهاجم الحصان الذى ضربه بحوافر قدميه، وفجأة ظهر أمامهما رجلان شديدى القوة يبدوا عليهما مظاهر الجمال وملابسهما وسيمة وأنزلاه ضربات موجعة ومؤلمة بشكل متصل، كما قيل أن القديسة مريم العذراء كانت هناك قبل أن تخطب ليوسف النجار وأن عدداً من العذارى كانوا فى خدمتها وفى إعداد الأوانى وغسل الأردية الكهنوتية للأساقفة، وكن يقرأن الرسائل المقدسة وكذا الكتب المقدسة فى تذلل وتوضع بهدف الصوم والتهجد والصلاة والحكمة. وفوق ذلك فإن والدى أية عذراء عندما يتم إحضارها إلى المعبد ويقدماها إلى الرب، فإنه كان يتحتم عليها ـ أى الطفلة ـ أن تتخطى جميع الاختبارات أمام الرجال دونما أية تردد أو مشاكل مما كانت تثير دهشة الحاضرين، باعتبارها نابعة من طفلة صغيرة.

كما شرف هذا المكان أيضاً بحضور زكريا المقدس وهو يقدم البخور إلى الرب، عندما ظهر له الملاك وأخبره أن صلاته قد سمعها الرب، ولتجعل كل الكهنة يبتهلون إلى الله وقت البخور، وكذلك من أجل موسى وحرية شعبه. وأضاف أن زوجته عاقر، وأنه سوف يرزق بالذبيح ـ اسماعيل ـ كاين. كما أن هذا المكان شرف بحضور المسيح الذى أظهره أبواه مع حمامة مرفوعة بين يدى سمعان "*Simeon*" وقد تلكم بفضل أرملته المقدسة آنا "*Anna*" إليهم من أجل حريتهم وخلاصهم فى بيت المقدس، وهنا وعندما بلغ من العمر إحدى عشر عاماً كان نموذجاً رائعاً فى قراءة الكتب المقدسة، وكان يجلس بين علماء اللاهوت يسمعهم ويستفسر منهم، وكان

الجميع يستمع إليه وهم فى دهشة لعلمه الواسع وإجاباته العظيمة، وعندما كان يصعد المعبد ليصلى، كان يخرج أولئك الذين اشتروا وباعوا، وأسقطوا الموائد من الحساب، وكانوا يسمعون وهم فى مجلسهم النص الأصلى، عندما يقول: "إن بيتى يسمى أيضاً بيت الصلاة، ويظل الإنسان فى صلاته حتى يسمو إلى برج المعبد حتى يغويه الشيطان فيلقى بنفسه، وسيظل طوال اليوم معلماً فى المعبد حتى إذا ما جاء المساء عاد إلى البقعة المقدسة، ثم يعود عند بزوغ الشمس، وفى حالة موته فإن المعبد يتصدع ويهوى حتى يفتح الطريق أمام قدس الأقداس، بينما كان مزار جيمس الرسول قد هوى بسبب عاصفة شديدة".

هناك أيضاً فى بيت المقدس معبد فسيح وممتد حتى أن رهبان هذا المعبد، أطلق عليهم رهبان المعبد المقاتلين"*Temblars*"ويسمى هذا أيضاً باسم معبد سليمان، وما يميزه عن المعبد السابق، هو أنه يعرف بمعبد الرب، وتقع جبال أولفت "*Olivet*" ـ أى قلعة بيثانى ـ ومرتفعات ثاتنسى ومرتفعات الأنوار الثلاثة والتل المقدس على بعد ميل واحد من بيت المقدس تقريباً. وفى مجراها المنحدر هناك البعض يعرف باسم "*Bthphage*" وقد فسر على أنه فم البيت، ووادى الكهنة ووادى بيثان، ومرثى "*Martha*" ومارى Mary ولوزاريوس "*Lazarius*" التى مسحت أقدام المسيح بالزيت ونظفتها بشعرها. وبينما كانت مرثى مشغولة بخدمة كرسى قدم الرب، كانت متلهفة إلى سماع كلماته التى يتفوه بها. وفى هذا الجبل رفع المسيح لزاريوس. وتصف الوثيقة، أنه غالباً ما كان يتنزل الرب كضيف ليعظ ويقوم بأعمال المعجزات.

كانت هذه فى الغالب، هى الأماكن الأكثر قداسة إلى جانب الجبل المبجل الذى كان يجلس فوقه الرب وهو فى مواجهة المعبد، حيث كان يسأله حواريوه عن العلاقات الإنسانية وعلامات مجيئه كقاضى وكذا عن نهاية العالم.

وفى الغالب كان المسيح وحواريوه يظلون فوق الجبل طوال النهار حتى إذا ما جن عليهم الليل نزلوا إلى الصلاة. ومن هذا الجبل أيضاً، كان المسيح يتلقى تحية أبناء اليهود الذين قابلوه وهو يحمل ثمار النخيل، ومن هنا كان المسيح يتقدم بالشعائر الدينية، ويعلو ظهر حماره وينشد تراتيم الحمد والثناء لله. كما أنه من هذا المكان وفى حضور حوارييه صعد المسيح إلى السماء، إلى أمجاد الرب.

وإلى جانب هذه الأماكن المقدسة، هناك أماكن أخرى مقدسة داخل وخارج المدينة، وعلى سبيل المثال: وادى يهوا ويقع بين جبل صهيون وجبل بيثان، ويمكننا أن نقول أنه يقع خلف كردون قرية صغيرة تسمى جثمان '*Gethsemane*' وتقع بالقرب منها الحديقة التى أمسك اليهود فيها المسيح، وفى هذا الوادى جلست الأم المبجلة مريم العذراء. وهناك اعتقاد بأن المسيح سوف يعود من هذا المكان ليحكم العالم، وفى هذا المكان أيضاً قاد رجل ضرير أناس ضعاف بقطيع من الغنم بعد أن احتجز الملاك مياه الوادى، وهناك كذلك كنيسة القديس سان ستفن '*St.Stephen*' وهو أول شهيد فى تلك البقعة حيث مات من جراء الحجارة التى ألقاها اليهود عليه. يوجد أيضاً وادى إيمونوس '*Emmous*' وهو يقع على بعد ٦٠ ميلاً من بيت المقدس. وبه مدينة '*Modim*' وهى مدينة مكابية وكذلك مدينة جبيون بالقرب من المدينة السابقة، وفى مدينة إيمونوس كسر المسيح "قسم" الخبز، وقدمه شكراً لله، وقد عرفوا بـ"مكسروا الخبز".

هناك أيضاً العديد من الأماكن المقدسة والتى شرفت بنزول المسيح فيها حضوراً جسدياً، وهى المناطق التى وطأها المسيح بقدمه، وهى بذلك تكون مناطق مقدسة ومكرسة لخدمة الرب وتعتبر ذات أثر نفيس.لاعجب إذاً أن تكون هذه هى أرض الميعاد، الأرض التى تفيض لبناً وعسلاً وحلوى، فوق سائر الأماكن المقدسة الأخرى، التى تفوح رائحتها بعبير العطر، فكانت منطقة جذب لرجال الدين الأكليريوس والعلمانيين من الفرسان والمتفقهين فى القانون المدنى، الذين تركوا آباءهم

وأوطانهم وأقاموا هناك. وفقاً لقانون الحكم الإقطاعى. وكانت بعض مدن بيت المقدس قد صارت موطناً للفرسان الاسبتارية وفرسان القديس يوحنا، وأخرى موطناً لجماعة من الفرسان الداوية "فرسان المعبد" بالإضافة إلى اسبتالية القديسة مارى من سان جرمان.

وكانت اسبتارية القديس يوحنا قد بدأت هناك منذ كان الإغريق تحت الهيمنة الإسلامية، فتأثروا كثيراً بعاداتهم وتقاليدهم.

لقد تمكن المسلمون من السيطرة على كل أرض الميعاد بسبب الخطايا والآثام التى ارتكبناها، ومع هذا فإن بعض المسيحيين الوطنيين رفضوا أن يغادروا وطنهم، مما عرض هؤلاء إلى حياة بائسة، حيث اضطهدهم المسلمون وعاملوهم كعبيد، والآن، فقد أصبحت السيادة لأمير مصر على الجهات الممتدة من اللاذقية فى سوريا وحتى الأسكندرية، أكثر المدن المصرية شهرة وبعداً بينما خول الجزء الربع من مدينة بيت المقدس تجاه كنيسة القبر المقدس إلى بطرق السريان، وليقيم السريان هناك مقابل دفع جزية سنوية تقررت عليهم، بينما أقام المسلمون فى الجهة الأخرى.

والآن، وقد اعتاد المسيحيون القادمون من الغرب إلى أرض الميعاد، بعضهم من أجل التجارة، والبعض الآخر من أجل الحج معرضين أنفسهم لمخاطر كبيرة مع دفع جزية سنوية إلى المسلمين. وكان من بينهم الآمالفيين النورمان، من مدينة أمالفيا، التى لا تبعد عن مدينة ساليرنو النبيلة أكثر من سبعة أميال فقط، وكانوا قد حضروا ومعهم بضائع أجنبية، وأقاموا علاقة صداقة مع أمير مصر، ودفعوا الجزية المقررة عليهم، وأصبح لهم أسبقية التعامل مع أمير مصر بعد ما قدموا له الهدايا، فنالوا عطفه وتأييده، وقد استطاع هؤلاء أن يقنعوا أمير مصر أن يسمح لهم ببناء كنيسة لاتينية إجلالاً للقديسة مارى بالقرب من كنيسة القبر المقدس، ونادراً ما كانت تلقى منها الحجارة لأن السريان اتبعوا النظم والقواعد الخاصة بالكنيسة اليونانية التى تهتم بتقديم خدماتها للرب فى كل مكان.

وعلى هذا، فإن هذه الكنيسة حتى اليوم تعرف بكنيسة القديسة مارى اللاتينية. وبناءً للطقوس اللاتينية أمام هؤلاء أيضاً ديراً للرهبان لتتصل أعمالهم بالسماء وكانت الأديرة فى ذلك الزمان لاتحاط بسور نظراً لاعتقادهم آنذاك أن الأديرة لا تحوى نساءًا من الحجاج. وإلى جانب هذا الدير أسس هؤلاء ديراً آخر للقديسة مارى ماجدولين وأختها المتدينة، التى وهبت نفسها لخدمة النساء من الحجاج اللاتين، حيث كانت تقوم باستضافتهم وتسهر على راحتهم.

وعلى هذا، فإنه فيما بعد لتجهت حشود غفيرة من الحجاج الفقراء والمرضى المجذومين، وقام على خدمتهم رهبان الأديرة السالفة الذكر، حيث أن الهدف من هذين الديرين هو خدمة المرضى والفقراء من الناس كما خصصت كنيسة "مصلى" صغيرة للقديس يوحنا بهدف التصدق والإحسان على الفقراء.

هذا القديس الذى أحبه الله وأثنى عليه، كان موطنه الأصلى قبرص، وهو الذى قام بتعيين بطرق الأسكندرية، ومنذ ذلك الوقت، اشتهر القديس يوحنا بعمل الإحسان والتصدق، حتى أنه أطلق عليه لقب "*Charitable*" أى المتصدق أو المحسن. والآن، فإنه منذ الوهلة الأولى، يمكن القول، أن النزلاء السالفى الذكر، أو بمعنى آخر مرضى القديس يوحنا لم يكن لديهم دخل "ريع" أو أى ممتلكات أخرى، وقد اعتاد رئيس دير القديسة مارى صاحب المقام الرفيع، أن يزود المرضى والمحتاجين بفضلات وبقايا الموائد وذلك فى الديرين "دير القديس يوحنا، ودير القديسة مارى" وهذا بالإضافة إلى ما يتصدق به المخلصون.

وبفضل الله ورحمة منه، وبفضل جهد الدوق جود فرى مع بعض المسيحيين المخلصين، تم تحرير المدينة المقدسة وتخليصها من أيدى المسلمين، وأعادوها إلى أصحاب الديانة المسيحية. وكذلك جيرارد صاحب الذكرى العطرة والمتصدق المخلص، ظل مدة طويلة رئيس الكهنة، وداعياً إلى تكريس حياتهم لخدمة الفقراء من الاسبتارية السالف ذكرهم، وحرص هؤلاء على أن يحملوا نذرهم الخاصة بنظم أديرتهم وحاكوا الصليب على ملابسهم فوق صدورهم معلنين طاعة كل الأوامر وعدم مخالفة النظم. وكانت إمرأة تدعى أجنايس، رومانية الأصل قد التحقت بدير القديسة مارى.

إن هؤلاء السالف ذكرهم قد نذروا أنفسهم لخدمة الفقراء والمرضى والمحتاجين، وقاموا بدفن الموتى منهم فى حقل يعرف بحقل الدماء "*Aceldama*" وهو حقل الفخار الذى اشتراه اليهود لدفن الغرباء مقابل ثلاثين قطعة فضة ... وكان هذا قد بناه يهوذا[1] جنوب المعبد، وطالما كان هؤلاء فقراء، فوجب عليهم الطاعة واحترام رئيس الدير "دير القديسة مارى" الذى كان قد أسسه جماعة الاسبتارية، وظل مدة طويلة يقوم بإطعامهم من موائده، لقد اتسم هؤلاء بالتقوى والورع واحترام للقديس يوحنا المتصدق، أول نصير لهم، والقائم على مساعدتهم وحمايتهم، وكان هؤلاء أيضاً يتخذون من القديس يوحنا وسيطاً وسيداً فأطاعوا سيد بطرياركية بيت المقدس، ودون شك، كان هؤلاء يقومون بدفع ضريبة العشر للكنيسة من بضائعهم ودخلهم، طبقاً لقواعد وقوانين الكنيسة والعهدين القديم والجديد أيضاً.

أما فى الوقت الحالى، فإنهم يميتوا شهواتهم بالصوم والسهر والإفراط فى أعمال البر والإحسان، يعيشون حياة بسيطة، ويقسون على أنفسهم. وإن كان هناك نوع منهم يمد يد العون للفقراء والمرضى الذين اعتادوا فى حياتهم على هذا التصدق، فعرفوا باسم الخدام. لقد اعتادوا على أن ينفقوا ببذخ الخبز من القمح للمرضى، بينما يحتفظون لأنفسهم بالنذر القليل خاصة النخالة. ولو أن أحداً منهم اقترف نقيصة أو عيباً فإنهم لم يعدموا الوسائل للتخلى عنه، ومعاقبته وذلك بتوجيه النصائح وحثه على ضرورة التخلى وترك وإهمال الخطايا والآثام،

---

[1] المقصود بيهوذا هنا، هو يهوذا الأسخربوطى الذى كان قد خان المسيح

وبناءً على ذلك، فإن الذى يرتكب ذنب أو إثم، عليهم أن يقوموا بتمزيق ملابسه وطرده خارج الدير تماماً باعتباره عضواً فاسداً، بينما آخر يوثق بسلاسل ويلقى به فى السجن ويعاقب ثالث بحرمانه فى وجبات الطعام من الكثير من جهة ويتناول طعامه وهو يفترش الأرض بل يتناول طعامه من فوق الأقدام وذلك للتكفير عن سيئاته. وهذا التصرف كان طبيعياً لأنه من وجهة نظرهم يرضى الرب.

وعلى هذا، فإن فى مثل هذه الحالات كانت تحتم على المذنب مغادرة الدير إلى أى جهة أخرى من العالم، وبذلك تكون قدسيتهم وما اكتسبوه من تبجيل يكون قد انتهى.

وفى ذلك الوقت، وبعد استرداد بيت المقدس وخلاص شعب المسيح، فى كل مكان ومن الشعوب المختلفة، نجد أن حشوداً قد تجمعت واتجهت إلى بيت المقدس بهدف زيارة قبر الرب المقدس، وقد استطاعت هذه الحشود أن يصيروا من الأثرياء بسبب ما جمعوه من صدقات المحسنين وهدايا الأمراء والمخلصين، حتى أنهم استطاعوا أن يجمعوا من الضرائب الكثير من كل مكان فى دول الغرب، وأصبحوا ملاكاً للمدن والقرى لدرجة أن هؤلاء قد استبدوا بأصحاب البلاد الأصليين، الذين اعتبروا أنفسهم سادة الأرض.

وبعد فترة قصيرة، صار العالم خليط بين غنى وفقير، وأقوياء من مختلف العمر، ما بين متوسطى العمر وكبار السن والأطفال قد توجهوا إلى بيت المقدس لزيارة الأرض المقدسة.

غير أن هؤلاء قد تعرضوا للصوص وقُطاع الطرق، الذين اعتادوا الاختباء فى كمائن دون اكتراث بالحجاج وسلبوا ونهبوا بعضهم. ومن هنا يأتى دور وأهمية الفرسان الأتقياء الذين أحبهم الرب بسبب حماستهم الشديدة حيث أعلنوا للعالم، أن خدام وعبيد المسيح، قدموا أنفسهم بالنذر الرهبانية المقدسة وألزموا أنفسهم أن يحموا ويدافعوا عن الحجاج من اللصوص من حيث حراسة الطرقات العامة، والمحافظة على النُظم للرهبانية الممثلة فى الفقر والطهارة والطاعة، باعتبارهم جنود ملك الملوك. كان رؤساء الأديرة تسعة أفراد اتسموا بالاحترام، حتى أحبهم الله، من أمثال هؤلاء، هوف دى بينز وجوفرى دى امير، حيث تعهدوا بحماية هذا المشروع المقدس، وخدموا مدة ٩ سنوات، وكانت أرديتهم وعاداتهم علمانية غير أن إيمانهم أضفى عليهم الاحترام والتبجيل، ولكن الملك وفرسانه أشفقوا على النبلاء السابقين الذين تخلوا كلية عن خدمة الرب، واجتمعوا مع سيد البطرياركية الذى أيدهم فى أساليبهم الخاصة. ومنحهم الهبات والهدايا وأمّنهم على أرواحهم. ومنذ ذلك الحين لم تعد لأى كنيسة حق فى ممتلكاتهم أى بقاء ثابت.

إن الملك الصليبى كان قد سمح لهؤلاء بالمأوى فى جانب من قصره، فترة من الزمن، وكان قصر الملك يقع بالقرب من معبد الرب. وكان رئيس الدير والرهبان الخاصة بمعبد الرب قد منحوا هؤلاء وقت كاف بالقرب من القصر الملكى كيما يقومون بمهامهم، وكانت إقامتهم على هذا النحو بالقرب من معبد الرب، قد منحهم اسم الأخوان *"Brethren"* فرسان المعبد.

وهكذا فإنه بعد مرور تسع سنوات عليهم، كانوا قد عاشوا حياة الرهبان الفقيرة من أجل النذر المقدس. وكانوا متآلفين فى حياتهم الجماعية داخل الدير. وفى عام ١١٢٨م صدر أمر بالعفو العام من سيدنا البابا هونوريوس والسيد استيفن

بطرق بيت المقدس. ويتمثل فى إصدار قانون، بمنح فرسان المعبد ملابس خاصة بيضاء دون أن يكون عليها صليب. وقد تم الإعتراف بهذا القانون فى مجمع عام عُقد فى مدينة تروى بإقليم شامبانى بفرنسا تحت رئاسة السيد أسقف إلبا، وممثل الكرسى المقدس، وبحضور رؤساء أساقفة ريمس "*Rheims*" والسين ورئيس جماعة السسترشان وأساقفة كنائس أخرى.

وبعد ذلك وفى عهد البابا يوجنيوس الثالث (١١٤٥ـ١١٥٢م) قام هؤلاء بحياكة صلبان حمراء على أرديتهم من الخارج. بينما كانوا يرتدون ملابسهم البيضاء التى تشير إلى الطهارة، فإن ملابسهم ذات الصلبان الحمراء كانت ترمز وتشير إلى الاستشهاد، وكان ذلك بناءً على القانون الذى فيه يضحون بدمائهم من أجل الدفاع عن الأرض المقدسة، وتدمير أعداء صليب المسيح، وطردهم خارج حدود المملكة الصليبية "المسيحية". وكانوا يدخلون المعركة تنفيذاً لأوامر قاداتهم، ليس بدافع التعطش إلى سفك للدماء، ولكن بحكمة وحذر شديدين، بادلين المعركة بالهجوم وفى النهاية بالتراجع والانسحاب. وأن تراجعهم وانسحابهم لا يعنى الهروب من المعركة دون تنفيذ أوامر قوادهم، ولكن انسحابهم كان يهدف إلى التراجع المصحوب بالحكمة والشجاعة كجنود المسيح.

أما العدو الثانى "المكابيين" فإنهم لم يتجرءوا رغم قوتهم العددية على مهاجمتنا، لأن قواتنا كانت تستمد قوتها من الرب، وثقتهم فى صليب يسوع المسيح. وكانوا يعرضون ويقدمون أنفسهم فداءً من أجل المسيح، لأن الرب قاتل معهم وقاتل من أجلهم أيضاً. وهكذا فإنهم أصبحوا مصدر إزعاج كبير لأعداء عقيدة المسيح، حتى أن الواحد من قواتنا كان فى إمكانه مطاردة ألفاً أو ألفين "من الأعداء" والألفين يطاردون عشرة آلاف منهم أيضاً. وعندما يَستعدون ويُستدعون للمعركة، لا يسألون عن كم عدد الأعداء ولا يسألون عن مكانهم،

كانوا كالأسود فى المعركة، وكانوا مسيحيين بكل ما فى الكلمة من معنى، كما المصباح فى البيت، كانوا فى المعركة جنوداً مفترسة، وفى الكنيسة زهاداً ورهباناً، كانوا أشد قسوة ووحشية على أعداء المسيح بينما كانوا عطوفين كرماء تجاه المسيحيين، كانوا يحملون رايات سوداء وبيضاء، أطلقوا عليها اسم *Bauccaut* وهو اسم كان موجوداً قبلهم، وهو يدل على نقائهم وودهم تجاه أصدقائهم، بينما العكس، كانوا مقلقين ومخيفين لأعدائهم. وهكذا، فإن الحماسة الدينية لن تستمر دونما انضباط كامل. وما ذكرناه من أعمال الحكمة وذكر للرجال الأتقياء الذين صانوا أنفسهم، وتركوا حكومات ذات إدارة جيدة، والأسلاف الذين كانوا يفصلون بين الإهمال وترك العقاب لإخوانهم المقصرين كانوا حريصين دائماً على تعديل القوانين لمواجهة الجرائم البشعة والحالات الشريرة، مثل أولئك الذين تخلوا عن حمل صلبانهم الحمراء، فكانوا يطردون إلى الأبد، خشية أن يلوث "يؤثر" هؤلاء الأناس الخلعاء الحقراء على بقية الجماعة، بينما عقوبة أخرى تتمثل فى حرمان البعض من تناول وجبات كاملة وفوق الأرض دون وجود مائدة، حتى يدركوا أنهم قد كفروا بذلك عن سيئاتهم. وبهذا الطرد العام والحرمان يجعل أجسادهم تتحول إلى الزرقة فتشحب لأجسادهم، مما يجعل البقية منهم يعيشون فى خوف ووجل، وتشديداً فى العقوبة فإنهم كانوا يساقوا إلى الكلاب لتأكل معهم، وبعضهم كان يُكبل بالحديد ويُزج به فى السجن لفترة معينة أو ربما طوال حياتهم.

وعلى هذا فإن هؤلاء، الذين تنزل بهم مثل هذه العقوبات، كانوا يتعرضون لبعض الأمراض، والتى تتيح لهم إطلاق سراحهم من السجن. وكانت هناك وسائل أخرى للعقاب، تتمثل فى إجبار المذنب على أن يجتاز الطرق التى يجتازها الراهب من أجل تهذيب لسانه وتدريبه على المحادثة والكلام. لقد فُرض

عليهم طاعة وتبجيل السيد بُطرق بيت المقدس، حيث يدينون له بتأسيسه جماعاتهم. وأما ما يتعلق ببعض الأمور الدنيوية مثل دفع ضريبة العُشر لهم، فهم كانوا يتبعون القاعدة التى تقول "دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله". وكان هذا القانون أو تلك القاعدة قد تقبلها الجميع عن قناعة تامة. وهكذا فإن شهرتهم العظيمة وسمعتهم الطيبة ذاعت فى كل أنحاء العالم مثل رائحة البخور التى تنبعث من القدور ، ورائحة ومذاق الحلوى مما جعل عبيرهم العطرى ملأ كل ركن من أركان الكنيسة المقدسة، وذكراهم الحلوة كانت كالعسل فى أفواه كل المخلصين، وهكذا فإن شجاعتهم، ومعاركهم وانتصاراتهم العظيمة على سائر أعداء المسيح قد اطلعت عليها كل الكنائس المقدسة. فقد ضرب الفرسان من الفقراء والنبلاء والدوقات معاً أروع الأمثلة فى كسر قيودهم الدنيوية، ومن أجل خدمة المسيح فاحتشدوا فى جماعات معلنين عن رغبتهم فى الدخول إلى جماعاتهم الرهبانية، وقد أعلنوا عن تنازلهم عن خيلائهم وغرورهم وزهو الدنيا والاهتمام بالجسد من أجل الخضوع إلى الله، فهو بذلك إلهام من السماء التى تلتقى بالتقوى والهداية من أجل المسيح وخدمة الرهبان المتواضعين.

وعلى هذا، فإن عدد هؤلاء قد ازداد بشكل ملحوظ فى خلال فترة وجيزة، حتى صار عددهم أكثر من ثلاثمائة فارس يرتدون جميعاً أردية بيضاء، وهذا بخلاف الفرسان الذين تقف خدماتهم عند إعداد الطعام إذ كان عدد هؤلاء لاحصر لهم.

لقد زاد عدد هؤلاء إلى الحد الذى فاق الخيال، وامتلكوا مساحات شاسعة فى كل ناحية، وراء البحر "بحر الجليل" فقد صار فى حوزتهم القرى والمدن الكبيرة والصغيرة، بعد أن اتخذوا طريق الإخوان لاسبتالية القديس يوحنا،

وهم الذين جاءوا فى شكل جماعات بهدف الدفاع عن الأرض المقدسة، وكذا الدفاع عن سيدهم المهيب، صاحب الكرسى الرئيسى فى بيت المقدس. كما أنهم كانوا أمناء على خزانة أديرة جماعة القديس يوحنا الاسبتالية، حيث كانوا يعرفون باسم "المعلمين" "*Preceptors*" وكان هؤلاء كبيرى الشبه بإخوانهم الفرسان الداوية "فرسان المعبد" من حيث استخدام القوة "أى أن القوة البدنية كانت شرط دخولهم الدير" وقد علق *Isaiah* على ذلك بقوله : "سوف نجعل هذا الدير فى سعادة أبدية، سعادة أجيال متعاقبة - إن الذئب *walf* والحمل *lamb* سوف يجتمعان معاً على مائدة واحدة، وأن الأسد سوف يأكل القش، مثل الثور الصغير، وأن الذئب سوف يسكن مع الحمل، والنمر سوف يرقد مع الماعز، إن البط والأسد والأغنام سوف يعيشون جنباً إلى جنب "بعضهم مع بعض".

وبهذا الثالوث، الذى لم يسهل كسره بفضل الله، فإن الإنسان سيكون فى حاجة إلى زيارة الأرض المقدسة، ليعلم أن هناك اثنان آخران، إن رهبان هذه الأديرة ينفذون بدقة قواعد ونظم الفرسان الداوية فى الحرب والسلام، وكذا إخوان القديس يوحنا من الاسبتالية، ومع هذا فإنهم يخدمون المرضى والغرباء وأى إنسان آخر يعيش داخل حدود منطقتهم، والتى تعرف باسبتالية القديسة مارى من التيتون فى بيت المقدس، حيث يقومون بتقديم خدمات جليلة فى طاعة وتواضع كاملين، كما أنهم إلى جانب ذلك، كانوا يقومون بدفع كافة الضرائب "ضريبة العشر" على كل ممتلكاتهم والتى يطالبهم بها القانون بناءً على أوامر الرب المقدسة. وكانوا حريصين على عدم الوقوع فى الخطأ، خاصة ضد أساقفة الكنائس.

لقد بدأت هذه الجماعات بداية ضعيفة، ثم أخذت تنمو وتزداد حتى تحولت إلى نهر عظيم. إن أتباع وأنصار القديسة مارى قاموا بخدمات جليلة فى طاعة وتواضع حتى حققوا نجاحات كبيرة فى الأمور الدينية والروحية والأمور الدنيوية أيضاً. وبعد استعادة الأماكن المقدسة، اكتظت المدينة المقدسة بالسكان المسيحيين والعديد من التيتون والألمان، الذين اتجهوا إلى بيت المقدس كحجاج ولم يستطيعوا الحديث بلغة أهل المدينة، وقد كانت هذه الأديرة، رحمة للتيتون والمسافرين والفقراء، كما أن دير القديسة مارى كان نزلاً للفقراء والمرضى، كما أقيم بجوار الدير كنيسة للمصلين وبالقرب من الاسبتالية السالف ذكرهم، وخصصت هذه الكنيسة لوالدة الرب - مريم المبجلة - ثم بعد فترة من الزمن تحولت هذه الكنيسة بما لها من ممتلكات وقفاً للفقراء والمحتاجين. وكان صاحب هذا الدير من الورع بحيث دفع الكثير من المتصدقين من الألمان إلى نذر ممتلكاتهم وحتى أرديتهم إلى الدير من أجل خدمة الرب، وفضلوا أن يعيشوا ويحيوا حياة الفقر على أن يعيشوا فى خيام أو قصور ملينة بأعمال الجرائم والآثام والشرور، حيث إن فقرهم على هذا النحو سيجعلهم مقبولين لدى الرب، فازدادوا إحساناً على إحسانهم من أجل خدمة الرب وجنوده حتى يرتقوا بأجسادهم إلى مرتبة روحانية وذلك بالدفاع عن الأرض المقدسة ضد أعداء المسيح.

وعلى هذا فقد اختاروا دستور وقواعد الفرسان الداوية، كيما يتمكنوا من أداء واجبهم فى تأدية الطاعة وحسن الضيافة التى ترضى الرب، مثل أشخاص "الأسفار المقدسة"، والتى هى فى نفس الوقت حب الإنسان والحيوان. إنهم يبذلون قصارى جهدهم ويوهبون أنفسهم فى جميع أوجه البر والإحسان التى

ترضى الرب والإنسان معاً. تمييزاً لهم فقد كانوا يرتدون ملابس رسم عليها صلبان سوداء، خيطت على عباءاتهم البيضاء، وعلى هذا فقد كانت سماتهم هى الفقر الشديد والحماسة الدينية. إننى أصلى من أجل أن ينقذكم الرب من الثراء الذى يجعل الإنسان مغروراً ونزّاع إلى الخصام فى سلوك حيوانى، ما الذى ينفع الإنسان لو أنه كسب كل الدنيا وخسر الآخرة "روحه ونفسه"؟

وعلاوة على ذلك، فإن الأرض المقدسة قد ازدانت كالحديقة المزدهرة بما فيها من رهبان وأناس متدينيين ووقورين ومتواضعين كرسوا حياتهم لخدمة الرب والأرامل. وهكذا فإن رائحة بيت المقدس كانت تفوح كالزنابق البيضاء فى الورود والبنفسج. بالإضافة إلى ذلك، فإن السيد صاحب التاج المبارك هذا العام قام بإصلاح العديد من الأعمال، مثل تحويله أعمال العنف ومناطق الأفاعى إلى ساحة خضراء تزدهر بقصب السكر. ذلك أن الرب كان قد هجر المكان لفترة زمنية ثم عاد وجمع أطفاله بحب عظيم وود حتى امتلأ واكتظ المكان بالناس من كل جنس ومن كل مكان، ومن هنا يمكن القول أن النبوءة قد تحققت وتمت. أيها الأبناء سوف تقدمون من أماكن بعيدة، وأيتها الفتيات سوف تحتضنكم جانبكم، لقد شاهدتم الأرض وهى ممتلئة حيث سعدت وفرح قلبها بما تجمعت واحتشدت إليها جموع كبيرة من البحر، خاصة الجنويون والبنادقة والبيازنة.

لقد قَدِمَتْ أمَمٌ غربية خاصة من المحاربين الفرنسيين والألمان، وكانت القوة الفرنسية هى أكبر قوة بحرية بينما كان الألمان أكبر قوة برية، وبذلك فإن الفرنسيين كانوا أكثر قدرة وقوة فى مهام القتال البحرى بما تمرسوا عليه، بينما كانت القوات الألمانية أكبر قوة برية بما لها من مهارة فى فنون الحرب والقتال. خاصة أعمال الفروسية.

وعلى هذا يمكن القول أن قوة الفرنسيين تتمثل في سفنهم، بينما قوة الألمان تتمثل في خيولهم. أما القوات الإيطالية فقد كانوا أكثر تدبراً وتعقلاً غير مسرفين في الطعام والشراب، كانوا أكثر حرصاً على بلادهم وأيضاً كانوا أكثر طمعاً وجشعاً، وكانت نظرتهم نظرة مستقبلية يرفضون الخدمة تحت أية قيادة أجنبية، يدافعون عن حريتهم، فهي أغلى من أى شىء. إن مايخضعون له من قوانين وقواعد كانت تصدر من رئيس يختارونه بأنفسهم. وعادة ما تكون هذه القوانين والقواعد صارمة بهدف الحفاظ عليهم. إنهم كانوا يتطلعون بنهم شديد إلى الأرض المقدسة لا بهدف القتال بل من أجل وهدف اشتغالهم بالتجارة. أو بمعنى آخر كان عليهم عبء نقل البضاعة والحجاج والمؤن ــ وهذا هو دورهم في الحروب الصليبية ـ وعلى الرغم من هذا إلا أنهم عاشوا في الشرق أكثر من أى أمم أخرى.

وعلى العكس من ذلك، كان الألمان والفرنسين والبريتون والإنجليز وشعوب أخرى من وراء الألب، كانوا أكثر تهوراً وأقل حذراً وحيطة، وأكثر إسرافاً في الطعام والشراب، والإنفاق، بينما لم يكونوا على حذر في كلامهم، بل أكثر تهوراً وأقل تدبراً في خططهم. إنهم كانوا أكثر تصدقاً في أعمال النذر والبر والإحسان بما يتعلق في حياتهم داخل الكنيسة. وكان للبريتون بصفة خاصة أكثر هذه الشعوب شجاعة في القتال، من أجل الأرض المقدسة وكانوا مصدر رعب للمسلمين، كما كان يطلق عليهم لقب بولانى بسبب إشباع رغباتهم وشهواتهم.

وكلمة بولانى، هو الاسم الذى أطلق على أولئك الذين ولدوا في الأرض المقدسة بعد إطلاق سراحهم، إما لأنهم كانوا وافدين جدد وحدثت زيجات بينهم وبين السريان في الشرق، أو لأن معظم أمهاتهم كن من وطن أبوليا *'Apulian'*

منذ وصول شعبنا إلى الأرض المقدسة. وإن كانت الأقلية من نسائهم قد ارتبطت برجال من جيش الأمـراء الغربيين الذين ظلوا فـى الأرض المقدسة بناءً على رغبة كافة النساء اللواتـى قدمن من مملكـة أبوليا، إذ كانت أقرب منطقة من الشرق من أى مكان آخر فتزوجوا منهم.

علاوة على ذلك، فإنه كما سبق ذكره، أن الأرض المقدسة كـانت تحوى مزيجاً من شعوب وأجنـاس مختلفة ذات العادات والتقاليد المتباينة بين شعب وآخر، وما يقومون به من تقديم خدمات للرب، على اختلاف مذاهبهم وشعائرهم، ومن هؤلاء السريان والإغريق واليعاقبة والمـارونيين والنسـاطرة والأرمن والجورجيين، وغيرهم، وكـان هؤلاء يمارسون أعمالهم فـى مجال الزراعة والتجارة وفنون أخرى، تكون فى النهاية ذات نفـع كبير على الأرض المقدسة. وكان هؤلاء يقومون بالعمل فى مجال الزراعة فى المنطقة الساحلية المشهورة بالفواكه المختلفة.

وهكذا فإن الأرض المقدسة قد أفادت كثيراً من هذه الحشود البشرية من جهة وما أنعمت به السماء على الأرض المقدسة من وفرة الأمطار بسـبب دعوة المسيح، من جهة ثانية؛ فعاش هؤلاء ينعمون بما تدره عليهم الأرض من نعم، خاصة الفاكهة والغلال. لقد قام أحد الأنبياء بدعوة هؤلاء، وسمعوه يقول: احضروا ودعونا نصعد إلـى جبل وبيت الرب يعقوب، فقد بوركت الأرض لأن زيارة الرب لها جعلها غنية جداً. لقد حضر هؤلاء إلى الأرض المقدسة من قريب ومن بعيد من شتى بقاع العالم من أجل تقديم البخور المقدس إلـى الأرض المقدسـة، فلنقدم الشكر والثناء للرب، ولنمجد قبره لأن الوحى الإلهى به وقد بلغ منتهاه.

إن بيت الرب سوف يقام فوق قمة الجبل، وسوف يرتفع فوق التلال، وسوف يتوافد إليه الشعوب من كل مكان وأن العديد من الناس قد آمنت كما جاء فى التوراة *Tobit* بأن بيت المقدس سوف تتألق وتمجد من الآن فصاعداً، وأنها سوف تمثل نهاية العالم، سوف يأتى إليها الشعوب من كل مكان ويهبون إليها الهدايا ويقدمون الشكر والثناء.

عندئذ يمكن رؤية الفارق بين حالك على عهد اليهود وحالك اليوم فى العهد المسيحى، وما أكمله المسيح من أعمال النبوة.

إن ما قرأناه فى "الديوترنمى" "*Deuteronomy*" "أى سفر تثنية التشريع من أسفار التوراة" سوف يطأ أرضك الأقدام فى كل مكان من البرارى ولبنان من النهر ونهر الفرات حتى أعالى البحر الذى سوف يمثل ساحلك. والآن وعندما يتنفس حقل الرب عبير الحلوى حتى آخر الدنيا فإن الأفاعى السامة المميتة عدوة الإنسان ستكون غير قادرة على أن تتحمل استنشاق العبير مدة طويلة، وعندما تشاهد هذا التغيير العظيم الذى أوجدته اليد اليمنى الأكثر بعداً عن الشرق، لقد أحزن ذلك المكان الكنيسة المقدسة التى سوف تتسع وترتفع وتمتد فى السماء ويُكره الكفرة على إفساد دينهم ويعلو شأن المسيحية.

إن هذه العلامات والمعجزات سوف تتجدد فى المشرق حتى عندما تتدلى النار من السماء إلى كنيسة القيامة، والتى سوف يلتقى فيها الناس كى توضح عظمة الرب ويسبحوا من أجل أعماله المجيدة. وسوف يبغض الكفرة، وسوف يسعد الرب، بالمخلصين وسوف تضاء الأنوار من أجل الضرير "الأعمى" وسوف تلقى بالأعمال والأحقاد بعيداً وأن أصحاب الشرور سوف تسكب عليهم السموم القاتلة، فيقتلون، وبينما ينام الناس تنهمر الدموع فى حقل الرب.

ومن الملفت للنظر، أن أحداً من الحجاج الأوائل الذين عاشوا فقراء لازال موجوداً، حتى صار البيت فارغاً متقهقراً، امتلأ بالعديد من العاطلين، وأولئك الذين لا يخشون الرب، الذين كانوا قد غمرتهم البضائع الدنيوية. وقد اتسم هؤلاء الرجال بالجحود والتفسخ، وفى النهاية أخطأوا أكثر من البداية. لقد فسُدت أخلاقهم وزادت حماقاتهم، ونموا نمواً مفاجئاً بشكل ملفت للنظر، ثم ما لبثوا أن تحولوا من الثراء إلى الفقر والبؤس الشديدين.

وفى الوقت الذى زاد فيه عددهم، مالوا إلى ارتكاب الجرائم، حتى صارت بيوتات المومسات مكتظة بأولئك الذين كانوا فى حالة نجس دائم بسبب ندرة المياه التى كانوا يفرغونها من إناء إلى إناء آخر بعد الانتهاء من ممارسة شهواتهم الجنسية، فكانوا بذلك أشبه بالحيوانات، كما هو الحال عند الخيول التى تشبع رغباتها، وكان كل واحد منهم يضاجع زوجة الآخر، وكانوا ينغمسون فى الشهوات حتى أنهم كانوا لا يرون الشمس وهى تشرق، لقد مالوا إلى الدنيا بغرورهم ومغالاتهم فى الإزدراء، وظلوا هكذا حتى قاتل كل منهم الآخر، ووقعت الخلافات والخصومات وانتشرت الفتنة وزادت حالة العصيان والتمرد، حتى غاصوا فى الكسل والخمول، وكانوا أصحاب نهم بشع مفرطين فى تناول الخمور، ففسدت أخلاقهم بكل هذه الرذائل وانتشار الدنس وأعمال اللصوصية وسفك الدماء وزادت الحماقة والسذاجة وصاروا مشهورين بالخيانة وعدم الطاعة للوالدين أو القادة والتى لم تكن موجودة من قبل أى عقيدة، حتى أن الأيمانات الكاذبة والقتل والسرقة واقتراف الجريمة، خاصة جريمة الزنا قد شاعت بينهم.

وهكذا فإن هؤلاء الأشرار الذين دنسوا هذه الأماكن المقدسة، قد تحولوا إلى شياطين حيث انتشرت أعمالهم الشريرة فوق الأرض ، لقد بدأت كل الأعمال الطيبة والإيمان الحقيقى فى ظل هذا المناخ فى طريقه إلى الزوال كما أن حماستهم الدينية هى الأخرى بدأت تتحول إلى فتور وتراخى وكسل، حتى أنه كان يخشى من أن الأجيال القادمة إذا ما شاهدت هذا، فإنها لم يعد لديها إيمان بوجود عقيدة على سطح الأرض. ومن الصعب على أى إنسان أن يجد ما يتطلع إليه بسبب ما تعرضت له بيت المقدس من خلاف وخلط بين ما هو مدنس أو مذنب وبين ما هو تقى.

إن كل هذا سوف يتحول إلى أطلال وفوضى من أخمص القدم حتى منبت الشعر "الرأس".

وبينما كان الجميع يدفع الجزية فى شكل صدقات على أيام الرب يسوع المسيح، توزع على مختلف أساقفة الكنائس ومجالس الرهبان، يقوم رعاة الكنيسة بإطعام أنفسهم حيث كانوا يعيشون على أصواف الأغنام وألبانها واهتموا بأجسادهم ولم يلتفتوا إلى أرواحهم، فكان ذلك أكبر مثل على الخيانة العظمى بسبب تدنياتهم. لقد صاروا كالثيران فى أجسادهم التى ترعى على جبال السامرة، لقد إزدادوا ثراء على حساب فقر المسيح، فخورين بتواضعه مزهوين بخجله، لقد ازدادوا سمنة وثراء بسبب ميراث صلب المسيح. وحتى عندما قال المسيح لبطرس، أطعم غنمى، أو اعتنى بمكاسبهم، وعلى الرغم من أوامر السيد المسيح، إلا أنهم أصبحوا عمياناً يقودوا عميان، كالكلاب التى لا تستطيع أن تنبح. لقد اتجهوا إلى بيت الرب بخيلاء، ومعهم مفتاح المعرفة، ورغم هذا لم يستطيعوا أن يدخلوا أنفسهم أو يقدموا الآخرين للدخول.

كانوا أكثر إيلاماً بما أصابهم من مرض الجذام بينما كانوا يفخرون بمناصبهم للكنيسة في كل مكان، المناصب التى بيعت بأسعار بخسة، تلك المناصب التى اسقطها الرب مثل مكاتب الصيارفة. هذه المناصب التي كان يتمتع بها اليهود، فقد كانوا يحبون الرشاوى ويسعون إلى زيادة الدخل. انغمسوا في حياة الترف والنعيم ومن جهة أخرى مالوا إلى الضعف والتراخي والكسل المخذى. فلم يعتادوا على كسرات الخبز التى تتساقط من موائد الرب، غير أنهم كانوا يطعمون أبناءهم من جميع أنواع الطعام .. أبناؤهم الذين انجبوهم من المحظيات العاهرات اللواتى كن أكثر خزياً وفساداً من أزواجهن.

لقد لوث المجلس الأكليركى ما جمعه من ثروة وممتلكات كبيرة جداً، إذ لم يعد مناصبهم موضع اهتمام وتقطعت الصلات فيما بينهم ونبذوا الصلاة، لقد أساءوا إلى الكنيسة ورجالها بسبب تحدياتهم بعضهم البعض، وكذلك الإقلال من شأن بعضهم البعض أيضاً بما غرسوه في نفوس المسيحيين من خذي وعار، وقد بالغوا في إهانات بعضهم للبعض بما أحدثوه من كراهية وأحقاد بلغت حد الشجار فيما بينهم، وغالباً ما كان الشجار يصل حد تعدى بعضهم على بعض بالضرب ولطم كل منهم الآخر. وقد كان الشقاق كبيراً عندما أقاموا برجهم في بابل واختلفت ألسنتهم، وزاد الشقاق بسبب ما كان يصل إلى كل طرف عن طريق السمع.

وعلى الرغم من كل هذا، إلا أنه كان بينهم أناس عرفوا بالإيمان والتقوى ومخافة الرب، وغالباً ما كانوا يبادرون لتضييق الخلاف فيما بينهم أو بمعنى أدق تجنب الخلاف والخصومات فيما بينهم، وكان أصحاب هذا الدور - الوسيط - يتمتعون بالحكمة في اتخاذ القرارات ويحتلون مناصب بارزة ومقدسة، وكانوا أشبه بحبة القمحة في التبن، والزنبق في أشجار الشوك، وكان لهم تأثير

قوى على كل قلب حزين، غير أن هؤلاء الأشرار كانوا لايستجيبون للنصيحة بسبب انغماسهم الكبير فى أعمال الشرور وارتكاب الذنوب.

وهكذا، فإن أعمال الشر وارتكاب الآثام والفراغ الكبير قد أحاط بهؤلاء، حتى أنهم كانوا لا يأبهون بالحصول على قدس الأقداس. وكانوا يعرفون بالمقطعين "أى المحروم كنسياً" "*Onthematizeat*" وكان هؤلاء من اللامبالين، فكانوا يضحكون معاً أو يبكون معاً، وأكثر من هذا أنهم كانوا يضحكون عندما يبكى الآخرون.

وهكذا، فإن الكنيسة أصدرت قانون القصاص الكنسى "قانون العقوبات" يعمل على القصاص من هؤلاء الأشرار أو على الأقل الحرص على وضع حد لهؤلاء من الرجال العلمانيين. وكان حكم القانون يصدر من قبل الأساقفة حتى لو كانت هذه العدالة الروحية تقع على حساب البدن.

إن رؤساء الأديرة من الرجال والنساء وخُدامهم من الرهبان والقساوسة المحقَّرين ألقوا جانباً مخافة الرب. ولا يخشون أن يوجهوا مناجلهم ضد حاصدى القمح من الرجال. خاصة أولئك الذين يرتبطون بعضهم ببعض فى علاقات غير شرعية مثل الزواج الغير مقدس. كانوا يقومون بزيارة المرضى عن غير هوى، وبعيداً عن قانون الطاعة وكانت إدارة المقدسات وإسنادها إليهم ضد رغبات القساوسة، والبُعد عن العلاقة الروحية التى لم تكن من سجاياهم، إذ أن ذلك يكون مناقض لقانون الرب المقدس. ويقول الرسول: من أنت أيها القتان، ما هو قراركم تجاه خدام الإنسان ؟ لقد حرصوا أن يعلوا أنفسهم من الضريبة التى يفرضها الأساقفة. وهم بذلك لم يكونوا من الوجهة القانونية أصحاب الحق الذى يتمتع به أعضاء الأبرشية. إن بيت الرب سوف يقام فوق قمة الجبل، وسوف يرتفع فوق

التلال، وسوف يتوافد إليه الشعوب من كل مكان وأن العديد من الناس قد آمنت كما جاء فى التوراة "*Tobit*" بأن بيت المقدس سوف تتألق وتمجد من الآن فصاعداً، وأنها سوف تمثل نهاية العالم، سوف يأتى إليها الشعوب من كل مكان ويهبون إليها الهدايا ويقدمون الشكر والثناء.

عندئذ يمكن رؤية الفارق بين حالك على عهد اليهود وحالك اليوم فى العهد المسيحى، وما أكمله المسيح من أعمال النبوة.

إن ما قرأناه فى "الديوترنمى" "*Deuteronomy*" "أى سفر تثنية التشريع من أسفار التوراة" سوف يطأ أرضك الأقدام فى كل مكان من البرارى ولبنان من النهر ونهر الفرات حتى أعالى البحر الذى سوف يمثل ساحلك. والآن وعندما يتنفس حقل الرب عبير الحلوى حتى آخر الدنيا فإن الأفاعى السامة المميتة عدوة الإنسان ستكون غير قادرة على أن تتحمل استنشاق العبير مدة طويلة، وعندما تشاهد هذا التغيير العظيم الذى أوجدته اليد اليمنى الأكثر بعداً عن الشرق، فقد أحزن ذلك المكان الكنيسة المقدسة التى سوف تتسع وترتفع وتمتد فى السماء ويُكره الكفرة على إفساد دينهم ويعلو شأن المسيحية.

إن هذه العلامات والمعجزات سوف تتجدد فى المشرق حتى عندما تتدلى النار من السماء إلى كنيسة القيامة، والتى سوف يلتقى فيها الناس كى توضح عظمة الرب ويسبحوا من أجل أعماله المجيدة. وسوف يبغض الكفرة، وسوف يسعد الرب، بالمخلصين وسوف تضاء الأنوار من أجل الضرير "الأعمى" وسوف تلقى بالأعمال والأحقاد بعيداً وأن أصحاب الشرور سوف تسكب عليهم السموم القاتلة، فيقتلون، وبينما ينام الناس تنهمر الدموع فى حقل الرب عليهم إن واجب الرهبان هو ارتداء لباس الحداد والصلاة.

ولم يكن العصيان يقع فقط من قبل الرهبان ولكن أيضاً الراهبات، كن يعصين أوامر قادتهن، فسقطن في العبودية، وظهرت الحياة في أديرتهن، لقد سقطت حجارة الحرم المقدس فوق بداية كل شارع وظهرت جماعات من الزنادقة للاستحمام. ومن هنا يمكنني القول أنني لا ألصق كلمات وصفات بهؤلاء الأجيال السالفة، حتى لا تكون قدوة للأجيال القادمة، ولكن أردت بهذا أن يغسل هؤلاء أيديهم بدماء ما ارتكبوه من آثام وخطايا، وحتى يعلموا ما زيفوه من حقيقة، وعدم استنكارهم لأعمال الشيطان.

لندع هؤلاء يعلمون أنفسهم التواضع مع المسيح وليعانقوا حياة الفقر، والطهارة والإحسان، الذى يمكن أن يعلنوه للعالم الخارجى بما يمتلكوه من صبر وأناة.

إن الذى يجعلهم أعظم قوة بين العامة من الناس والعلمانيين، هو هدم وتدمير ما أفسدته أساليبهم.

إن هؤلاء الأشرار أمثال الشيطان، هم ما خلفه الحجاج السابقون وبعض رجال الدين، الذين كانوا يعيشون حياة نعيم إلهى، هؤلاء الذين قد ورثوا حياة متدنية عن آبائهم، لقد بدد هؤلاء ثروات العالم، والتى كان قد اكتسبها آباؤهم بعد إراقة الدماء، فى القتال، ضد الأعداء المسلمين من جهة ومن أجل شرف الرب من جهة ثانية.

لقد عرف هؤلاء بالبولانيين، الذين نشأوا فى ترف ونعيم وراحة، وعاشوا حياة تخنث، هؤلاء الذين قد اعتادوا على الاستحمام بدلاً من خوض القتال، كانوا مسرفين فى حياة الدعارة والخلاعة، وكانوا يميلون دائما للراحة كالنساء، كانوا

يزينون جوانب المعبد ويلمعونها ... كم كان غباؤهم وكسلهم تبلدهم وجبنهم! والتى لاحظها فيهم أعداء المسيح حتى أن أحداً لا يعرف مدى لستخفاف المسلمين بهم.

إن آباء هؤلاء "أسلافهم" كانوا يجبرون المسلمين على الفرار من أمامهم، بينما أبناؤهم هؤلاء، وهم سلالة ضعيفة، دفعت المسلمين إلى التجرأ عليهم، وليس أدل على ضعفهم هذا، ما كان يقوم به بعض النساء من الفرنسيين أو غيرهم من توقيع إتفاقيات مع المسلمين حتى ركنوا إلى السلام مع أعداء يسوع المسيح.

بالإضافة إلى ذلك، إن هؤلاء كانوا فى حالة شجار بعضهم مع بعض، وغالباً ما كان هؤلاء أيضاً يوجهون الدعوى إلى أعداء الدين ليعينوهم ليوقعوا بينهم ويساعدوهم ضد بعضهم البعض، وكانت تصل هذه الخلافات إلى حد ما يشبه الحروب الأهلية. ولم يخجلوا من تبديد قوتهم وأموالهم والتى كان من الواجب استخدامها ضد أعدائهم المسلمين أعداء المسيح، وكان هذا يعود بطبيعة الحال على الدين المسيحى بالضرر.

كانوا يبالغون فى أحاديثهم التى كانوا يزينونها مثلما الفاكهة، ولكن فى الحقيقة، كان هذا الحديث مثل شجرة الصفصاف العقيمة، وذلك لأنهم رغم مراوغاتهم فى الحديث إلا أنهم لم يستطيعوا فهم ومعرفة قولهم لأنها فى الغالب كانت حيل خادعة، لقد تأثر هؤلاء بالعادات الشرقية إذ كانوا شديدى الغيرة على زوجاتهم، حتى كانوا يفرضون عليهن حراسة قوية فى منازلهم بلغت حد الإقلال من زيارة أقاربهن إليهن؛ وفضلاً عن هذا، فإن هؤلاء كانوا يمنعون زوجاتهم من العمل فى خدمة الكنيسة والشعائر الدينية والتبشير بكلمة الرب الحكيمة

وموضوعات أخرى، كانت تختص بنجاتهم وخلاصهم من الذنوب، ونادراً ما كانوا يسمحون لهم بالذهاب إلى الكنيسة حتى لو مرة واحدة فى العام، وعلى العكس من ذلك كانوا يسمحون لزوجاتهم بالخروج إلى الحمام ثلاث مرات أسبوعياً فى حراسة مشددة.

إن الأغنياء منهم كانوا لا يسمحون لزوجاتهم بالذهاب إلى مذابح الكنيسة كيما يكونوا على مقربة منهم من أجل مضاجعتهم، ونتيجة لهذا، كان القساوسة والقساوسة الصغار يتعرضون للجوع. وكان هؤلاء البولانيون يسمحون لزوجاتهم بممارسة الأعمال التى من جرائها وقوع الخلافات والنزاعات بهدف التخلص منهن.

كانوا شديدى التأثر والتطلع إلى التعلم فى مجال السحر، حتى وصلوا فيه درجة كبيرة، وهو الشئ الذى تعلموه من النساء السوريات. وهكذا فإن الحجاج الذين جاءوا من أقاص الدنيا إلى الأماكن المقدسة بعد عناء شديد، من أجل خدمة الرب، لم يجدوا فى معاملتهم سوى الجحود والأعمال العدوانية.

ومن الأمور العدوانية التى وجدها الحجاج من هؤلاء البولانيين هو التمادى فى التراخى والكسل والخمول، وإشباع رغباتهم وأهوائهم، فوق الرغبة فى قتال المسلمين، خاصة عندما انتهت الهدنة بين المسلمين والمسيحيين، ووُجهت إليهم تهمة الخيانة بسبب ميولهم إلى التراخى والاهتمام بالتجارة وأعمال الغش والاحتيال وسلب ونهب الحجاج، الأمر الذى جعلهم يثرون ثراءً فاحشاً، هذا فى الوقت الذين كانوا فيه ينقمون على المحاربين، وبذلك فهم غرباء بعيدين عن مصلحة المسيح. وهؤلاء فى رأينا يعتبرون محقرين ومعتوهين ومجانين، ولذلك فهم يستحقون التوبيخ لما كانوا يسعون من أجله، وهو الاهتمام بمصالحهم الشخصية فقط .

ليس هناك أعظم ولا أكثر من هذا الفساد، الذى لا يباريه فساد آخر، فقد كان هؤلاء يهللون ويبتهجون لهذه الحياة الماجنة، التى صبغت حياتهم بالظلام أكثر من أى فترة مضت، فبدلاً من حرصهم على استحسان أيامهم فإن حياتهم على هذا النحو سوف تهبط بهم إلى جهنم والآن فبينما نكره فساد هؤلاء غير الأطهار يقول النبى عنهم : "إنه ليحزنني أن أرى هؤلاء المذنبين لأنهم لم يحافظوا على قانوني" - شريعتي - وأقول أنا ثانية : "لأنني أكرههم كراهية تامة، إنني أعتبرهم أعداء لي" وبذلك نُشارك المسيح فى أقواله، ولو كان هناك أحد بينهم، فعليه أن يغضب معى لما قلته، من أنه سوف يظهر بنفسه مثلما كان الحال من قبل.

أما فيما يتعلق بهؤلاء الرجال من المدن النبيلة، من جنوة، وبيزا أو البندقية، ومن أجزاء أخرى فى إيطاليا، الذين يقيمون فى سوريا، فإن آباءهم وأسلافهم قد حققوا مكاسب، ظلت باقية ... شهرة لأنفسهم، وقد حققوا لأنفسهم مركز القمة فى الداخل، بسبب انتصاراتهم العظيمة على أعداء المسيح، إن هؤلاء سيظلون مصدر قلق واضطراب للمسلمين، لو أنهم امتنعوا عن التباغض والحسد فيما بينهم، وكذلك نهمهم فى جمع المال، وكذا الامتناع عن التشاجر فيما بينهم.

إن هؤلاء غالباً ما كان التشاجر بينهم أكثر بكثير من خلافاتهم أو قتالهم مع المسلمين. ومرجع ذلك هو الحرص على التجارة والاتجار أكثر من حرصهم على قتال أعداء المسيح، فلو أن هؤلاء التجار كانوا أكثر حرصاً على قتال المسلمين وإنزال الرهبة فيهم لكان أفضل من السعى من أجل البهجة وإدخال السرور على أنفسهم من جراء مكاسب مادية تجارية.

وإلى جانب هؤلاء وأولئك السابق ذكرهم كان هناك شعوب قديمة يقيمون فى الأرض المقدسة كانوا قد ولدوا فى ظل العبودية، خاصة فى العهدين اليونانى والرومانى، وكان هؤلاء يعملون كعبيد فى كل مكان خاصة فى أعمال السخرة والزراعة، كانوا يخضعون لسيادتهم "أى اليونان والرومان" هؤلاء لم يكن لديهم نخوة الحرب والقتال، ولم يكونوا متعاونين بل كانوا أشبه بالنساء فى المعركة، فقد كان هؤلاء سكان عزّل لا يملكون أسلحة، غير الأقواس والرماح التى كانوا يؤمنون بها على أنفسهم، وكانوا دائماً فى حالة استعداد للهروب من المعركة كان معظم هؤلاء من السريان، أو من مدينة صور "*Tyre*" هذه الأخيرة، كانت فى العهد القديم من المدن السورية الرئيسية، و منها السوريان، وذلك لأن المؤرخين القدامى كانوا قد استبدلوا "*u*" فى "*Sur*" إلى "*y*" فعرفت باسم "*Syrianc*"، وهم بذلك يعرفون الآن باسم "*Syriani*". إن غالبية هؤلاء كانوا يتسمون بالخيانة، كما كانوا تجاراً ذو وجهين، كانوا بارعين ومهرة حتى مع اليونانيين أنفسهم كانوا يتسمون بالكذب والتردد. هدفهم جمع المال وإحراز ثروات ضخمة، كانوا خائنى العهد، يحصلون على ثرواتهم ومكاسبهم عن طريق الرشوة، كانوا منافقين، فيقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم، كان شاغلهم الشاغل هو القيام بأعمال السرقة والنهب، كانوا من أجل مبلغ بسيط ينقلون أسرار المسيحيين إلى المسلمين، كانوا يستخدمون أساليب ملتوية ولغات مختلفة، كانوا كثيرى التزييف، كانوا قد اختلطوا وامتزجوا بالوثنيين فتعلموا واكتسبوا أفعالهم. وبالإضافة إلى ذلك فقد اكتسبوا عادات وتقاليد المسلمين، فعرفوا حبس زوجاتهم، كانوا يرتدون ملابس تغطى كل أجسادهن وكذا بناتهم حتى لا يعرفهن أحد وحتى لا يراهن أحد أيضاً. كانوا يتركون لحياتهم مثلما يفعل المسلمون واليونانيون أو بمعنى آخر كل الشرقيين.

ويبررون ذلك بأنها عناية كبيرة بأنفسهم، وأن ترك اللحية علامة على نضج الرجل، وتكريم للوجه واحترام وتعظيم وهيبة للرجل، وبالمثل فإن الرجال المخنثين، الذين لا لحية لهم، كان يعتبرهم اللاتين على درجة كبيرة من الوضاعة والتخنث، إلى الحد الذى جعلهم يرمون هؤلاء بأقوال مخذية ويتهمونهم بالعار، ليس لأنهم يقصون لحيتهم، ولكن ينظرون إلى الرجل على أنه رجل أعزب ويجب عليهم الانسحاب من بينهم، ولذلك فإن هانون، "حانون" "*Hanun*"، ملك العمونيين[1] قص نصف لحية خدام "خدم" داوود، إحتقاراً لداوود وترك النصف الآخر، غير أنه أخبء هؤلاء فى مخبأ "*Jericho*" حتى تمت لحيتهم. كذلك عندما قام بلدوين كونت الرها بتربية لحيته وتركها، كان على الطريقة الشرقية، وكذا تزوج من إحدى بنات أحد النبلاء، يدعى "*Gabriel*" "جبريل" وهو أرمينى الأصل، يونانى العقيدة والمذهب. وتظاهر بالفقر، كيما ينتزع أموالاً من حميه "والد زوجته" جبريل الغنى الثرى بعدما أخبره بأنه مضطر لأن يرهن لحيته إلى أحد الدائنين مقابل مبلغ كبير من المال.

وعندئذ اندهش جبريل وحزن حزناً كبيراً وأبدى استعداده لإنقاذ ابنته وزوجها من الخزى والعار فأعطاه ثلاثين ألف بيزنت "*bezants*"، وحذره ألا يعرض نفسه ثانية لمثل هذه الحالة حتى لا يرهن لحيته مرة أخرى، وحذره أيضاً بألا يرهن لحيته مهما تعرض إلى الحاجة من المال، أو أية مصائب أخرى تتهدده. استخدم السريان أيضاً اللغة الشرقية ... لغة المسلمين، فى حديثهم المشترك، وكذا فى صكوكهم وأعمالهم، وجميع الكتابات الأخرى باستثناء النصوص المقدسة، والكتب المقدسة الأخرى، التى اعتاد أهل اليونان استخدامها فى الكتابة.

---

[1] أحد أفراد الشعب السامى الذى يسكن منطقة شرق الأردن.

وعلى هذا، فإن مساعدة الرب لشعبه تمثلت فى معرفتهم للغة الشرقية ولكن لم يفهموها، بينما اليونانيون الذين يستخدمون نفس اللغة فى أحاديثهم ومقدساتهم لا يفهمون أساقفتهم فى كنائسهم وكذا لغة كتاباتهم، التى هى نفس لغة الحديث. وقد اتبع السريان القواعد والقوانين اليونانية على نحو صحيح من أجل خدمة الرب، وموضوعات روحية أخرى، وأطاعوهم باعتبارهم الأرفع مقاماً بينما الأساقفة اللاتين كانوا يسموعون كلامهم دونما تنفيذ وكذا الأعمال الدنيويةحتى يظهروا لهم أنهم يطيعوهم باعتبارهم سادة لهم، بناءً على الطبيعة البشرية، ولذلك فإن الأساقفة اليونانيين فى أبراشياتهم كانوا لا يخشون حرمان الكنيسة أو أى عقاب آخر، من اللاتين على الأقل، ومن أجل انقاذ العامة، فإنه يجب أن نتجنب كل الأعمال أو التعامل معهم، وعلى هذا يمكن القول أن قانون الحرمان الكنسى كان يختص باللاتين فقط، وليس من حقهم إنزال أية عقوبة بأحد منا، وفى مجمع نيقية أحد المجامع الكنسية الأربعة الرئيسية، والتى تلقت الكنائس أحكامه القضائية، وبعد الإنجيل الرابع، بكل ما فى الكلمة من معنى، هو المجمع الذى حضره ثلثمائة وثمانية عشر "٣١٨" أسقفاً قرر العديد من القرارات التالية: أن الروح القدس "*The Holy Ghosto*" هى نفحة من الآب وفى النهاية أعلنوا أن أى إنسان يضيف أى شئ إليه أو يحذف أى شىء منه "عمل المجمع" سوف يحرم من شركة المؤمنين، حتى لو أعلنوا أن الروح القدس تنبثق من الآب، وحتى لو لم يعلنوا ذلك أيضاً، وعلى هذا فإن بعض الأشياء التى لم يعلن عنها فى البداية، أعلن عنها فيما بعد، ورفع عنها الرجال المقدسين فى الأزمنة الأخيرة، ليجنبوها موضع الشبهات.

وعلى الرغم من ذلك فإن عقيدة اليونانيين كانت بعيدة عن قانون الإيمان الكنسى "العقيدة المسيحية" إننى أعتقد وأؤمن بالروح القدس وبالرب الواهب للحياة، إن معظم المسيحيين يقولون أن الروح القدس تنبثق من الآب والابن، ومثل هذا، يقول اليونانيون: أن الروح القدس هى الآب، فلم تصنع، ولم تخلق، ولم تولد ولكنها انبثاق، انبعاث، ويضيف اللاتين أن الروح القدس هى الآب والابن، ولكنهم لم يضيفوا أى شئ يكن ثمة تناقض فيه.

وهكذا، فإن العقوبة السابقة، أمكن فهمها، وأصبحت موجهة ضد أولئك الذين يضيفون أى موضوع مناقض.

ويقول القديس بولس مخاطباً السليتن[1].يقول: لو أن أى إنسان وعظ إنسان آخر برسائل الإنجيل، غير التى تلقيتها، فعليه أن يتلقى اللعنة. والآن فمن المؤكد أن القديسين قاموا بوعظ العديد من الموضوعات بالإضافة إلى عظات بولس، ولكنها ليست على النقيض من عظات بولس، وعلى هذا، يجب علينا أن نفهم هذا التحريم "التحذير".ولذلك فإن كل من اليونانيين والسريان لم يفهموا العقيدة المسيحية، التى نظمها الآباء المقدسون فى مجمع نيقية الكنسى، عندما أعلنوا أن الروح القدس لم تنبثق من الآب، ولو أن السيد المسيح قام بنشرها وقال لهم: أنتم تتلقون الروح القدس، ومن الواضح أن الاختيار هنا نفس الروح القدس. إذ أنها بذلك تكون قد انبثقت منه، حتى لو كانت من الآب، فهى ضمان الحب من كليهما. وعلى هذا، فإن المسيح يقول فى الإنجيل:"إن هذه الفضيلة قد خرجت منى، والتى بها خرجت الروح القدس وبرأت النساء اللواتى لمسن حافة

---

[1] شعب يسكن آسيا الصغرى وهو يتحدث اللغة السليتية وهى لغة هندوأوربية (القاموس اللاتينى - إنجليزى). "المترجم"

ثوبئ "ثيابى" وعندما قال الآب: "الكل ملك لى" وهذا يوضح أن الروح القدس هى الآب وأيضاً الابن. وهكذا فإن القديس بولس فى إنجيله يقول: "هاته بالزيت المقدس يعلمك كل شىء" ومرة ثانية بالمسح بالزيت المقدس تتلقى الخلاص "يرسخ فيك الثبات" ومن هنا سيتضح لك أن الروح القدس أو المسح بالزيت والتى تعنى شىء واحد، هى الابن "روح الابن" حتى لو كان هو الآب، لأن الابن أرسلها كما أرسلها الآب له. وقال بشهادته : لو أننى رحلت سوف أرسله إليك، وهكذا فإن الروح القدس تكون مشتركة بين الاثنين وتكون منبثقة من كليهما. ويذكر دانيال : أنه نهر متدفق، أنه شعاع متقد، أنه جاء بقوة أمامه، ولهذا السبب فإن كل اللاتين يعترفون بأن الروح القدس تنبثق من الابن، وكذلك أيضاً مثلهم اليونانيين لا ينكرون هذا الوضع، ولو أنهم من قبل لم يؤمنوا بذلك، ولم يكونوا واثقين فيه، لأن صلة الإنبثاق "النشوء" لم تكن موجودة فى عقيدتهم من الآن. والآن وبعد أن اتحد كل من السريان واليونانيين مع اللاتين، خضعوا لقانون الحرمان.

لم يكن لديهم رغبة فى تنظيف وغسل المذابح التى يحتفل فيها اللاتين بالقداس، قبل احتفالهم بها هناك، علاوة على ذلك، لم يحترموا أماكننا المقدسة، ولم يكن لديهم الرغبة فى النهوض عندما يمر أساقفتنا وهم يحملون خبز القربان، لزياة المرضى، بينما الكنيسة الرومانية المقدسة وكل الكنائس الغربية يقومون بتقليد المسيح فى صناعتهم الخبز الخاص بالقربان - خبز بدون خميرة — وبعد أن يتناولوا طعام حمل الفصح[1] مع خبز القربان - بدون خميرة الخبز - وقد كان هذا الإجراء، بعد طريقة اليهود الذى أعاد فيه الخبز حيث كانوا يتناولونه فى العشاء، على جسد المسيح، بينما كان اليونانيون يرفضون القيام بهذا الطقس

[1] حمل يؤكل فى عيد الفصح عند اليهود، وهو حمل الرب ، رمز إلى المسيح.

الدينى، ويحتفلون بالقداس ولكن مع الخبز المختمر. وعلى هذا فإننا نعتقد فى الإحتفاظ بالمائدة وليس بالخميرة القديمة المؤذية، التى لا يعادلها شئ. ولكن الخبز المختمر، هو الصدق والحقيقة، وأشياء أخرى عديدة، إن هذه الخلافات والنزاعات تنكر تعاليم الكنيسة الأسمى المقدسة، الكنيسة الرومانية، معارضة أوامر الرب، الذى جعل روما عاصمة وحاضرة لكل العالم، وهى رأس بطرس.

وعلى ذلك، فإن ارتباطك بالأرض - أى بطرس - سيكون مرتبطاً بالسماء، أو بمعنى آخر، أطعم غنمى، وهو لا يعنى اللاتين الشرقيين، أو بمعنى آخر، إنه يمكن القول أنه هناك قطيع وراعى واحد. أو بمعنى أوضح، عندما تم بناء الكنيسة المسيحية، وشيدت فوق تلك الصخرة، صلى القديس بطرس من أجل المسيح، والتى لا تخفق عقيدته،أو يخفق إخلاصه. كل أولئك، الذين هربوا من كنيسة الخلاص الرومانية دون جدوى لأنهم أقاموا البناء دون أساس، وانتشر منه السيد المدعو شيفا "*Cephas*" أى الرأس، ويجب أن يحترم كشخص طائش ومتهور. ولقد اتفق كل من السريان واليونانيين على عدم السماح بالزواج من أربعة غير أن أساقفتهم وشمامستهم فى مثل هذه الحالة كانوا كقادة لا يرفضون الزواج، وكانوا يعقدون القران على الفتاة رغم وجود زوجات لهم، وكانوا يسمحون لأنفسهم بالزواج قبل رسامة الكاهن، ولم يعتبروا الشمامسة قادة مقدسين، غير أنهم كانوا يقومون بتعميد أطفالهم ثم يقومون بتعليمهم على مركز الصدارة وذلك بالمسح المقدس. وهو الشىء الوحيد الذى يسمح به لرؤساء الأساقفة، حيث يجلسوا فى مكان للحواريين فى كنيسة الرب، ومزاحمة الحواريين من أجل للروح القدس ،التى تستمد قوتها لمهاجمة القيادات فى الأماكن المقدسة. إنهم يعتبرون يوم السبت يوم مقدس جداً، حتى أن أحداً لم يعانى كثيراً فى يوم السبت، باستثناء يوم عيد الفصح. إن الخدمة فى يوم السبت المقدس تكون

غالباً أهم منه يوم الأحد المقدس. وإعداد مأدبة عظيمة فى هذا اليوم حسبما اعتاد اليهود من قبل. وإن كانت تلك النقطة بالذات قد واجهت اللوم من جانب اللاتين خوفاً من اتباع نظم جديدة من قبل اليهود.

علاوة على ذلك، فإن الأرض المقدسة ومناطق أخرى فى الشرق، وشعوب همجية، وبعض أولئك الذين يختلفون فى الخصائص عن اليونانيين واللاتين، منهم مثلاً اليعاقبة الذين اشتق اسمهم من يعقوب[1] الحوارى، وهو أحد بطارقة الأسكندرية، كانوا قد ظلوا فترة طويلة محرومين من عضوية الكنيسة وكان ديسقورس قد طردهم من الكنيسة اليونانية، وكانوا يقطنون فى أكبر جزء من آسيا وكل منطقة الشرق. وقد أقام بعضهم بين المسلمين وامتلك بعضهم بعض بلادهم، ولكنهم لم يتآلفوا مع المسلمين، ومنهم أيضاً النوبيين "*Nubia*" الذين تحتويهم مصر ومعظم أجزاء إثيوبيا "*Ethiopia*" وكل البلاد البعيدة، مثل الهند، التى تضم أكثر من أربعين مملكة وقد أعلنوا انتمائهم إليهم، والكل كان مسيحياً، كان الرسول القديس ماثيو قد هداهم إلى عقيدته، ورسل أخرى، وفيما بعد قام العدو بنثر بعض العناصر غير المرغوب فيها بينهم وظلوا مدة طويلة يطوفون بينهم، باعثين على الأسى والحزن، بارتكابهم الآثام والخطايا. إن معظمهم كان يقوم بختان "طهارة" أطفالهم من كلا الجنسين على غرار المسلمين، ولم يفهم أن نعمة المعمودية تجعل الختان باطل، بينما الصفوة منهم كانوا يرتدّون مثلما تتضائل الأزهار وتذبل، عندما تكون الفاكهة جاهزة للجنى. ويقول القديس بولس إلى الجالتين "*Galatines*" : "لو انكم قمتم بختان أطفالكم، فإن المسيح سوف لا ينفعكم أو يفيدكم بشئ."

---

[1] هو يعقوب البرلدعى "Jacobus Baradaeus" راهب القسطنطينية، دشن كاهناً وأسقفاً حوالى عام ٥٤١م والكنيسة اليعقوبية لم تكن واسعة الانتشار مثلما تكر به جاك عن سلطان اليعاقبة

وقال أيضاً لكى أظهر مرة ثانية لكل إنسان، فإن من يقوم بعملية الختـان، يكون مديناً لأن يؤدى كل الشريعة والقـانون، إن المسيـح يصبـح غـير فعـال لـك، مهما قمت بتبرير نفسك، وأن ذلك لم يقلل من بعض آثامهم الأخرى، كما أسلفنا، لو أنهم اعترفوا بذنوبهم وآثامهم السابقة وذلك ليس لأساقفتهم، ولكن لـك وحـدك تكشف السر، وذلك بوضع البخور فوق النار مع الدخان ليتصاعد إلـى اللـه، إنهـم يندمون على ما ارتكبوا من آثام ولم يفهموا الكتب المقدسة، ويهلكـون مـن خـلال عقيدة مزيفة ويكتمون جراحهم عن طريق أطبائهم الروحانيين، الذين كان واجبهم هو التمييز بين جذام وجذام "مرض ومرض" ليحملوا الختان إلى أولئك الرجـال الذيـن ارتكبوا الإثم، ويفرضـون العقوبـات عليهـم ويوثقوهـم ثـم يحرروهـم. وعلـى هـذا، يتلقون مفاتيح ويصلوا صـلاة خاصـة مـن أجـل أولئـك الذيـن اعـترفوا لهـم. وفـى الإنجيل قال السيد لمرضى الجذام إذهبوا واعرضوا أنفسكم على الأساقفة، ثم أننـا قد قرأنا أن القديس يوحنا المعمـدان، يقـول : أن الرجـال الذيـن قـاموا بتعميدهـم، يعترفون بذنوهم، والآن فإن الاعترف بالخجل والخزى، والتذلل، هو أعظـم جـانب فى العقاب لو أن الرجـال الذيـن يميلـون إلـى ارتكـاب الآثـام والشـرور والذنـوب، تركوا هذا وعرفوا أن الناس ستكشف أعمالهم، لما فعلوا. وقد كتـب عن هـؤلاء : أن من يخفى عمله الشـرير سـوف يوبـخ ويقهـر. ولكـن أى إنسـان يتخلـى عنهـم سـوف ينال الرحمة والمغفـرة. إن ثـالث مـا يرتكبـوه مـن آثـام، هـو الجهـل التـام، وكأنهم يعيشـون فى ظلام، مثلما كان اليعاقبة السابقين، إذ أنـه قبـل التعميـد ومنـذ أن يولـدوا، فـإنهم يقومـون بعمليـة الكـىّ لأطفـالهم بحديـدة ملتهبـة حمـراء فــوق رؤوسـهم كعلامة مميزة لهم، وآخرين يقومـون بكـىّ أبنـائهم بنفـس العلامـة ولكـن

على وجنتيه، وهم يبنون هذه الأفكار على افتراضات خاطئة تعبيراً عن التكفير عن آثامهم، باستخدام نار فعلية، إذ أنه كتب فى إنجيل متى : أن القديس يوحنا المعمدان قال أنه سوف يعدك بالروح القدس والنار، فهذا إذن هو الحظ الذى اعتقد فيه الجميع، وأن الآثام بجميع معانيها سوف تنتهى لأن الفرد هنا يكون قد أوفى بوعده إذا أشعل النار الروحية عن طريق الروح القدس، وليس عن طريق النار الظاهرة.وعلى هذا، فإن كتب الأنبياء غالباً ما يقوم الرب بتوبيخ أطفال بنى إسرائيل، وذلك بتهديدهم لأنهم مروراً بأطفالهم من خلال النار وكأنه عمل مسيحى، ومن أجل ذلك يقول موسى فى سفر تثنية الاشتراع "من أسفار التوراة" من أجل الرب، أنت لا تتعلم أن تفعل شيئاً، بعض الأشياء البغيضة لهذه الأمم والشعوب، وهناك لا يستطيع أى إنسان أن يفعل أو يجعل ابنه أو ابنته تمر خلال هذه النار.

ولم يترك سيدنا يسوع المسيح ولا الحواريون أو أى من الآباء المقدسين للمسيحيين أى نظام من هذا النوع فى الكنيسة أو أمروا أى فرد بمثل هذه العلامات أو "الكىّ ـ الوشم بالنار".

لقد شاهدت اليعاقبة والسوريين الذين كانوا يقطنون بين المسلمين. كانت تضع تلك العلامات على ذراعهم حيث كانت تُكوى بالحديد الساخن وقالوا أن تلك العلامات كانت تميزهم عن الكفرة، وهى لا صلة لها بالصليب المقدس ، الذى كان يوضع على أعداد كبيرة منهم. لقد بذلت مجهوداً كبيراً من أجل الاستعلام عن أفعال اليعاقبة والسريان المشينة، وقد حرموا من العشاء الربانى.

لقد قالوا أن السبب الرئيسي وراء ذلك العمل هو وقوع معظمهم في الأعمال الشريرة، وأن هذه البدعة تستحق اللعنة، ذلك لأن أصحابها أعلنوا أن المسيح مثل أى فرد، وأنه ذو طبيعة واحدة، هى الطبيعة البشرية، والآن فإن الهراطقة من مثل هؤلاء صدر ضدهم قانون الحرمان، وقد أدانهم المجمع الكنسى فى خلقدونيا، وقد أكد بعضهم بشكل خاطئ أن المسيح بعد أن أخذ طبيعتنا لم يعد يحيا فى طبيعتين، ولكنه كان ذا طبيعة سماوية واحدة "أى أنه كان يختص بالطبيعة الإلهية إن هذا الإثم قد دخل الكنيسة عن طريق كاهن القسطنطينية "أوشيشس" *Eutyches* " حيث أعلن أن للكنائس الأخرى أن للمسيح طبيعتان اندمجتا فى طبيعة واحدة، وقد آمن بهذا الخطأ أساقفة كنيسة الأسكندرية، المدعوان ثيودوسيوس وجالينيوس، وحتى الآن فإننا نعترف بأن المسيح قد تعرض للجوع والعطش وأشياء أخرى وأن ذلك من خصائص الطبيعة البشرية، وعانى فى الموت بسبب صلبه، ولكنه طبقاً للطبيعة الإلهية نهض من الموت ثانية، وأحدث عجائب أخرى، باعتباره لم يكن طبيعة بشرية، وقال عن نفسه، وعن طبيعته : قبل أن يكون ابراهيم كنت أنا، وقال أيضاً : إننى أتحدث إليكم وأنا فى المهد، وسأتحدث إليكم عندما أعود ثانية. أنا ووالدى واحد، نفس القول بالنسبة لطبيعته البشرية، إن والدى أعظم منى، ومرة ثانية سينتهى كأس القربان المقدس، ليس كما أرغب ولكن كما تحب أنت وترغب. والآن عندما أكون حريصاً وأكثر معرفة باليعاقبة السالف ذكرهم سوف يقرون أنه كان هناك فقط طبيعة واحدة للمسيح، هذا ما قالوه ولكن لم يفعلوه أو بمعنى أوضح إن أقوالهم غير أفعالهم. وإننى أعرف أن الخوف هو الذى دفعهم إلى التأثر بهذا. وعندما أسألهم لماذا استخدمتم أصبع واحد فقط للإشارة إلى الصليب، وكذلك أنفسهم، فأجابوا بأن الأصبع الواحد يشير إلى إله واحد، ولأن الثالوث المقدس فى ثلاثة أشخاص،

وهكذا فإنهم دعموا رأيهم بالإشارة إلى الصليب باسم الثالوث المقدس في واحد. غير أن اليونانين والسريان، يقولون بأن اللوم الذى وجه إليهم بخصوص الإشارة بأصبع واحد كان سببه أن الطبيعة الواحدة التى تؤمن بملائكية المسيح، بينما استخدم بعضهم الحروف الهجانية الخلقدونية، واستخدم البعض العربية وهم الذين نناديهم باسم سرسان *Saracenie* "الشرقيين" إن العامة منهم كانوا يستخدمون هذا التقسيم من اللغات المتعددة في حديثهم المشترك طبقاً للأمم المتعددة، ولم يفهموا اللغة التى استخدمها رجال الدين في الكتاب المقدس. وإن كان هؤلاء قد استخدموا اللغة العربية "لغة السرسان" وإن كان المكتوب لم يكن لغة عامة المسلمين، ولكنها فقط اللغة التى فهمت من خلال التعليم.

كانت هناك شعوب أخرى تقطن في الأرض المقدسة وبين المسلمين كان معظمهم من الهند، ويعرف الناس هؤلاء باسم النساطرة[1] وهى مشتقة من لغة زعيم المهرطقين نسطورس الذى غزا معظم بلاد الشرق عن طريق الخطيئة المميتة "مذهبه السام" خاصة هؤلاء الذين كانوا يقطنون في الأرض بفضل الأمير السوقى يوحنا المشعوذ، "*Prester John*" وقد تجمع كل هؤلاء مع ملكهم وتجمع النساطرة مع اليعاقبة، وأصبح عددهم يفوق كل عدد اللاتنين أو اليونانيين، هؤلاء الذين أقاموا هناك كان عددهم لا يعد ولا يحصى، ونحن لانستطيع أن نتكلم، ولكن كان بين المسلمين بعض المسيحيين، قد تجانسوا مع الكفرة ، واتبعوا قوانينهم ، مثلما إتبعها المرسمان أنفهسم. وعلى هذا فإنه على الرغم من أن هؤلاء الناس سوف لا يتلقون القانون الخطير للمسلمين "*Mohaut*" حتى حرّفه وأفسده الهراطقة. إن "ابن الجهنمى" نسطورس السالف

---

[1] انتشرت النسطورية انتشاراً واسعاً فى كل بلاد العرب والهند والصين وهى تنسب إلى نسطورس.

للذكر، قال عنه رئيس أساقفة القسطنطينية وجماعته فكرة ، أن القديسة مريم العذراء، لم تكن أم المسيح الإنسان، معلنين أن المسيح كان له طبيعة إلهية واحدة، وإنسان واحد. وأنه بناءًا على طبيعته المزدوجة كانت هناك طبيعتان للمسيح وشخصيتان متميزتان أنهم كانوا لا يؤمنون بأن كلمة الرب، والجسد قد تجمعوا فى المسيح، ولكنهم كانوا يؤمنون بأن التفرقة والتمييز بين الشخصيتين تعنى أنه ابن الله من جهة وابن الإنسان من جهة ثانية تلك البدعة البغيضة كان قد شجبها واستنكرها مجمع إفسوس الذى كان يحضره ثلثمائة من آباء الكنيسة.

وبناءًا على هذا، فإن الرأى المعتدل، هو أن الروح والجسد شخص واحد، وكذلك فإن الله والإنسان هو المسيح، على الرغم من أن الطبيعة الروحية تختلف عن الطبيعة البشرية، حتى لو لم يكن هناك إنسان واحد طبقاً للطبيعتين الإلهية والبشرية. وأنه يمكن القول، بأن الحديد الأحمر المتوهج شىء واحد.

وعلى هذا فإن للهرطقة السالفة الذكر، تعنى أن الفرد لا يجب أن يستخدم العبارة القائلة بأن "المسيح هو الإنسان". لقد مات بن الله وقُبر، لأنه فيما يتعلق بابن الله، فإنه لا يمكن أن يعانى من الموت، أو يموت أبداً.

ويقول إشياع "*Isaiah*" :"أنت من أجلنا ولدت طفلاً .. وأن اسمك سوف يبقى .. بقوة وقدرة الله." وهكذا فإن الله كان طفلاً صغيراً ضد فكر وعقيدة هرطقتهم، وبالمثل طريقة جرميا "*Jeremieah*" يقول عن "ابن الله" أنه أظهر نفسه على الأرض ثم تحدث مع الناس، بينما من كان مثل الله فلا يظهر للناس. ويقول القديس بولس : أرسل الله قوة ابنه، خلق من امرأة بقوة القانون".

ومن هذا يتضح أن ابن الله هو بن مريم العذراء، وهكذا فإن مريم هى أم الله. إنه سوف يعلن أنه قد ولد منها، وأكثر من هذا شأناً أنه سوف يعترف بها أمه.

وهكذا فإن الإنسان الذى كان قد ولد من مريم العذراء قد سبق إلى تمثيلها، وأن هذا الرجل هو الإنسان والله أيضاً. وبنفس الطريقة يمكن أن نسلم أن ذلك الطفل خلق السموات ومن العدم كان وجوده مع الآب، وهو مساوى له!!

ومن أجل الكلمة "word" كان الجسد، الذى سكن بيننا، ونرى الآن، أنه يقول عن نفسه: "أنا الذى أتحدث إليكم عن خلقى، وليس هناك رجل عاقل يشك فى نفس الشخص الأول الخالق لكل شئ يمشى على الأرض مع الناس"؛ وهكذا يتضح صورة ما وراء الخيال، التى تشكك فى أن الله والإنسان فى شخص واحد. ومن هنا يتبرأ نسطورس الحقير.

نحن نستخدم الحروف الهجانية الكلدية[1] من أجل الكتاب المقدس واستخدام للخبز المقدس "بدون خميرة" فى احتفال القداس على غرار اليونانيين.

كذلك هناك بعض الناس الذين يقطنون فى جبال لبنان خاصة فى مقاطعة فينيقيا، وهو مكان ليس بعيداً عن ببليوم "Biblium" إنهم كانوا أعداداً ضخمة يستخدمون الأقواس والسهام، وكانوا مشهورين بالخفة والمهارة فى القتال، وكانوا يعرفون باسم المارونيين نسبة إلى معلمهم مارو Maro المهرطق، الذى كان يعتقد أن المسيح كان له طبيعة واحدة وإرادة واحدة، كان أسقف أنطاكية، الذى وقع فى هذا الخطأ، يعرف باسم مكاريوس، اجتمع مع أتباعه وأدان نفسه بهذا الخطأ، مثل زعيم الهراطقة قد طرد من رحمة الكنيسة وقيد بقرارات متعاقبة تنص على الحرمان، وفقاً لمجمع السندوس "الستين" الكنسى بالقسطنطينية والذى كان يضم حوالى مائة وخمسون من آباء الكنيسة، وقد كان البعض يميل إلى المشيئة الإلهية للمسيح والأخرى للمشيئة والرغبة البشرية.

وعلى هذا فإن للمسيح إرادة وطبيعة بشرية تجعل منه ميول تجاه الطعام والشراب وتناول كأس القربان المقدس من الله، بينما الطبيعة الإلهية فهى إرادة ومشيئة الآب وحده، وهو شريك معه فى هذه الطبيعة. إنه دونما شك أوضح المسيح هاتين الطبيعتين عندما قال: "ليس مثل مشيئتى ولكن مثل مشيئتك أنت. أو بمعنى آخر، ليس كما أرغب ولكن كما ترغب أنت."، لا يغيب عن أحد أن الطعام والشراب وأشياء أخرى تخضع لها طبيعة المسيح البشرية ونتيجة لقوة أفعاله البشرية، وأن لا شىء يصنع

---

[1] هى الحروف السريانية

للقوة الإلهية السرمدية، حيث أنه عندما ينهض المسيح من الموت يعنى أن الحياة السرمدية بعد الموت لا تنتمى إلى للطبيعة البشرية، ولكن القوة لله وحده.

وبهذا تتضح أن خلق الناسوت "الطبيعة البشرية" يختلف عن الطبيعة الإلهية. ومثل هذا السلوك فإن الرسول القديس بولس علمنا بوضوح كيف أن مشيئة الإنسان هى مشيئة وإرادة ثنائية. وعندما وجه فى رسالته إلى الرومان يقول: "أنا الأفضل، لا أفعل العيب، ولم أكن شرير، ولذا لم أفعله."

انظر كيف أن معركة عظيمة هنا بين سبب المشيئة الإلهية وبين الطبيعة البشرية، ويقول للمشيئة الإلهية، أن تحضر معى، ولكن كيف أقوم بما هو أفضل إن لم أجدها. إن الروح هى الإرادة الإلهية وطبعاً المنطقى فإنها تأبى أن تكون مشيئة بشرية، ويظل الجسد ضعيف لأنها ترفض أن تكون رغبة للجسد، ولو أن أحداً أخذ القديس بطرس وقاده إلى حيث لا يوجد، ولكن بمنطقه هو يتجه إلى روما ويأخذ الصليب، إن القديس بولس يشرح الطبيعتين كقانونين للفكر الإنسانى فيقول : "إننى أرى أن قانوناً آخر بين أعضائى ضد قانون ذاكرتى وفكرى، وإحضارى للأسر، من أجل قانون الإثم، الذى بين أتباعى، والآن فإن مارو "*Maro*" السالف الذكر كان يتسم بالحماقة والغطرسة بما اكتسبه من تضليل وخداع. أرسله الشيطان، وأتباعه فى الخطيئة هؤلاء الأتباع الذين يعرفون بالمارونيين، وقد حرموا من رحمة الكنيسة طوال خمسة قرون ومن الاشتراك مع المتقين فى الاحتفالات بمقدساتهم، وذلك بعزلهم. أما بعد ذلك فقد تحولوا بقلوبهم مع الأب المبجل أماريك بطرق أنطاكية، الذى تقبل رسمياً العقيدة الكاثوليكية، وتجنب بذلك الإثم السابق واتبع نظام الكنيسة الرومانية، ومن هنا أصبح كل الأساقفة الشرقيين يجنبون اللاتين استخدام الأختام والتاج الأسقفى ولا يحملون العصا الأسقفية فى أيديهم، ولا يستخدمون الأجراس، ولكنهم كانوا يرغبون فى دعوة الناس إلى الكنيسة عن طريق الجلد والعصا والمطرقة - أى هؤلاء المارونيون - ليدخلوهم فى طاعتهم إلى روما متبعين النظم والطقوس الدينية اللاتينية .

من أجل ذلك حضر بطرقهم إلى المجلس العام مجلس اللاتيران "الرابع ١٢١٥م" الذى عقد بكثير من الإجلال فى فترة حكم البابا المبجل إنوسنت الثالث، لقد استخدموا الحروف الهجائية الكلدانية واللغة الشرقية المشتركة.

إن الشعب الأرمينى الذى كان يقطن فى إمارة أرمنية بالقرب من أنطاكية بين المسيحيين والمسلمين انتشروا واختلفوا عن كل الأمم المسيحية، وكان لهم طقوسهم ونظمهم المميزة الخاصة - الغريبة - بهم.

إن الأرمن وكبير أساقفتهم الذين يدعونه ببطريرك الكنيسة الأرمنية "كاثيلوكس" "*Catholicos*" وكانوا فى مجموعهم أناس بين حقيرين وعظماء، يطيعونه بدرجة عظيمة من الاحترام والتبجيل مثل أى بابا آخر. وكان بينهم وبين اليونانيين نزاع وخلاف وأحقاد وجدال شديد حتى أنه كان من الصعب، التوفيق بينهم فلكل منهم خبرة ودراية تبعث على الاشمئزاز تجاه طقوس كل منهم، وكذا مذاهبهم. إن لغتهم وحروفهم الهجائية وقراءة الكتاب المقدس كانت لغة عامية لدرجة أن أساقفتهم ومجالسهم الدينية لا يستطيعون أن يقوموا بالشرح والتفصيل للعامة. ونفس الشىء كان الحال بالنسبة لليونانيين، فلم يحتفلوا بميلاد المسيح، طبقاً لطبيعته البشرية، ولكن ترسخت لديهم أيام ميلاد المسيح، واحتفلوا بعيد ظهور المسيح مع عيد القديس يوحنا المعمدان، وأعلنوا أنه نفس اليوم الذى يتم فيه الاحتفال بميلاد المسيح طبقاً للروح القدس، فى حالة عدم تجدد أو ظهور المسيح أو ولادته من جديد لأنه لم يكن الأساس فى الخطيئة التى لم تطهر بالماء والتعميد.

فلم يعمل أو يفعل الإثم، أو ينافق أو يخادع، إنهم يقومون بالصوم الكبير قبل بعث المسيح، على نحو كامل لدرجة أنهم لا يمتنعون فقط عن اللحوم والجبن والبيض واللبن، ولكن كانوا يتمنعون أيضاً عن تناول السمك، ولم يستخدموا الزيت فى الطعام ، ولم يشربوا النبيذ حتى إذا كان هناك بد فيكون نادراً جداً. وغالباً ما يأكلون الفاكهة والخضروات، وهو ما يسرهم طوال اليوم. ولكن يختلفون عن جماعة اليونانيين المناوئة لهم وكذا السريان، فيأكلون اللحوم فى بعض أيام السبت إنهم لا يخلطون الماء بالنبيذ مع دم المسيح المقدس وهو الطقس الذى ارتكبه الهرطقة وأظهروه بدرجة كبيرة كإثم، ومن أجل سيدنا يسوع المسيح، عندما ارتقى مكاناً رفيعاً على المائدة، خلط النبيذ، ليس غرار اليهود فقط ولكن كل الشرقيين الذين لا يشربون النبيذ والماء خالصاً. ثم صنع نبيذه المائى المقدس.

فى الواقع، لن أحداً لا يستطيع أن يشرب النبيذ النقى إلا فى حالة مرضه. وعلى هذا يقول القديس سبريان حول هذا المزج "الماء بالنبيذ" لو أن أى إنسان كما أسلفنا من الجهلاء أو البسطاء السذج، لم يتبعوا الشريعة، التى علمها لنا المسيح بأمثلته أو سنده ببساطة، فإنه لا يمكن أن يغفر له المسيح "أى لنا" والآن فقد أمرنا المسيح، وأرشدنا أن نقدم كأس الرب الممزوج بالماء حتى لو كان الذى قدمه المسيح.

يتضح من كل هذا، أن العشاء الأخير الذى قدمه لنا المسيح، كان نبيذاً مختلطاً بالماء.

وهكذا، فإن الأرمن كانوا لا يحاكون المسيح ولم يفهموا أسرار القربان المقدس، لأن المياه التى تتلاشى فهى لا تشئ ضعيفة ترمز إلى الفناء وتلاشى الخليقة.

وعلى هذا، فإن المياه التى تختلط بالنبيذ تشير إلى أن الناس يشتركون مع المسيح، مثل دماء خلاصنا، ولم يقدم النبيذ لأى فرد، إنها سوف تبدأ وتمثل دم المسيح بدوننا. لو قدمت المياه بنفسها دون خلط لكانت للناس من دون المسيح، ولم تكن لتعنى المزج السابق، ومهما كان السر المقدس، فإنه يجب أن يشير إلى شىء مقدس، وفى كأس المسيح لا يجب أن يقدم النبيذ والمياه بنفسها لأننا قرأنا أن آلامه "أى آلام المسيح" جميعها تجمعت من جنبه. والآن لو أن الأرمن وعدوا بأن يطيعوا البابا والكنيسة الرومانية المقدسة، عندما تلقى ملككم أرضه من الإمبراطور الرومانى المقدس هنرى، وتوجه رئيس أساقفة مينز، فإنهم سوف لا يبدلون نظمهم القديمة الراسخة.

هناك أيضاً فى الشرق شعوب مسيحية كانت لديهم الرغبة دائماً إلى الحرب والقتال، وكانوا يتصمون بالعنف فى المعركة لكونهم أقوياء بدنياً وكذا أقوياء بعددهم من المحاربين. غالباً ما كانوا يرهبون المسلمين ويسببون خسارة كبيرة لكل من الميديين والبارسيين والآشوريين، وكانوا يقيمون عند حدود تلك الشعوب لأن حدودهم كانت تتاخم حدود الأمم والشعوب المسلمة. يسمى هؤلاء بالجورجيين لأنهم كانوا يبجلون بصفة خاصة القديس جريجور وكانوا يناصرونه، وكانوا يحملون رايته فى قتالهم ضد الكفرة وهم قديسون فوق كل القديسين، لقد قرأوا الكتاب المقدس باليونانية ويديرون المقدسات بعد اليونانيين، وقد اجتمع مجلسهم الأكليركى فى بقعة صحراء، فى شكل دائرى ومن العامة الذين أحاطوا بهم من جميع الجهات على شكل مستدير، وعندما بدأوا رحلة حجهم إلى قبر المسيح المقدس *Lord's Sepulchre* ساروا إلى المدينة المقدسة ورفعوا ونشروا أعلامهم دونما دفع أية جزية لأى فرد من المسلمين دون تحدى أو تحرش بهم، خشية أن يثأروا منهم من قبل أمم إسلامية أخرى مجاورة، وذلك أثناء عودتهم إلى

مملكتهم. ومن نسائهم النبيلات مثل آمزونس "*Amasons*" التى حملت السلاح كالفارس فى المعركة. وقد كان الجرجيون ناقمين جداً ومهددين من قبل الكوردينوس لمير دمشق الذى تجرأ على أن يطيح بأسوار بيت المقدس ضد رغبتهم عندما فرضوا حصارهم على دمياط، وكانوا ذوى لحية وشعر طويل يبلغ حد الذراع، ويرتدون قبعات فوق رؤوسهم.

إن المسيحيين الذين كانوا يقطنون فى أفريقيا وأسبانيا بين المسلمين فى الغرب، كانوا يسمون بالمزرابيين "*Mozrabi*" أى المغاربة، كانوا يستخدمون اللغة اللاتينية فى قراءة الكتب المقدسة، وكذلك كل اللاتين، المتواضعين المخلصين فى طاعة الكنيسة الرومانية المقدسة دون أن يخرجوا على مواد العقيدة أو الكتب المقدسة، إنهم يحتفلون بالقربان المقدس مع الخبز المقدس كما يفعل اللاتين الآخرين، وعلى الرغم من أن بعضهم كان يقسم خدمة القربان المقدس إلى سبعة أقسام وبعضهم إلى تسعة أقسام، فإن الكنيسة الرومانية المقدسة وبعض أتباعها كانوا يقسمون القربان المقدس إلى ثلاثة أقسام فقط. ولكن مثل هذا التقسيم لا يعنى أنها تقسيمات جوهرية للكتاب المقدس، فإنها لا تحدث فيها تبديل أوتعوق طهارتها.

وفى الشرق أيضاً، وإلى جانب تلك الأجناس، هناك لمم أخرى بائسة تتسم بالكراهية الشديدة والنذالة واحتقار المسيح وأتباعه، وكان بعض هؤلاء يعرف باسم الحشاشين "*Essenes*" وهم من أصل يهودى، بينما كان بعضهم يجعل من الحياة بعد الموت أصل إيمانه. حيث كان إيمانهم شديد بالبعث بعد الموت، إن هؤلاء كانوا يرفضون الزواج، خوفاً من فسوق وفجور النساء اللاواتى لا يخلصن أبداً لرجل واحد "اى الزوج"، بينما يتزوج بعضهم ولم يأنسوا مع زوجاتهن، إنهم أيضاً لم يضجعونهن عندما تكون حبلى "حامل" ليظهروا أن الجماع معهم يكون لفقط من أجل الإنجاب وليس من أجل المتعة، إنهم يعترفون بأن الروح بعد الموت

لا تتلقى عقاب أو تنال احترام. ولكن يتعارض ذلك مع تلك الطائفة من الرجال المفتونة بجهدهم في الفقر، هؤلاء الروحانيين "*The Assassins*" الحشاشين فإنهم ليسوا من أصل يهودى بل مسلمين. وهم المشار إليهم من قبل، فعلى الرغم من أنهم كانوا يستخدمون جانباً كبيراً من حروف الهجاء اليهودية وكذلك طريقة المزج لليهود والحروف الهجائية الكلدية، والآخرون من جماعة الصدوقيين "Sadducees" [1] وهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت، إنهم تلقوا كتب موسى ولكنهم لم يفهموا فحواها، ولذلك قام المسيح بتأنيبهم فى الإنجيل قائلاً : "أنتم يا من ترتكبون الإثم. ولا تعرفون أو تفهمون الكتب المقدسة ولا قوة إلا الله" وبعد أن أكد شهادته من كتب موسى قال : أنا رب إبراهيم وعيسى ويعقوب، لقد أفحمهم فى النهاية بطريقته هذه لم يكن إله الموت، ولكنه إله الحياة. وهناك أيضاً السامريون[2] الذين يستخدمون اللغة اليهودية مثل اليهود، لقد تلقوا أسفار موسى الخمسة "*Pentatench*"ولكنهم لم يسلموا بالأنبياء الآخرين وكتب اليهود المقدسة الأخرى.

وعندما قام ملك آشور "*Assyria*" بالاستيلاء على عشرة قبائل من إسرائيل وأجبرهم على أن يتبعوه أرسل إلى السامرة ليزرعوا ويفلحوا فيها مكان اليهود، وقام الأساقفة بوعظ وتبشير السامريين وتلقوا كلمة الرب، أقام بعضهم هناك حتى ارتكبوا خطاياهم القديمة، ومن أجل هذا لعنهم المسيح، بالعقم وجفاف الثدى.

وهكذا تحقق ما قام به المسيح من هذا العمل الشرير وأجدبت الأرض وفسدت وحكم عليهم بالنار الأبدية، جافة وقاحلة حتى أنه يمكن القول أنه لم يتبقى هناك منهم على قيد الحياة سوى ثلثمائة فى كل أنحاء العالم. وقد تلقى آخرون كتب

---

[1] الصدوقى أحد أفراد طائفة يهودية فى زمن المسيح ـ أنكرت الحشر، ووجود الملائكة انظر المورد للكبير. صـ ٨٠٨

[2] أحد أبناء السامرة بفلسطين ـ نفسه

موسى والأنبياء وكذا العهد القديم، ولكن في معانيها البسيطة، وكان هؤلاء من المعرضين. وقال عنهم القديس بولس: "إن الكلمات تعنى القتل، بينما الروح تقدم الحياة وأما الجسد فهو لا قيمة له، وأصبح من الواضح هنا، أن الكتاب المقدس، لا يستخدم لليهود، بل استخدام اليهود له يؤذيهم، مثلما يقول النبى داوود، دع مائدتهم تجهز لتكون شرك وفخ لهم، ودع الأشياء التى يجب أن تكون من أجل صحتهم فرصة لاسقاطهم، لندع أعينهم مغماة حتى لا يروا حولهم، إنه يعنى بالمائدة قدس الأقداس.

ولكن الجزء الأكبر منهم كان يسكن في الجانب الشرقى حيث كان الأكسندر، ملك مقدونيا يغلق عليهم الطرق عند مرتفعات كاسبان "*Caspian Mountains*" وهو المكان الذى فيه يظهر المسيخ الدجال "عدو المسيح" "**Antichrist**" وبين مرتفعات كاسبان والبحر سيقوم الملك الأكسندر بمنع تلك المغامرة "يأجوج ومأجوج" وأصبح عددهم لا يعد ولا يحصى مثل رمال البحر، لأنه كان كاره لعاداتهم البغيضة مثل أكل لحم الإنسان وأكل لحم الحيوانات النيئة والغير نظيفة.

ومن جماعات اليهود أيضاً أولئك الآباء الذين كانوا يحملون دمائه ويمررونه من فوقنا ومن فوق أطفالنا ويبعثرونه في جميع أنحاء العالم، وكذلك لكل النبيذ الإلهى لوجود العبيد ودافعى الجزية في كل مكان. وكانت قوتهم تتمثل في كلمات النبى أشيا "*Isaiah*" الذى تحول إلى رماد. علاوة على هذا فقد أصبحوا ضعاف غير راغبى في الحرب كالنساء.

ويمكن القول أنهم كانوا يسفكون الدماء كل شهر، وقد أصابهم الله بتعطيل بعض أعضائهم وجعلهم في حالة خزى دائم، منذ ذلك الحين وقد قتلوا في الحقيقة أخاهم قابيل "*Abel*" حيث جعلوا بذلك الهروب والتشرد على سطح الأرض أمر سهل، وهو شيء بغيض ترتعد له الفرائس ويخفق له القلب، ومرت عليهم أيامهم

أيامهم ولياليهم وهم فى فزع وخوف من الموت، وكان المسلمون الذين يعيشون بينهم يكرهونهم ويحتقرونهم أكثر من المسيحيين. وعلى هذا، فإن الأمراء المسيحيين كانوا يتحملون بغضهم وجشعهم من أجل مصلحة دنيوية هى الربح الفاحش، وقد سمحوا لهم أن يستعبدوا المسيحيين ويكرهونهم على السلب والنهب ويساعدونهم من أجل الربا الفاحش. وقد عملوا بين المسلمين بأيديهم فى تجارة أكثر ازدراء واحتقار ، واستخدموا وخدموا كعبيد عند المسلمين وعانوا من المعيشة بينهم فى أدنى مراتب الحياة ورغم هذا إلا أن المسلمين كانوا يقتلونهم أكثر مما كان يقتلهم المسيحيون، لأن المسيح حفظهم فترة زمنية، كالجزء من الغابة التى تشتعل فى الشتاء، أو مثل كرم الشرير حتى النهاية أى حتى نهاية العالم، عندما أنقذت البقية الباقية من بنى إسرائيل تحولت إلى شىء مؤلم، فإنها ستثمر من جديد عنب برى فقط، ثم فواكه نفيسة وعنب أصلى. وهكذا فإن النبى داوود قال عنهم : إن الله سوف يدعنى أحقق رغبتى على أعدائى. لا تذبحوهم خشية ألا ينسى شعبى ذلك، ودعوهم ينتشرون فى كل مكان .. إلخ، ومن أجل أن يذكرونا بموت المسيح، ونحن نتلقى "تتقبل" شهادتهم "دليلهم" من الكتب المقدسة عدا الأشياء التى تؤكد أن الرب مخلوق من أجلنا، كما يقول دانيال: "إن يسوع المخلّص سوف ينقطع، ولكن ليس من أجل نفسه بل من أجل شعبه. وسيأتى الملك ويحطم المدينة والحرم المقدس وسوف تفشل كل المحاولات ضدهم، ولم يكن هناك نبى يقدم أى دليل ضدهم من أجلنا "او بمعنى آخر، لا يحمل شهادة عينية ضدهم من أجلنا".
ولذلك فإن هؤلاء الناس قد عميت قلوبهم حتى أنهم كانوا يتلمسون طريقة يمشون بها فى منتصف النهار الذى صار كالليل الحالك، وأن أذنهم قد صُمت وعيونهم قد

أغضت، لدرجة أن هذا الشعب الأحمق العنيد لم يفهم أو يعرف كيف أن اضطرابهم قد آثار سخط الرب ضدهم بسبب موت المسيح. وحتى قبل موت المسيح، كانوا قد أغضبوا الرب بوسائل مختلفة، منها عبادتهم وتبجيلهم للأوثان وارتكاب أعمال مقيته أخرى، لدرجة أن المسيح تخلى عنهم، وألقى بهم في أيدى الأعداء ليستعبدوهم آحايين من الوقت قد تمتد عشر سنوات أو عشرين عاماً أو حتى أربعين سنة، وهذا حسبما قرأنا في كتاب الأحكام، وذات مرة كانوا قد زجوا بأنفسهم فى الأسر البابلى مدة سبعين عاماً ثم قام المسيح بعد ذلك بإطلاق سراحهم. ولكن بعد ما قاموا بقتل المسيح، لم نكن قد قرأنا منذ ذلك الحين أنهم كانوا يعبدون الأوثان وزجوا بأنفسهم فى العبودية، مدة أكثر من ألف عام وحتى الآن لم يكونوا قد اكتسبوا عفو المسيح. ولكن عندما صلى المسيح لله، وقال :

"إلهى كن رحيماً بى، إرفعنى إليك ثانية وسوف أكافئهم."

وبهذا التصرف أحرز صلاته من الله الآب، مثلما كان موسى من قبل بفترة طويلة، وكأنه ينطق بالوحى الإلهى قائلاً لهم: "إين الرب المبجل، الانتقام لى، حتى ألهى بالدين مرة ثانية. وأن الشر سوف يصيبك مرة ثانية فى أخر الزمان، لتحثه على أن يغبضك عن طريق أعمال يديك."

إن هذا الأسر الأخير، كان النبى دانيال قد تنبأ به فى هذه الكلمات، وأن الأمراء من الناس سوف يأتون ويحطمون المدينة والحرم المقدس، ومن ذلك المصدر سوف نكون مع الطوفان حتى تضع الحرب أوزارها، وأنه سوف يسعى لإيقاف الأضاحى والقرابين، وسوف تتحطم معابد الأعمال البغيضة، وسوف يستمر هذا التحطيم حتى يتحقق ويكتمل فى النهاية كل شئ.

ولكن هؤلاء، ومنذ بداية استرداد بيت المقدس بعد معرفة حالتها ومصيرها الغامض ، لقد نعموا بتحولها من الضيق إلى الازدهار، وقد تأكد صدق هذه المحن والبلايا التى عانى منها كل إنسان ومن تعاظمها أكثر من أى فترة سابقة، ومن أمثلة ذلك، ما أصابها من أعمال إجرامية بما تحويه من أناس شريرة ومؤذية، غير أتقياء ومدنسوا المقدسات من قطاع الطرق واللصوص والقتلة، خاصة قتلة الأبوين والأفاقين وأهل الزنا والخونة وقراصنة البحار والبغاء والمخمورين والزوجات اللواتى تركن أزواجهن ليعيشن فى بيوت الدعارة، أو الرجال الذين يهربون من زوجاتهم ويستبدلونهن بزيجات أخرى، ومن أمثال المرتدين من الرهبان والراهبات الذين اشتركوا فى جريمة البغى.

ومثل هؤلاء الأشرار فى الغرب عبروا البحر المتوسط واتخذوا من الأرض المقدسة ملاذاً لهم، فدنسوها بجرائمهم التى لا تعد ولا تحصى من الأعمال المشينة، فهم لا يخافون الله، ولا يحترمون الإنسانية، لأن ما ارتكبوه من آثام وعادات مخزية كانت عاداتهم وسماتهم الوقحة. علاوة على ذلك أنهم كانوا أنساب وذوى علاقات ومصاهرات متصلة.

إن الراحة والعقوبة التى هربوا منها، والحصانة التى مكنتهم من ارتكاب الأخطاء، وما منحوه لأنفسهم من ارتكاب الآثام وعدم التقوى، جعلتهم ينكرون وجود المسيح.

لقد مال هؤلاء تجاه المسلمين وحصلوا منهم على السفن والقوارب ولجأوا إلى البحر حيث توجد بعض الجزر، وقد اتخذوا من المقدسات مساكن لهم، خاصة مقدسات رجال الدين من الرهبان ليهربوا فيها من العدالة، والتى كانت تقع فى كل مكان يسلكونه، واتخذوا من تلك الأماكن حصوناً لهم ليهربوا من الضرائب وارتكاب الأخطاء . إن بعض الرجال الذين اشتهروا بسفك الدماء وكذا الأطفال، قد ضللوا فى بلادهم بسبب ما ارتكبوه من أعمال شريرة، وحكم عليهم أن يفقدوا أيديهم وأرجلهم أو يصلبوا.

على العموم، لقد استطاع هؤلاء أن يحصلوا على أحكام بالنفى من الأرضى المقدسة، بسبب أعمال الرشوة أو التسول، ولم يكن لهم أمل فى العودة إليها.

كان هؤلاء قد صاروا من مواطنى الأرض المقدسة وقاموا بتأجير مساكنهم للحجاج بإيجارات مرتفعة وغير معتدلة سواء باستخدام القوة، أو عن طريق التطرف. وقد اعترض منهم طريق الحجاج، النساء المومسات، اللواتى استطعن عن طريق أساليب الغش والخداع أن يجبروا الحجاج على دفع أموالهم كديون عليهم، مما عرض ذلك حياة الحجاج إلى البؤس والشقاء. وكان من عادة هؤلاء أيضاً أن يتخذوا من مرفأ الحشاشين ملاذاً لهم، واستخدموه فى أعمال اللصوصية والمغامرات وبيوت الدعارة للبغاء من أجل تحصيل أكبر كسب ممكن، ويدفعون سنوياً جزية للأغنياء والأقوياء من الرجال الذين يحتمون فيهم، وهكذا يمارسون جرائمهم السالفة، التى بلغت أقصى درجات الإثم، مما استوجب عليهم اللعن من جميع الأفراد. ولقد استمر هؤلاء فى ممارسة البغاء والمغامرات اللا إنسانية من أجل الحصول على أكبر كسب مادى ممكن؛ إن هؤلاء مرتكبى الآثام والبغاء والجرائم، وكذا الأعمال البغيضة الأخرى من أجل الحصول على الأموال، كانوا معارضين لأوامر السيد المسيح. وعلى هذا، فكان من الضرورى أن يلتقى هؤلاء مشتركين فى العقاب نتيجة ما ارتكبوه من آثام وجرائم.

لقد قام بعض هؤلاء، خاصة الطائشين منهم بالذهاب إلى الأماكن المقدسة، ليس بهدف الحج أو التقوى أو الورع، ولكن بهدف الفضول وحب البدع حتى أنهم كانوا يذهبون إلى أرض مجهولة، ثم يتأكدون من أنهم أصبحوا غرباء بسبب جهلهم واستجابتهم للقصص الأسطورية من الشرق.

في الواقع إن الله خلق بعض الأعمال الخارقة في الأرض المقدسة. التي تمثل في الواقع الحكمة، مما دفع الرجال الأكثر واقعية إلى أن ينكبوا على العمل من أجل تسبيح وتبجيل الله، حتى أن القديس برنارد[1] الذى جاب حول البحار والمحيطات، ولكن المتهورين والفضوليين من الرجال هذه الأشياء الخارقة لله إلى الطبيعة، ليقللوا من قوة الرب والثناء عليه. ولكن القليل من هذه الأشياء نعتبره صالحاً، بالإضافة إلى تلك الأعمال. كما أنه يمكننا أن نحقق مكاسب من أجل أن نبذل جهداً كبيراً للتعلم.

إن الخطر والفزع الذى أحدثه الزلزال، لم يكن فقط في المملكة اللاتينية. ولكن أيضاً في البلدان المحيطة بها، وعلى وجه الخصوص المدن الساحلية حيث اشتدت الرياح، التي تولدت نتيجة اندفاع موجات تحت سطح الأرض أحدثت تجويفات في الأرض بينما تحبس اندفاع الهواء عندما لا تحدث فتحة ولكن تهتز الأرض وترتعد بقوة ثم يحدث انفجار، وإذا لم تقاوم الأرض تلك القوة، فتحدث فتحة وتتكون هناك دوامة كبيرة، وبذلك تتحول المدن أحياناً إلى جهنم، وعندما لا تنفجر الأرض فتحدث اهتزازات مثل تلك الانفجارات العنيفة، ويكون من نتيجتها أن تتحول تلك المدن وأسوارها وأبراجها ومباني أخرى إلى انهيار مفاجىء ويموت الناس دونما قصد بسبب حدوث دخان كثيف، بينما العقلاء من الناس في تلك المناطق والذين لا يعرفون ما هى الساعة التى تسبق العاصفة التى تفاجئهم يسهرون ويجهدون أنفسهم، بل أنهم يعدونها ـ أى أرواحهم ـ إلى الموت، دونما الإصرار على التمسك بالحياة، فهم لا يستطيعون أن يتحدوا الموت.

---

[1] هو كبير أساقفة كلوربفونت في أيرلندا، مات عام ٥٧٦م، عن أربع وتسعين عاما

وكان من نتيجة هذه الزلازل، أن تحطمت بعض المدن خاصة مدينة صور، بعد أن وقعت في أيدى اللاتين وتحطمت بما فيها من سكان، وفى الوقت الذى كان يفاجىء الغرب تلك العواصف والبرق والرعد فى فصل الصيف كان يحدث هذا فى الأرض المقدسة فى فصل الشتاء. وأن الصيف فى الأرض المقدسة لم يسقط فيه مطراً أبداً، أو ربما إن حدث وهطل المطر، لم يكن شىء يذكر، غير أن الأمطار غالباً ما تسقط فى الشتاء وتستمر مدة ثلاثة أو أربعة أيام متصلة ويحدث طوفان وتنتشر المستنقعات وتغمر كل الأرض. بيد أن غالباً الأرض المقدسة تنتشر فيها الرمال وتحتفظ الجبال بقممها، مثلما هو الحال فى لبنان. أما فى موسم الصيف، حيث تشتد الحرارة فى أيام تعرف بأيام الشعرى[1] ، وفى شهر أغسطس يأتى رمال باردة إلى بيت المقدس تمتد يومين أو أكثر فى رحلة من لبنان، وتكون ممزوجة بالرياح التى يتحول فيها البرد إلى ثلج، وتظل تلك الرمال قائمة لكونها مغطاة بالقش والتى لا تسمح لها بالذوبان رغم حرارة الشمس أو دفء الجو.

وفى السامرة تنساب عيون المياه العذبة الصافية فى كل من البحر والبر، وهى تغير لونها أربعة مرات فى السنة، فتكون خضراء أو حمراء كالدم أو ترابية أو عكرة اللون وتكون هادئة وصافية أحياناً رابعة. وهكذا فإن الناظر إلى تلك المياه يزداد دهشة وسروراً. إن البئر المغلق لم يدفع مياهه بقوة المياه العذبة فى داخله، كل يوم دون فترة راحة، أو فترة فاصلة تتروح بين ثلاثة أو أربعة أيام فى الأسبوع، وبالقرب من جبل لبنان وبين مدينتى آركس "*Archas*" ومدينة رافانا "*Raphana*" يوجد نهر سريع الجريان وممتلئ بالمياه ونعرفه باسم سبتكل "*Sabbticat*"، لأنه يفرغ مياهه تماماً ستة أيام فى الأسبوع، وفى اليوم السابع فجأة يندفع بقوة، وفى كل من صور وعكا انتشرت صناعة الزجاج الخالص البعيد عن استخدام رماد وحصى البحر.

---

[1] هى الأيام التى تتحدد فى الفترة ما بين أوائل يوليو وأوائل سبتمبر، إذ فى هذه الفترة تكون درجة الرطوبة عالية جداً فى تلك المنطقة. انظر المورد الكبير.

وهكذا وبكل ما تحمل الكلمة من معنى، منح المسيح "الرب" شعبه المروج الخضراء، وكان من قبل غاضباً جداً على إرثه، الذى جعل أعداءنا قد بلغوا عنان السماء، وأصبحنا نحن فى الذيل لدرجة أنهم أخذوا أرضنا بالقوة، ليس فقط أرض الميعاد، ولكن تقريباً البلدان والمدن والقلاع التى تمتد من صور حتى العراق، والمدن الواقعة على شاطىء البحر، وتركوا لنا فقط اثنان منها هما صور وطرابلس، بالإضافة إلى أنطاكية وقليل من المناطق الحصينة مثل قلعة "*Cursatum*" وتقع بالقرب من أنطاكية والكرك والمرقب والقلعة البيضاء وعرقة "*Archis*" وأنطرطوس وقلعة أنفا "*Nephin*" كونتية طرابلس، وكل المدن القوية فى الداخل، سقطت فى أيدى المعوقين منهم، وهذه وتلك الكارثة كانت أفضل من تبعية كونتية الرها لهم إذ كانت بداية التعاسة، بسبب موت جوسلين الثانى الذى لم يكن مثل أبيه من حيث الكفاءة والقدرة، بل انغمس فى الملذات والفساد وأهمل أمر الدفاع عن مدينة الرها مما أدى إلى فقدانها وسقوطها، فى أيدى الدموى "سفاك الدماء" سيد الموصل التى كانت عاصمة إقليم آشور، وضرب حصاراً حول المدينة، وكسر فتحات بالقوة فى أسوارها، ثم أخذها عنوة، ونزلت عدالة السماء وانتقمت من جوسلين حيث وقع أسيراً فى أيدى المسلمين ومات جوعاً فى سجن حلب، وبعد هذا مباشرةً تنازلت زوجته عن ممتلكاتها إلى إمبراطور القسطنطينية مقابل دخل سنوى "*annuity*".

وأرسل الإمبراطور ما أمكنه من قوات عسكرية يونانية ووعد بأنه سوف يقوم بالدفاع عن الأرض ضد المسلمين، وابن الدموى السابق "أمير الموصل"، وحلل بسبب تراجع وانسحاب اللاتين، غير أنه فى نفس العام تنازل بعض اللاتين والقليلين منهم غير راغبى الحرب والمعروف عنهم الجبن والضعف تنازلوا عن

المدينة فى نفس العام، وقتل بعض اليونانيين داخل المدينة وأخذوا البقية الباقية إلى السجن، وقام أمير الموصل نفسه ـ نورالدين محمود ـ بفرض الحصار حول قلعة تعرف باسم 'Hrence' أى حارم، وهى تنتمى إلى إمارة أنطاكية، وتقع على بعد عشرة أميال من أنطاكية، وفى نفس الوقت ذبح ريموند أمير أنطاكية فى المعركة، وتولى ابنه بوهيمند عرش الإمارة من بعد مقتل أبيه، وكان قد وقع أسيراً فى أيدى المسلمين، وبذلك قام نورالدين محمود بسهولة بتحطيم القلعة ولم يلق غير مقاومة ضعيفة، وبذلك يكون قد استولى عليها بالقوة وضمها إلى ممتلكاته فى مدينة بانياس، بينما كان ملك بيت المقدس أماlريك فى طريقه قادماً من مصر؟! ومنذ ذلك الحين بدأت قواتنا تضعف وتنهار، ورغم هذا ظلت تدافع عن الأرض المتبقية طالما أن مملكتا مصر ودمشق باقية فى أيدى زعامات متنافرة، ومعادية بعضها مع بعض.

غير أنه بسبب أخطائنا وآثامنا السابقة، أعطى الفرصة لمملكتا مصر ودمشق على أن تكونا تحت زعامة رجل واحد، هو نور الدين محمود، ومن بعده صلاح الدين، بينما أخذت مملكة بيت المقدس التى كانت تقع بينهما تتأهب للسقوط، وتحولت إلى حالة من الفوضى والارتباك الشديد، حتى صار أحد مسلمى بانياس، ـ وهى إحدى مقاطعات نور الدين ـ من أن يكون سيداً على مصر، ثم تحولت بموته إلى ابن أخيه صلاح الدين. كان صلاح الدين هذا حكيماً وصاحب مقام رفيع، يتميز بالمهارة الفائقة بين قواته وهو مقاتل محنك ـ بعيد النظر ـ حازم فى عمله، كان يتسم بالتسامح الواضح، ليس فقط مع المسلمين ولكن أيضاً مع المسيحيين، وهذا ما جذب إلى جانبه كل من كان فى حضرته أو كان بعيداً عنه.

إن كل العالم يعرف كيف أنــه قد أصابتنـا شروراً وأضـراراً كثيرة، عندما أنزل الرب جم غضبه على المسيحيين ومزقهم إلى أشلاء متناثرة، وبعد كل هذا قد علم صـلاح الدين بموت سيده "نورالدين محمود" فـانتزع مملكـة دمشـق مـن حاكمها "ابن نورالدين" الذى كان يعيش آنذاك فى حلب، وكان قد مـات فـى التـو بينمـا نجـح رئيس المملكة بإحراز انتصاراً كاملاً عليهم، أو أنه خوفهم بسبب خيانته العظمى، وقـد استمر فى انتزاع بعض مدن الأغنياء من زعمائهم السابقين الذين كانوا يخدمونـه "أى ابن نورالدين" وكذلك أبيـه. وبـالمثل حمـاة ومـولب *Moubee*، وكذلـك مدينـة الرهـا، وطبقة العامة الذين يعرفون بالحمل وكذلك حمص "*Homs*" وقيسارية وشيزر.

وبعد وفاة ابن نور الدين السابق سقطت حلب فى أيدى عمه سيد الموصل، عن طريق الحق الوراثى، ثم انتزعها صلاح الدين بالقوة، وليس فقط حلـب، ولكـن أيضاً كونتية الرها، وكل البلدان التى تمتد على نهـر الفـرات ومـدن العـراق النبيلـة والرها وحران "*Carra*" وتقريباً كل البـلاد. وكـان نجاحـه وانتصاراتـه قد أفزعت قواتنا وأغضبتهم وأخذتهم، خاصة منذ أن بدأ المسلمون الذيـن كـانوا فـى مواجهـة اللاتين الأوائل والذين لم يكن لديهم خبرة حربية وأجبروا على الدخول فى المعركـة دونما أية أسلحة فى أيديهم، لا يحملون شيئاً، ولكـن فقـط السـهام والأقـواس التـى تدربـوا عليهـا، المقـابلات المتكـررة مـع قواتنـا فـى أرض المعركـة أدت إلــى أنهـم اكتسبوا منها الخطط العسكرية، فقلـدوا اللاتيـن فـى اسـتخدام دروع لحمايـة الصـدر، والخوز والرماح والسيوف والتروس الواقية، فلتستريح مملكة بيت المقدس وتسقط فى أيدى واحد من أولئك الذين لم يكـن مـن ذريـة هـؤلاء النسل. وقـد منـح هـؤلاء حرية كالتى كانت لبنـى إسـرائيل، وكـان نتيجـة لهـذا أن وقـع شـجار وكراهيـة بيـن بارونات مملكتنا.

كان جودفروى من أوائل اللاتين الذين وضعوا أساس "قواعد" للحكم فى مملكة بيت المقدس، وبفضل رعاية السماء حرر الأرض وخلصها من أيدى المسلمين.

وفى الواقع حكم لمدة عام واحد، وقد هزم سلطان مصر فى المعركة مع عدد لا يعد ولا يحصى، من قوات المسلمين، وعندما كان يحتضر تقدم أخيه بلدوين كونت الرها، ليتولى عرش مملكة بيت المقدس، وكان أول ملك لمملكة بيت المقدس، لأن أخيه جودفروى، رفض أن يرتدى "يلبس" تاج المملكة لأول مرة، وبذلك قام سيده بإلباسه التاج الملكى "عرش المملكة". وكان بلدوين هذا مع مأتين وستين فارساً وتسعمائة من المشاة هزموا خليفة مصر، والذى كان على رأس أحد عشر ألفاً من الفرسان وثلاثين ألفاً من المشاة ضده، وقام بلدوين بذبح الخليفة ومعه خمسة آلاف من المسلمين، أما البقية الباقية منهم فقد أخذهم كأسرى، وأنقذ البعض الآخر بالهروب، وأيضاً فى معركة أخرى مع قوات قليلة جداً تمكن من هزيمة قوات ضخمة جداً فى عسقلان ومصر. وفى معركة ثالثة كان معه خمسمائة فارس وألفان من المشاة هزموا خمسة وعشرون ألفاً من المصريين، وذبحوا أربعة آلاف منهم وكان من بينهم سيد عسقلان، وقد هرب الباقون. لقد حكم مدة ثمانية عشر عاماً ثم مات بعد ذلك، وكان خليفته وثان ملك لمملكة بيت المقدس هو بلدوين دى بورج وهو أحد أقربائه، قاد فى عامه الثانى من اعتلائه العرش سبعمائة فارس، والتحم فى معركة معه غازى وهو واحد من ديار بكر من أقوى أمراء الترك.

قام غازى هذا بقيادة حشد لاحصر له من الأتراك وكان قد هزم فى المعركة وقتل أربعة آلاف من قواته وألقى بعضهم فى السجن ، وهرب هو بنفسه بصعوبة مع القوات الباقية. وفى المعركة الثانية قاد بلدوين أحد عشر فارساً وألفين من المشاه وهزم ملك دمشق الذى قيل أنه كان فى حوزته خمسين ألفاً من الفرسان وقد ذبح منهم ألفين وأخذ بعضهم وجرد عدد كبير منهم بينما البقية الباقية منهم قد فروا هاربين مع قائدهم وهذا فى مقابل سقوط أربعة وعشرين من قواتنا. وفى معركة ثالثة قام هذا الملك بتحطيم قوات عسقلان التى تجمعت مع القوات المصرية التى حضرت لمساعدتهم. وفى رحلة رابعة سحق ملك دمشق ذابحاً ألفين من العدو مقابل فقدان أربعة وعشرين من فرساننا وثمانية من المشاة. حكم مدة ثلاثة عشر عاماً ثم مات. وكان خليفته على عرش مملكة بيت المقدس، صهره "زوج ابنته" فولك الانجوى وذلك بزواجه من ابنة الملك الكبيرة، مليسند، وقاتل فى معركة بالقرب من انطاكية ضد حشود لا حصر لها من الأتراك الذين اندفعوا بقوة من الخليج الفارسى، وحقق نصراً حاسماً على الأعداء ، وذبحوا ثلاثة آلاف منهم وسجنوا بعضهم وأجبروا الآخرين على الفرار. لقد حكم أحد عشر عاماً ثم مات عندما كان يقوم بعملية صيد لأرنب وحشى بالقرب من عكا حيث تعثر وحصانه وسقط من فوقه، ووقعت كارثة تبعث على الأسى والحزن حيث مات "فولك" تاركاً ولدان الأكبر يعرف باسم بلدوين الذى تولى العرش "عرش المملكة الصليبية من بعده" ويُعرف الابن الثانى باسم اماليك. وفى السنة الخامسة عشر من حكمه قاتل هذا الملك نورالدين أمير دمشق وظل سيد الميدان، وقد فر نورالدين مع بعض قواته بينما ذبح البقية الباقية منهم. وقد حكم مدة أربعة وعشرين عاماً ومات دون أن يكون له أولاد فتولى عرش المملكة من بعده أخيه أماليك وفى السنة الأولى من حكمه قاتل ضرغام رئيس الوزراء فى مصر وحقق نصراً

خارقاً في ذلك اليوم وأحدث مجزرة عظيمة على الأعداء. وفي المعركة الثانية في برية مصر كان على رأس ثلثمائة وسبعين فارساً وقاتل ضد المسلمين "شيركوه" رئيس وزراء سلطان دمشق وكان جيشه من المسلمين يتكون من إثنى عشر ألفاً من التركمان وإحدى عشر ألفاً من العرب، وقد تفرقوا في الليل، عندما سقط مائة من قواتنا، وقيل أن ألفاً من الأعداء قد قُتل، لقد حكم اثنى عشر عاماً، وقد تولى ابنه بلدوين "الرابع" عرش المملكة عندما كان أبيه يحتضر. وعلى الرغم من أن الله قد أصابه بمرض الجذام إلا أنه كان ملك قوى. ففي السنة الثالثة من حكمه كان على رأس ثلثمائة وخمسة وسبعون فارساً والتقى بصلاح الدين بالقرب من عسقلان ومعه ستة وعشرون ألف فارس وهزمه. وفر صلاح الدين هارباً مع بعض فرسانه وأما البقية الباقية منهم ذبح بعضهم وسجن البعض الآخر، وكان ذلك مقابل أربعة أو خمسة من رجالنا. ثم التقى بصلاح الدين في معركة أخرى بالقرب من طبرية ومعه سبعمائة فارس وهزمه على الرغم من أن صلاح الدين كان معه عشرون ألف فارس. وفي هذه المعركة، ذبح بلدوين ألفاً من الأعداء مقابل سقوط عدد قليل من جانبنا. ولم يتزوج هذا الملك بسبب مرضه، ثم زوج أختيه من اثنين من النبلاء، وكانت أخته الكبرى سبيلا قد تزوجت من وليم لونجورد مركيز من مونتفرات وتزوجت ايزابيلا من هيمفرى من توران، وبموت وليم زوج سبيلا ترك له ابناً يعرف باسم بلدوين وأعطى الملك "زوج الملك" اخته سبيلا من شاب يعرف باسم جوى لوزجنان، هذا الأخير قد تسلم إدارة المملكة بسبب اشتداد المرض على الملك بلدوين الرابع، ولكن وقعت وحشة بينهما، وغضب الملك وفقد لوزجنان عرش المملكة. ومن أجل ذلك دعا الملك جميع المسئولين في المملكة ودعا أيضاً ابنة عمه الصغير بلدوين ليكون ملكاً مكرساً. ووضع بلدوين مسئولية وإدارة المملكة وأمر الدفاع عنها في أيدى كونت طرابلس.

لقد مات الملك بلدوين بعد ذلك بفترة قصيرة بسبب مرض الجذام. وبينما كان الملك بلدوين على فراش الموت اعتلى جوى لوزجنان عرش المملكة بعد زواجه من سبيلا صاحبة الحق الشرعى فى عرش المملكة دون الرجوع إلى كونت طرابلس الذى كان قائماً بأمر الوصاية على كل شئون المملكة. وكان الكونت ساخطاً على ذلك. خاصة وأنه كان يطمع فى العرش فعقد هدنة مع صلاح الدين دون الرجوع إلى الملك "جوى لوزجنان" الذى كان بمثابة عدوه الأول - أى عدو كونت طرابلس - وزاد من قوته فى المملكة كيما يمكن مواجهة الملك ويستغل الوسائل التى تسبب له الأذى والضرر، فتزوج من الوريثه لكل من طرابلس والجليل. وعلى هذا، فقد بدا كونت طرابلس معادياً بشكل خطير ومؤذى بالنسبة للمملكة حتى أن المملكة تحزبت وانقسمت بين مؤيد للكونت وآخر فى جانب الملك.

كان صلاح الدين رجل حكيم اشتهر بحنكته العسكرية، وصاحب بصيرة بالأمور أمامه، حتى أنه استطاع أن يستغل انقسام المملكة على النحو السالف، مما جعل صلاح الدين أكثر قوة وثباتاً على ممتلكاته، لأن سيد مونتريال "قلعة الشوبك" وكل البلدان الواقعة خلف الأردن قد نقضت الهدنة مع صلاح الدين، مما دفع هؤلاء أعمال الشغب والسلب والنهب ، وقد جمع صلاح الدين قوات عسكرية من كل البلدان التى تقع تحت سيطرته وطلب الإغاثة والنجدة من كل الفرسان والمشاة ليقاتلوا ضدنا من المصريين وجزيرة العرب والدماشقة والحلبيين والعراقيين وأرسل من قبله عشرة آلاف اختيروا من الفرسان، الذين مروّا عبر أراضى كونت طرابلس، الذى وقّع المعاهدة مع المسلمين. وعلى ذلك فإن البلدان طبرية، والناصرة وضواحى عكا كانوا يحرضون على وقوع معركة مع قواتنا حتى النهاية ولو أننا اتبعنا طيشهم وتهورهم لعرضنا قواتنا للهزيمة والأسر فى أيدى المسلمين. ولكننا لم نستجيب لتلك الحيلة الماكرة من قبل براعة المسلمين. غير أن رئيس الداوية.

وأكثر من سبعمائة فارس هاجموا بقوة مع رئيس الاسبتارية الذى كان عـائداً مع عشرة فرسان من قلعة بلفوار "*Belvoir*" - أى كوكب الهوا الآن - ثم انفصلوا عنهـم بالقرب من قلعة روبـرت "*Casale Robert*" وهـى مكـان الآن يعرف باسـم كفـر كانا. وعلى الرغم من أنهم كانوا مائة وعشرين فارساً فقط فـى رحلتهـم ضـد عشـرة آلاف مسلم، إلا أنهم قاوموا بشجاعة وذبحوا بعض المسلمين، غير أنهم جميعاً قتلوا تقريبـاً أو أسروا وهرب رئيس الداويـة مـع قليل مـن أتباعـه بينمـا ذبـح رئيـس الاسبتارية. وهكـذا كـان أول مـايو يعتبر انتصـاراً حربيـاً قـد حققـه الأعداء علينـا، وبذلـك تنفـس المسلمون الصعداء، بعد تلك المعركة وحشدوا كل قواتهـم، وفـى يونيـو التـالى ضـرب المسلمون حصاراً حول مدينة بعيدة جداً عن مملكتنا ناحية دمشق ويبدو أنها طبريـة، لأن كونت طرابلس الذى كان ينتمى إلى تلـك المدينـة قـد انسـحب مـن المسـلمين عندمـا نقض المعاهدة، فإنه كما زعم هو أنه كـان بينـه وبيـن المسـلمين فرسـخاً واحـداً وقـد دبروا معه مكائد وشرور كثيرة ضد ملك بيـت المقـدس. وبذلـك قـام بتحصيـن المدينـة سالفة الذكر ضد المسلمين ، وترك زوجته مع حامية عسكرية فـى الموقـع. والآن قـام السيد جوى لوزجنان ملك بيت المقدس وريموند كونت طرابلس مـع معظـم نبـلاء المملكـة وكـل الفرسان والمشاة الذين أمكن تجنيدهم، وقد أمدهم الله أثنـاء المعركـة بجنـود اتجهـوا معهم لمحاربة وقتال المسلمين "صلاح الديـن" وثبتـوا خيـامهم بموقـع هـام بـالقرب مـن صفورية وكانت قواتهم أكثر عدداً وأمناً من مساعدة الرب. وعلى هذا ومنذ ذلك الحيـن وعند دخولهم الأول إلى الأرض المقدسة لم تستطع قواتنـا أن تجتمـع فـى حشـد كبيـر وفى معركـة واحـدة. وجدير بـالذكر أن مائـة واثنـى عشـر فارسـاً بدروعهـم وحوالـى عشرون ألف من المشاة مع الجيش بالرمـاح والأقـواس لـم يقومـوا بـالدور المطلـوب منهم فى تلك الحملة.

وفى الصباح وعندما كان جيشنا فى الطريق متجهاً نحو المدينة المحاصرة فإن حشوداً عظيمة من فرسان جيش صلاح الدين البارزة هاجموا المدينة وقاموا بمغامرة من الجانب الأيمن وكذلك من الجهة اليسرى وجُرحت الخيول على نحو متواصل وكذلك قوادهم حتى أنهم أجبروا الجيش على أن يتخندقوا وينصبوا خيامهم فى مكان مقفر جدب. وقد أدرك صلاح الدين بحكمته هذا الموضع السيئ، وفى الصباح، وقبل أن تصل قواتنا إلى المياه التقيا فى حطين بالقرب من طورون، ومع صفوة من قواته الخاصة انقضوا على قواتنا التى كانت فرسانها وقوادها قد هلكوا من شدة العطش، وبالمثل كانت الحرارة شديدة، لأن الحرارة عادة ما تكون شديدة فى شهر يوليو.

وفى اليوم الرابع كان عيد الانتقال للقديس مارتان فى السنة الحادية عشر بعد المائة وسبعة وثمانين بعد تجسيد المسيح، ومن أجل خطاياهم حرر المسيح الشعب المسيحى من أيدى المسلمين ، وبسبب هروب قواتنا فجأة انحصرت أعدادهم وصاروا قلة، حيث ذبح بعضهم وسجن البعض الآخر. وبسبب تلك الرهبة والجبن أنزل الرب جم غضبه عليهم، لأن الفرد "الواحد" من الأعداء كان يطارد أمامه مائة من رجالنا، كما أن بعض قواتنا كانت تلقى بنفسها بين أذرع الأعداء، بينما البعض الآخر كان يوافق على أن يسلم نفسه إلى أيدى الأعداء. وبعد هذا القتل الكثير وقع الملك جوى لوزجنان ملك بيت المقدس مع كبير الداوية وبعض الأعيان فى الأسر بينما هرب الجبناء قبل أن يتعقبهم هذا المصير المحتوم. حتى أنهم كانوا على يقين من أن الرب كان غاضباً عليهم، والذى لاريب فيه، أن الحجاب الذى كان بينهم بين ربهم قد سلب منهم، لقد كانوا تعساء وأصحاب حظ سيئ فى ذلك اليوم الأسود لفقدانهم صليب خلاصنا، الذى سقط منهم فى المعركة معهم. وفى الحقيقة كان تفكير صلاح الدين هو تحطيم قادة الداوية والاسبتارية فى الشرق فكانت أوامره لهم أن كل واحد منهم قد أخذت قواته يجب أن يقطع رأسه.

بعد فترة طويلة من تلك الكارثة كان بعض المسيحيين قد ألفوا حياة الهرب وحتى أولئك الذين كانوا يعيشون خلف المدن والأماكن الحصينة كانوا يتسمون بالفتور مثل النساء، واضطربت قلوبهم لأن بعضهم لم يجرؤ أن ينتظر وقوع هجوم من بعض المسلمين.

وعلى ذلك، وعلى الفور، وبعد انتصار صلاح الدين عندما كان أمام عكا استسلمت المدينة، وأمّن صلاح الدين أصحابها على أنفسهم ثم انطلق بعد ذلك إلى بيروت، وكانت تلك المدينة أيضاً قد استسلمت له دونما أية مقاومة نظراً لما أصاب سكانها من يأس وقنوط، ثم يمم صلاح الدين بعد ذلك إلى جبيل *"Giblium"* شمال بيروت دونما أية صعوبة ولم تكن أى من المدن الساحلية الممتدة من عكا إلى عسقلان تجرؤ على مقاومة صلاح الدين ، غير أن أهل عسقلان كانوا يعتقدون أن مدينتهم حصينة ومنيعة ولذا اعترضوا وقاوموا صلاح الدين وأوقفوا تقدمه فترة من الوقت، وأجابوا بأنهم لن يستسلموا إلا بعد أن يعرفوا مصير مواطنى بيت المقدس، وكان صلاح الدين قد ثبت خيامه أمام مدينة بيت المقدس، وقام المسيحيون فى المدينة بتسليمها إلى صلاح الدين مقابل سماح صلاح الدين لهم أن يحملوا أمتعتهم وبضائعهم والتوجه بها إلى حيث يشاؤون وكل ما يستطيعون حمله إلى أرض بعيدة. وعلى هذا فقد تمكنوا من الهروب من أيدى الأعداء. ولكنهم بعد أن وصلوا إلى طرابلس وقعوا فى أيدى مضللة ومدنسة، وكان ريموند كونت طرابلس قد حضر معهم ليسلبهم بكل ما تحمل الكلمة من معنى وكان أبناء باليان من أتباعه، وكان من الواجب على هؤلاء أن يبدوا لهم خيانتهم باعتبارهم إخوتهم فى المنفى، ولكنهم أثبتوا لهم أنهم أكثر وحشة وقسوة للمسيحيين من المسلمين أنفسهم، حتى أنه يمكن القول أن ما قاموا به من أعمال هناك كانت حقيرة وجديرة بالشفقة، وبلغت هذه الأعمال من الوحشة والتدنيس مالم يسمع به فى عصور سابقة.

إن بعض هؤلاء قد بلغ به السفه إلى سرقة ما كانت تحمله الأم على كتفيها من أشياء تدخرها لأبنائها واعتدوا على أمتعتهم وحتى آدميتهم بالسلب والنهب. وعندما شاهدت تلك النساء ما تعرضن له من أعمال السطو والسرقة من جانب أخوانهم المسيحيين ـ وهي أشياء كان المسلمون قد تركوها لهم من أجلهم وأجل أبنائهم !! ـ كانوا يفضلون العودة ، فوراً إلى بلادهم عن طريق البحر، حيث كانت تعمل النساء يفضلن الحياة في بلادهن بعد أن أصابهن الكرب واليأس من الحياة هناك. عاد صلاح الدين إلى عسقلان بعد أن استسلمت له المدينة مقابل إطلاق سراح الملك ورئيس الداوية اللذين كانا قد وضعا في السجن من قبل، وعندئذ عاد إلى مزاولة نشاطه كجندي رشيق، فواصل الزحف إلى طرابلس بعدما قام مواطنوا المدينة بحركة تمرد ومقاومة ضد جند صلاح الدين. ولكن صلاح الدين كان قد ترك المدينة لحين وقت مناسب وقام بالاستيلاء على بعض الأماكن الحصينة ثم اتجه إلى أنطاكية لأنه منذ ذلك الوقت لم يعد يتدخل فيما لا يعنيه باستثناء القلاع والحصون التي تمتد على الساحل، وكان زعيم للقراصنة المعروف باسم مورجريت '*Murgarit*' رجل شجاع له الهيمنة والسطو على البحر، وجاء من مملكة صقلية ومعه ثمانين سفينة لمساعدة قولتنا، وأرسل ملك صقلية معهم هذا الرجل . إن هذا الملك عندما سمع بسقوط بيت المقدس الباعث على الأسى ، لجأ إلى بلدته عن طريق البحر، وقام مباشرة في نفس الصيف وأرسل ليس فقط السفن السابقة ولكن أيضاً خمسمائة جندي وثلثمائة من القوات الخاصة '*Turcopoles*' وزودوها بمؤن كثيرة لمساعدته ما كان قد بقي من الرجال الممتازين وذوي الجرأة ، وكانت روح صلاح الدين العالية جعلته يواصل انتصاراته بقوة ونشاط إذ في خلال ثلاثة شهور فاز بإمارة أنطاكية وحصن بطرياركية أنطاكية المنيع المعروف باسم القصير *Cursatus* ، وأنطاكية المدينة نفسها التي ضرب حصاراً عليها وتلقى مبلغاً كبيراً من المال من البطرق من منطلق القوة، ثم استولى بعد ذلك صلاح الدين على المناطق الحصينة التي تحيط بالقلعة ، ولم تستطيع

إحدى المدن التصدى له ومقاومته، وعلى هذا جعل من نفسه سيداً على خمسة وعشرين مدينة، وكذلك المدن الخاصة بالإمارة . وبعد ذلك وفى أثناء عودته إلى بيت المقدس ، كان قد حاصر وطوق تماماً من البحر والبر مدينة صور وهى المدينة الوحيدة التى بقيت من كل مدن الأراضى المقدسة. وكان فى ذلك الوقت فى مدينة صور نبيل شجاع هو كونراد ماركيز مونتفرات ، الذى أبحر إلى هناك على ظهر سفينة من القسطنطينية، وفى نفس اليوم كانت قواتنا قد هزمت فى المعركة السابقة. وقد وعد هذا النبيل المواطنين بأنه سوف يدافع عن المدينة إذا هم وعدوه أن يمنحوها إياه بعد أن يستردها من العدو . وبعد إلحاح كبير ، وافق المواطنون على أن يفعلوا هذا، لأنهم على يقين من أنهم لن يستطيعوا أن يؤمنوها بأية طريقة ممكنة أو التصدى فى وجه صلاح الدين الذى جعل من نفسه الآن سيداً على كل البلاد.

على أية حال، قاوم كونراد صلاح الدين بقوة فى فى المناطق المجاورة، وأشعل النار فى سفنه الموجودة فى البحر.وقد أدى هذا إلى ارتباك صلاح الدين وأثار غضبه واضطر إلى رفع الحصار ورحل على الفور. ثم فكر صلاح الدين فى أن يضيق الخناق على أهالى صور ويجبرهم على الاستسلام دونما أدنى تكليف أو خسارة ودون إراقة دماء، وبهذه الوسيلة استطاع بسهولة أن يحقق هذا الهدف . ولم يمده الرب بطريقة أخرى لأن صلاح الدين أجبر بعض المناطق الحصينة على الاستسلام مثل صفد *Saphet*، وبلفوار *Belphoir* ـ أى كوكب الهوا الآن وتبنين "*Toron*" وشقيف ارنون بلفورد *Belfort* وظلت تلك المدن صامدة حتى نفذت مؤنهم، فاضطروا إلى الاستسلام.

وهكذا فإن صلاح الدين استطاع بأقل مجهود أن يصير سيداً ليس فقط على مصر، ولكن أيضاً على كل سوريا التى تمتد من نهر دجلة "*Tigris*" حتى مصر ومن قيلقية حتى البحر الأحمر.

إن الجـزء الأول من سـوريا والذى يمتد بين دجلة والفرات يُعرف باسم عراق سـوريا ، والجزء الثانى يعرف باسم جوف سوريا "Coele Syria" فى تلك المناطق توجد أنطاكية وملحقاتها من المدن ، والتى تمتد بعيداً حتى نهر باتياس valanie جنوب قلعة المرقب Margat ، ويسمى الجزء الثالث من سوريا باسم الساحل السورى أو سوريا الفينيقية وفيه تقع طرابلس وصور وعكا، وتبدأ من النهر المالف الذكر، وتنتهى عند لوبس لنكوس والتى تسمى بـ "Distrietum"[1]. وفى تلك الأيام تُسمى قلعة الحجاج .[2] وأما الجـزء الرابع من سوريا فيُعرف بلبنان سوريا حيث توجد فيه جبال لبنان، وتسمى أيضاً دمشق سوريا لأن دمشق هى عاصمة المدينة.

وأحياناً يُطلق عليها اسم سوريا باعتبارها جزء أخذ اسمه من الكل "وكما هو فى النص الأصلى " راس سوريا دمشق ". وهناك ثلاث مدن فلسطينية هى التى تمثل أعظم أجزاء فى سوريا، الأولى هى عاصمة مملكة بيت المقدس ، وهذا الجزء بصفة خاصة يسمى يهوذا ، والثانى وهو العاصمة ، قيصرية فيليب وهى التى تحتوى على كل بلدان فلسطين . أما المدينة "الجزء" الثالثة سكيتوبليس 'Scythopolis' والتى تُعرف اليوم باسم بيثان ، وفوق كل ذلك ، فإن كل جزيرة العرب هى سوريا وتُعرف الأولى منها بالعاصمة بُصرى، والثانية هى البتراء فى البرارى ولكن سوريا النقب، عاصمة السوباط هى من أعظم أجزاء سوريا، وأما الجـزء الأخير فيُعرف بوادى عربة "Idumaea"، ناحية مصر، وكانت خصم عنيد، وقوى لها السيطرة على أجزاء عديدة من المملكة وكذلك بعض المناطق الرئيسية ، كانت سوط عذاب ضدنا سلطه الله علينا بسبب ما ارتكبناه من آثام.

---

[1] ميناء قديم شمال عثليث

[2] وهى القلعة التى بناها رجال الداوية ١١٩٢م وكلمة Disict هى اسمها القديم تسمى أيضاً خطأ بقيسارية فلسطين.

وفى الوقت نفسه فإن سوء أحوالنا الذى يبعث على الأسى والحزن قد انتشر وكان صدمة لكل بلدان الغرب حيث أصيبوا بخيبة أمل جميعاً وكذلك تأثر الجميع بجرائحهم الرهيبة . وفوق هذا فإن البابا المبجل أوربان [٣] الذى كان عندئذ بابا الكنيسة الرومانية المقدسة، عندما سمع بهذه الأخبار، انتابه الأسى والحزن، لأن فى أيامه كانت الكنيسة الشرقية فى حالة يرثى لها .انتابها الجدب، وأصبح من المتعذر إصلاح ما تحطم، وعندما سمع أن الأماكن المقدسة قد دنست ووطأتها "الكلاب القذرة" بأقدامها فإن خشبة الصليب النفيسة، خشبة خلاصنا، قد ملكها ووضع عليها أيدى أناس غير أتقياء أو مخلصين، وأن الأرض المقدسة قد استردت مقابل تضحيات المسيحيين الأوائل بدمائهم، ولكن اليهود والكفرة قد احتلوها للمرة الثانية، ما أحزن ذلك أوربان الثالث، حتى تعرض للإصابة بالحمى وظل بعد ذلك مصاباً بالحمى والحزن حتى وهن ومات. وقد تولى العرش البابوى من بعده سلفه جريجورى[١] وكان رجل صادق ومخلص كثير الإحسان. غير أنه مات متأثراً بآثامنا بعد سبعة أسابيع من توليه المنصب البابوى.

تولى من بعده كليمنت الثالث[٢] الذى وصل إلى أعلى المناصب الأسقفية المبجلة واجتمع إخوانه للكرادلة الذين كانوا يعملون بكل السبل لمساعدة واسعاف المسيحيين الذين أهملوا باعتبارهم قلة مثلما هو الحال " ترك الأغنام بين الذئاب ".

---

[٣] هو أوربان الثالث تولى كرسي البابوية فى ٢٥ نوفمبر لسنة ١١٨٥ ومات فى ١١ أكتوبر ١١٨٧م

[١] هو جريجورى الثامن تولى العرش فى ٢٩ أكتوبر سنة ١١٨٧ ومات فى ١٧ ديسمبر من نفس العام.

[٢] تولى فى ١٩ ديسمبر لسنة ١١٨٧ ومات فى ٢٧ مارس ١١٩١م.

لقد دعا وتوعد وتوسل إلى الأمراء الغربيين وكل المخلصين من الشعب المسيحى فى الغرب من أجل تحرير الأرض المقدسة وقد تلقى قبولاً منقطع النظير لمنحهم صكوك الغفران لكل ذنوبهم، شريطة أن ينطلقوا بقوة وسرعة لا يرجئوا تحرير كنيسة المسيح ومدينة خلاصنا ، وعلى هذا ، قام كل من فردريك الإمبراطور الرومانى وفيليب ملك فرنسا، وريتشارد ملك إنجلترا، ومعهم كل الأمراء والدوقات والإيريل[٣] والنبلاء الذين تركوا ممتلكاتهم واجتمعوا مع رئيس الأساقفة والأساقفة والأحبار وآخرين من رجال الدين الكنسى وأناس لا حصر لهم، يقدمون النذر اللاتينية لإنقاذ الأرض المقدسة ويشجع كل منهم الآخر بالقول والفعل وإثارة الحماسة للآخرين، لأنه من الخزى والعار لهم أن يظلوا فى بيوتهم خاملين جبناء بينما يحمل الآخرون الصليب.

وفى الصيف الثانى من فقدان الأرض المقدسة لم يكن فى مقدور الملك جان استرداد صور لأن الماركيز السابق والذى استطاع إنقاذها من قبل أعلن أنها ضمن ممتلكاته وفقاً للاتفاقية وأن كل مملكته التى تحت يديه لم تكن تتعدى قرية واحدة وباقية فى موطنه مسقط رأسه، علاوة على ذلك فإنه امتلأ حزناً وأسى خاصة بسبب الأراضى المقدسة التى فقدت أثناء فترة حكمه، وكانت حياته تتسم بالطيش والتهور، مع بعض اتباعه الذين اجتمعوا معاً وفرضوا حصاراً حول عكا وثبت خيمته فوق ربوة عالية بالقرب من المدينة، وكان معه أخيه جودفروى لوزجنان، وهو رجل يتسم بالشجاعة والجرأة الذى لقى تأييد وعطف أخيه الذى كان يتقدم كل الحجاج الآخرين. وعندما سمع صلاح الدين بذلك شكر الله، لأنه أمسك بالبقية الباقية من المسيحيين وملكهم بين يديه، وبالفعل فإن عدد قليل من الرجال لم يستطيعوا المقاومة لأهل عكا خشية من صلاح الدين وجيشه الذى لا يعد ولا يحصى.

---

[٣] هو لقب إنجليزى أدنى من المركيز وأرفع من الفيكونت

وعندما أساء أمراء صلاح الدين إليه أسرع لأن يأخذ الغنيمة "الجائزة" التى أعلنها الرب بطريقته. ويذكر أنه أجاب أنهم لم يستطيعوا الهروب، وأنه يجب عليه أن ينتظر أخيه الذى توقع وصوله فى فترة قصيرة كى يلعب دوراً فعالاً فى إنتصاره ومعادته. ولكن لم تمر عدة أيام بعد ذلك حتى وصل إلى مسامعه أنه دائماً ما كان يقع الأذى والضرر، ويجب ألا يؤجل ذلك، عندما يكون المرء مستعداً أن يقوم به بعض النبلاء وخدام الرب المصدق عليهم، والمعروف باسم جيمس أو فورجن، ومعه قوة من الفلمنكيين والعامة والفريزيين، الذين جاءوا فى وقت مختصر جداً وتخندقوا أمام عكا، علاوة على ذلك فإن حشداً من النبلاء وآخرين من الشامباتين والبرجنديين وبعضهم من إيطاليا، وصلت بعد ذلك بفترة قصيرة إلى المعسكر أمام مدينة عكا، ولكى يتجنبوا المفاجأة وعدم توقيع الهجوم من المسلمين حصنوا معسكرهم بحفر خندق حوله من كل جانب.

وقد مضت فترة طويلة مليئة بالبؤس والشقاء والأهوال والخسائر قبل مجئ ملوك فرنسا وانجلترا ، ومن أجل ذلك قام المسلمون، بإحراق آلاتهم الحربية "آلات الحصار" وذبح بعضهم وجرحوا معظهم جروحاً عظيمة "مميتة" بالسهام والرماح، بينما مات معظمهم فى الصحراء أمام المدينة بسبب الجوع والإنهاك وانتشار مرض الطاعون، وبعد ذلك، وبعد أن أدركت قواتنا أنها لن تستطيع بسهولة أن تأخذ المدينة وأن صلاح الدين دائماً هو وجيشه فى حالة يقظة ومناوشات حول خندق المعسكر، حتى أنهم خرجوا ذات يوم لقتال الأعداء. وجدير بالذكر أن قوات المسلمين كانوا أكثر عدداً من قواتنا، حتى أنهم لم يتوقعوا هجومهم المفاجئ، مما اضطرهم إلى الهروب تاركين معسكرهم وراء ظهورهم، وعندئذ وصلت قواتنا إلى معسكر المسلمين دون أى معارضة فقد كانوا مرتبكين وشديدى الذعر بكل ما فى الكلمة من معنى. ومن عدل السماء أنهم هربوا دون أن يطاردهم أحد. وعندما رأى المسلمون ذلك استردوا ثقتهم بأنفسهم وجسارتهم، وتعقبوا قواتنا وجرحوا فرسانهم بسبب مواصلة إطلاق السهام

المتناثرة، لقد أحاط المسلمون قواتنا وأعملوا فيهم الذبح، غير أن نفراً قليلاً من نبلائنا تمكنوا من الهرب في شكل مخذي وعادوا إلى أدراجهم، وكان من بين هؤلاء كبير الداوية فاندر دي برين الذي سقط مع آخرين في ذلك اليوم، وكان الخوف والارتباك قد أصاب قواتنا بدرجة كبيرة وكذلك انتابهم الذعر أثناء انطلاقهم، ونادراً ما استطاع بعض هؤلاء أن يهربوا من الميدان لا كما كان الحال من قبل من شجاعة وخبرة عسكرية. كان جوى لوزجنان الذي أقام خلف المعسكر في حراسة مستريحاً من أجل مساعدة قواتنا مع الرجال الذين كانوا معه، لأنهم يقولون أن قواتنا في ذلك اليوم وهي في حالة اضطرب إنما هي مصادفة غريبة لقد انطلقت الخيول من سيدها وفرت هاربة، وتابعه العديد من العدو، وهكذا فإن الجميع قد هربوا واتخذوا طريقهم إلى معسكرهم، وكان ذلك خذي لنا وخسارة كبيرة للمملكة الصليبية.

وبعد تلك المعركة بعام ونصف عام تقريباً، كانت قواتنا تنتظر الإمبراطور والأمراء الذين كانوا يتبعوهم ، وبالمثل فإن المجاعة وندرة الطعام قد ظهرت في المعسكر واضحة حتى أنهم كانوا يضطرون إلى أكل لحم الخيل وأجسام الحيوانات الميتة، وكان المكيال من القمح الذي كان يساوي نصف بيزنت وقت السلم كان يباع عندئذ بستين بيزنتاً، وعلى هذا، فإن المشاة من الجيش، أعلنوا أنهم لن يستطيعوا في مثل هذه الحالة، أن يواصلوا سيرهم، وأبحر منهم حوالي ثلاثين ألف ، مخالفين بذلك أوامر قاداتهم ورؤسائهم في مهاجمة المسلمين، ونقلوا بالقوة الحبوب من معسكرهم، في براعة، تظاهر العدو بالهرب، وكانت معاناة هؤلاء للطائشين من الناس، مايحملونه مؤن، ولكن أيضاً بما كانوا يحملونه من ذهب وفضه وأثاث من أنواع مختلفة عندما كانوا في طريق عودتهم. وهكذا كانت أعباؤهم وأحمالهم بأوزانها الثقيلة عائقاً لهم، وتحول فرحهم إلى مأتم حيث تحول هذا المرح في النهاية إلى بؤس، وحول المسلمون غناءهم إلى صياح عال، حتى أن أحداً منهم لم يكن موجوداً لمقاومة العدو.

لقد تركوا ليس فقط ذهبهم وفضتهم، ولكن أيضاً أسلحتهم، وتقريباً كل شئ، ويبدو أنهم سقطوا وهم فى الطريق، أو ألقوا بأنفسهم فى البحر غرقاً إن بعض هؤلاء الذين هربوا، قد أصابهم الجنون بسبب الرعب والفظاعة، وهكذا فإن الرب عاقبهم على تمردهم وعصيانهم. وأثناء هذه الفترة فإن سبيلا زوجة الملك السابق جوى قد ماتت فى المعسكر. وهكذا فإن حقوق وراثة التاج إلى أختها إيزابيلا زوجة هيمفرى أوف ثورون، ولكن المركيز مونتفرات الذى كان قد أجبر على ذلك، أعلن نفسه سيداً على صور ، وعندما سمع هذا، استولى عليها وطمع فى الحكم والوصول إلى العرش، وأخذ بالقوة إيزابيلا من زوجها وتزوجها فى الحال، وإن كان الحجاج مستائين جداً لهذه الجريمة النكراء. ومع هذا فقد صفحوا عن الكونت هيمفرى عندما لجأ إليهم يطلب الصلح، لأنهم استطاعوا شراء الطعام المتوفر فى صور "الذى لا وجود له فى مكان آخر" أثناء مرورهم بين أيدى، المركيز وعلاوة على ذلك فإنه تقاضى رشوة من بعض رؤساء الجيش ليدونوه.

وبينما تنوعت أنواع السعادة فى أرض المعركة، أو بمعنى آخر، بينما كانت الأوضاع على نحو ما سبق، أعلن الإمبراطور الرومانى فردريك باربروسا عن رحلته إلى الشرق، على رأس قوة عظيمة، وجيش من المحاربين لا حصر له. ومروراً بالحدود الألمانية عبر هنغاريا ومقدونيا وبلاد اليونان وسار عبر أراضى المسلمين بيد قوية وذراع ممدودة، أخذت قوانا وفلوميتا "تُعرف الآن باسم *Ilghin*" وبعض المدن الأخرى ووصل ارمينيا، حيث تشتد الحرارة، ثم اتجه إلى النهر، والذى يعرفه الوطنيون باسم إرن "*Iron*" كيما يستحم فردريك باربروسا فيه، وهناك بسبب ذنوبنا وقعت تلك المأساة، حيث مات الإمبراطور فردريك باربروسا من أجل كل العالم المسيحى؛ كان صلاح الدين خائفاً جداً عندما سمع باقترابه لدرجة أنه أمر بتدمير أسوار اللاذقية وجبيل وطرطوس وبيلوم وبيروت، وكذلك الحصون والقلاع.

وعندئذ كان فيليب ملك فرنسا وريتشارد ملك إنجلترا بعد مرور الشتاء في برينديزي في انتظار مؤخرة جيوشهم ليلحقوا بهم، ثم أبحروا إلى ميناء عكا، وفي الربيع التالي وصلوا بسفنهم البحرية والحربية وخيولهم وأدوات القتال وما ادخروه من احتياط للطعام، وزودوا جيش قواتنا بمتعة هائلة. كان الملك الفرنسي أول من جاء قبل ريتشارد ملك إنجلترا الذي انشغل الاستيلاء عل جزيرة قبرص، وهزم اليونانيين عندئذ . ثم ضربوا حصاراً عندئذ حول عكا وحاصروها من كل جانب، وهاجموها طوال ذلك الصيف من كل مكان وبصفة مستمرة، بينما تخلل هذا مقاومة شجاعة وتفوق آلياتهم مستخدمين النار الإغريقية في إحراق القلاع الخشبية التي شيدتها قواتنا بتكاليف باهظة مما جعل ذلك قواتنا تقاسي كثيراً. وفي يوم ما كان صلاح الدين الأيوبي يرسل تعزيزات من رجال الجيش النشيطين إلى المدينة مع قوات عسكرية ومؤن، في سفينة عظيمة تسمى درومند *Dromond* [1] والتقى ملك انجلترا بالسفينة عند فم الميناء بسفنه الحربية وأغرقها في القاع بما تحمله من جنود، وجلبت بذلك فرصة عظيمة للمسيحيين وارتباكاً للمسلمين. إلى جانب ذلك كانت هناك سفن شحن، أمكن القول أنها حملت بعض الأفاعي التي قصدوا أن يرسلوها إلى جيشنا، وظنوا بذلك أنهم أرهبونا. أما الملك الفرنسي فيليب فقد هاجم أسوار وأبراج المدينة هجوماً مستمراً طوال الليل والنهار بالحجارة الضخمة، فحطم بذلك آليات العدو والمساكن والمباني داخل المدينة، وضرب حصاراً شديداً دون انقطاع. ومن جهة أخرى، قام ملك إنجلترا بشن هجمات مستمرة وخطيرة على المنطقة المحاصرة، وفي كل مكان بينما كانت الأسوار تتساقط وتنهار، كانت الحجارة العظيمة تلقى ضدنا بصفة مستمرة، وقد وقد

---

[1] هي إحدى السفن الحربية ذات طابقين ومجاديف متعددة وهي اسم بيزنطي.

أدرك المواطنون أنهم لن يستطيعوا المقاومة أبداً. وأنهم يتنازلون عن المدينة فى حالة استطاعتهم الخروج منها، ولم يعد يقع أى ضرر، وأنهم لكى يحصلوا على هذا، فإنهم وعدوا بأن يعيدوا الصليب المقدس الذى فقده المسيحيون فى المعركة ولكن عندما لم يستطيعوا الحصول عليه "لم يجدوه" فإن ملك إنجلترا قد يتحول إلى ثور هائج، وأمر كل هؤلاء بأن يظل كل منهم فى مكانه الخاص بالمدينة، وأن يشهروا السيوف. ولكن ملك فرنسا تعامل بشكل آخر، تخفى مع المسلمين الذين كانوا فى منطقة نفوذه، وألقى القبض عليهم وأودعهم فى السجن لكى يستبدل بهم بعض قواته من المسيحيين. غير أن ملك إنجلترا كان أكثر إيذاءًا وضرراً، فقام بذبح آلاف من العدو الذين كانوا يعيشون فى المنطقة، وبعد ذلك، ألقى القبض على بعضهم وتركهم بينهم لتسببوا فى إيذاء المسيحيين، وعندما رأى صلاح الدين أن المدينة قد أخذت، وأن جزءًا عظيماً من قواته قد تحطم، وأتلفت أشياء كثيرة، وأنه لا أمل فى الدفاع عن المدن الآخرى ضدنا قام بتحطيم أسوار المدن الساحلية، مثل بورفيرا ـ وهى مدينة بالقرب من حيفا ـ وقيسارية ويافا وعسقلان وغزة فى الداروم، ولكن الملك ريتشارد قام بإعادة بناء يافا وتحصيناتها، وبعد هذا ضرب صلاح الدين حصاراً حولها ، ولكن الملك استحث بعض السفن الحربية فى البحر، وتبع ذلك، قدوم قوات برية من جيشه وصلت بصعوبة "بشق الأنفس" وضربت حصارًا وساقوا جيش المسلمين بعيداً. وعندئذ، فزع المسلمون واضطربوا ثم هربوا مع أمرائهم قبل مواجهة قواتنا. ومنذئذ، استطاعت قواتنا بسهولة أن تستحوذ على بيت المقدس، ليس فقط، ولكن أيضاً أجزاء كبيرة من بلادهم لم تكن فى أيدى العدو، عدو البشرية الذى حقد كثيراً على انتصارات المسيحيين والذى نشر بذور الأعشاب الضارة، مسبباً النزاعات الخلافات بين الملوك،

وكان هناك خلاف ونزاع بين الأمراء، ودفعهم إلى أن يطوفوا في البراري حيث لا توجد الطرق، وحاولوا أن يكسبوا شهرة لأنفسهم، وأخذوا يجتهدوا في تحقيق ذلك، ولم تكن الأشياء التي احتقرها المسيح، من أجلنا أو حسد البعض للآخرين أنها شرحت قلوب أعدائهم وأحدثت تآلفاً بين المسيحيين مثل هذا السلوك من الحسد والحقد سبباً في النزاع الذي وقع بين الملوك عند وصولهم، حتى أنه في الغالب أن ملك فرنسا هاجم المدينة من أحد جوانبها، بينما حث ملك إنجلترا قواته على العودة ، ولم يحثهم على الهجوم على المدينة من الجانب الآخر، ومع ذلك، فإنه أحرز مكسباً في الخفاء على جانبي المدينة. بينما قام بعض الأمراء والبارونات الفرنسيين الذين كانوا قد جلبهم معه ووعدهم بأن يستولوا على الجانب الخاص بملك فرنسا، وكان ملك فرنسا قد انزعج لهذا التصرف، وببساطة شديدة، عاد فردريك باربروسا إلى بلاده لأنه مرض مباشرة بعد الاستيلاء على عكا تاركاً خلفه دوق برجنديا مع جزء كبير من قواته. ولكن الملك الفرنسي لم يكن حكيماً في نشر أخبار عودته في الخارج قبل الأوان، لأنه يمكن القول بذلك أن صلاح الدين كانت لديه رغبة في التخلي عن كل الأراضي المقدسة وتسليمها لنا، ولو أن الملوك كانوا قد أعلنوا في الظاهر ولو كذباً أن هناك نية في غزو المدينة، وأن كل منهما يرغب في سلام وصداقة الآخر لتحقق النصر على صلاح الدين. وقد خرج كل من ملك انجلترا وقواته ودوق برجنديا وقواته أيضاً من عكا متجهين نحو يافا متقابلين ليضربوا حصارًا حول بيت المقدس، وفي الطريق وقعت بعض الاضطرابات لهم، لأن صلاح الدين تمسك بإبقاء نسائهم مع عدد لاحصر له من الجنود التركبولية، وأخذ المسلمون يقذفون القذائف عليهم من كل جانب حتى اقفهر الجو "وتغيمت السماء بالسحب السوداء" أنه كان أصعب وقت على قواتنا

لتى اضطرت إلى تغيير طريقها إلى أرسوف التى تقع بين قيسارية ويافا مع بعض
ـيولهم وركائبهم التى تعرضت لجروح خطيرة، وحتى الملك ريتشارد نفسه نتيجة
ذيلة أثناء "فى تلك الرحلة" وبالقرب من القلعة السالفة الذكر، هاجمت قواتنا المسلمين
ـنف، قاصدين بذلك طرد المسلمين ودفعهم إلى الخارج، دونما تعرض أحد من جيشنا
ـهلاك أو الخسارة، وفى ذلك اليوم سقط أحد الفرسان من النبلاء المحاربين الشجعان
ـهو جيمس من أوفرجين، ومعه آخرين بعد أن فازوا بالشهادة بعد قتالهم للمسلمين
ـى معزل عن قواتنا. وأخذ صلاح الدين معه بعض اللاجئين إلى بيت المقدس بينما
انت قواتنا تثبت معسكرهم فى مكان يُعرف باسم *Bethenuble* "بيت نوبا" بين يافا
بيت المقدس قاصدين منه أن يكون مكاناً للانطلاق فى حصار بيت المقدس، وفى هذا
مكان، جاءت الأخبار إلى الملك ريتشارد أن قافلة عظيمة كانت قادمة إلى جيش
ـلاح الدين من مصر، مع عدد لاحصر له من البغال والخيول والجمال محملة بالطعام
بضائع آخرى. فبادر الملك لملاقاتها ليلاً، وعاد بأسلاب كثيرة إلى قواته، ولكنه ترك
يشه فى خطر كبير، لأنه أخذ معظم القوات معه وترك قوات قليلة خلفه، إذا ما
ـرنت بقوات صلاح الدين. وبعد ذلك عقدوا مجلس حرب، والذى فيه تقرر عدم ضرب
ـصار حول بيت المقدس وعكا فلم يكن لديهم القوة التى تكفى لإنقاذ يافا، ولم يستطيعوا
ـضار المؤن التى تكفى لإطعام الجيش دونما خطر واضح. وعلى هذا فإن الدموع
الأحزان لأعظم جزء من قواتنا جعلتهم يتخلون عن المغامرة وبالفعل حزن بعض
ـأفراد وبعضهم كان يعرف أوضاع المسلمين جيداً حتى أن صلاح الدين كان لا يتوقع
ـداً أن يعود جيشنا حتى أنه لم يجد أنه أحداً ممن اهتموا بالكف عن بيت المقدس
يجرؤ أحد على البقاء أو الوقوف هناك. ولذلك فقد أرهبوا مواطنى عكا مثل أولئك

للذين يمكنهم صلاح الدين من المساعدة ولكن جعلهم يعانون من السيوف أو حملهم على السجن حتى تخلص منهم وعندئذ ذهب ملك إنجلترا إلى عسقلان ولكنه لم يوقف إصلاح ما تهدم من أسوار طوال فترة الشتاء بما اكتسبه من خبرة وأعمال عظيمة. وفوق ذلك فقد أعاد بناء وتحصين مدينة الداروم الصغيرة "ديرالبلح" وأعاد بناء غزة وسلمها للداوية، والتى يرجع الفضل الأول إليهم فى الحفاظ عليها. وقام دوق برجنديا وبعض الفرنسيين الذين كانوا يقيمون معه عندما رفضوا أن يتجهوا مع الإنجليز إلى صور ويقضون الشتاء هناك مع الماركيز، وفى الربيع التالى ، وعندما وصل كلا الجيشين إلى بيت نوبا لمحاصرة بيت المقدس، تحول الملك ريتشارد إلى رجل آخر، بمعنى أنه قرر أن يعود إلى بلاده مرة ثانية، زاعماً أن أخيه يوحنا تطلع إلى المملكة، وبالفعل جعل نفسه سيداً على جانبٍ من مملكته، ومن جهة ثانية فإنه فى الحقيقة ارتاب فى ملك فرنسا، الذى انفصل عنه فى غضب، وكان يخشى من غيابه الذى قد يجعل الملك فيليب يقوم بغزو دوقية نورماندي بالقوة. وبسماع هذه الإشاعة فرح المسلمون وهللوا، وأخذت الشجاعة توقظهم من ثباتهم العميق، بينما تحولت قواتنا إلى ارتباك وبؤس وقد تخلوا تماماً عن كل آمالهم فى استرداد المدينة المقدسة أنهم كانوا يندبون ويتأوهون، لأنها كانت النهاية لأضحياتهم حيث توقفت قرباتهم، وكانوا يرون أن كل أعمالهم قد بدأت تنتهى، لقد وصلت إلى لا شئ. ولو أن ملك إنجلترا كان قبل رحيله بفترة استطاع أن يكتم هدفه وعزمه لأمكننا أن نكون أحسن حالاً وعشنا فى سلام جدير بالاحترام بدلاً من تهديد المسلمين لنا. ولكن كان نتيجة تصرفه الطائش أن جعل كل العالم المسيحى يعانى من بؤس شديد، فقد كان ملك تواقا إلى الإسراع والهروب، ووافق على نصوص معاهدة صلاح الدين دونما أى اعتراض أو

صعوبة. ومن هنا جاءت المعاهدة لتقرر أن قواتنا سيضطرون وفقاً لنصوصها أن تُترك لنا عسقلان والداروم وغزة والاحتفاظ بيافا، والجزء الباقى من ساحل عكا، وتؤكد المعاهدة، أنه عندما تحطمت الأماكن المقدسة، لم يعد فى استطاعتنا أن ندافع طويلاً عن البلاد ضدهم، وبعدما عاد جيشنا إلى معسكره وبعد فترة من الوقت، ذبح الماركيز كونراد مونتفرات بأيدى بعض المسلمين المعمدين، الذين ظلوا فى بيته، وفى حمايته، وقد اقترح ملك إنجلترا على هنرى كونت شامبانى بالزواج من إيزابيلا، وتم الزواج فعلاً، من زوجة كونراد وبقى فى الأرض المقدسة. وفى أثناء عودة الملك ريتشارد تم القبض عليه فى ألمانيا وألقى فى السجن وظل فى حوزة الإمبراطور الألمانى حتى تم افتداءه بمبلغ كبير من المال "قيل أنه 115,000 مارك" وهكذا واجه ملك انجلترا صعوبات جمة أثناء عودته إلى انجلترا وعلى الرغم من أن الكونت هنرى دى شامبانى قد تزوج الملكة وأصبح سيداً على كل من عكا وصور إلا أنه رفض أن يتوج ويصبح ملكاً عل المملكة.



الخاتمة

تعتبر رسائل جاك دى فيترى السبعة التى قام المترجم بنقلها من لغتها الأصلية "اللاتينية" إلى اللغة العربية غاية فى الأهمية، للمتخصصين فى دراسة تاريخ العصور الوسطى على وجه العموم، والحروب الصليبية على وجه الخصوص، وبعبارة أدق، دراسة الفترة ما بين ١٢٠٠/١٢٤٠م وهى الفترة التى دون فيها جاك دى فيترى رسائله.

وترجع أهمية هذه الرسائل فى أن صاحبها كان شاهد عيان للأحداث التاريخية التى اشتملت عليها تلك الرسائل.

وقد تضمنت هذه الرسائل مادة تاريخية دسمة خاصة ما يتعلق بالحملة الصليبية ضد الألبيجنسيين فى جنوب فرنسا عام ١٢١٣م، أو الحملة الصليبية الرابعة "المنحرفة" ضد القسطنطينية عام ١٢٠٤م أو الحملة الصليبية الخامسة على دمياط ١٢١٥/١٢٢١م.

كما ترجع أهمية هذه الخطابات أنها أصبحت سهلة ميسورة فى أيدى المتخصصين من الباحثين والمؤرخين فى تاريخ العصور الوسطى، أو ما يُعرف بتاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، بعد أن كانت حجر عثرة، قبل نقلها إلى اللغة العربية أصبحت الآن أمام الباحثين، وفى متناول الجميع، دون مشقة أو عناء، وقد تحمل المترجم عناء وعبء هذه الترجمة وحده، من أجل خدمة الآخرين من زملائه الباحثين فى مجال تاريخ العصور الوسطى.

وعلى الرغم من هذه القيمة التاريخية لخطابات جاك دى فيترى، إلا أنه كان يعيب عليها بعض الأمور، منها : أنه كان يغلُب عليها الطابع الدينى، ذلك لأن

صاحبها كان من كبار رجال الدين الكاثوليك المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين، كذلك كان يعيب عليها التقديم والتأخير فلم تكن فى معظمها مرتبة ترتيباً تاريخياً، كما أنه يغلب عليها أيضاً الانحياز الكامل للغرب الأوربى ولأصحاب الديانة المسيحية الغربيين على وجه الخصوص، الأمر الذى يحتم على الباحثين والمؤرخين ضرورة أخذ ما جاء فى هذه الخطابات بنوع من الحيطة والحذر، حتى لا تشوش المعلومات التاريخية.

وعلى الرغم من هذا فإنه لا يمكن الاستغناء عن هذه الخطابات، خاصة فى النصف الأول من القرن ١٣م عند تناول تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب.

أما ما يتعلق بكتاب تاريخ مملكة بيت المقدس، الذى كتبه جاك دى فيترى، فهو كتاب وصفى أكثر منه تاريخى، يهتم بوصف وتصوير الأراضى الفلسطينية أكثر من اهتمامه بتناول كتابة التاريخ الخاص بالمملكة الصليبية، وكان الأحرى به أن يكتب وصف للأراضى المقدسة بدلاً من تاريخ مملكة بيت المقدس.

كما يعيب على جاك دى فيترى، عند تنناوله لتاريخ مملكة بيت المقدس أنه تعرض للكتابة فى خارج اختصاصه، خاصة ما يتعلق بالظواهر الطبيعية والعلوم الطبيعية، وهى أمور لا صلة لجاك دى فيترى بها من قريب أو من بعيد؛ وإن دل هذا على شئ إنما يدل على أنه كتب أو تناول هذه العلوم إما عن طريق السابقين عليه أو عن طريق السمع من الآخرين ممن يعيشون فى المملكة، خاصة وأنه كان يعتمد على مترجمين من اللاتين فى الشرق يترجمون له من العربية إلى اللاتينية لتناول هذا الجانب من تاريخ المملكة، وهو أمر خارج عن نطاق تخصصه، وخارج عن التدوين فى مجال التاريخ.

ولعل الذى دفع المترجم إلى تناول الحديث عن الخطابات قبل الحديث عن تاريخ مملكة بيت المقدس يرجع بالدرجة الأولى إلى أن الخطابات كانت أكثر قيمة وأهمية كمادة تاريخية تخدم البحث التاريخى ، عند تناول أوتعرض للعلاقات بين الشرق والغرب عند مطلع القرن ١٣م ، وأن صاحبها شارك فى الأحداث التاريخية بنفسه، أما تاريخ المملكة فإن ما يحتوى عليه من مادة تاريخية لا يشفى غليل الباحث عند كتابة التاريخ، باعتبار الكتاب وصفى كما ذكرنا أكثر منه تاريخى.

أضف إلى ذلك، أن كتابة جاك دى فيترى لتاريخ المملكة الصليبية، ما يتعلق الجانب اللاهوتى، قد جاء مشوشاً بشكل ملحوظ مما يدل على أنه لم يطلع على تاريخ العهد القديم بدرجة كافية، وهو أمر له خطورته عند كتابة التاريخ.

وعلى هذا فإن كتاب تاريخ مملكة بيت المقدس لجاك دى فيترى لا يصلح لكتابة التاريخ بشكل مرض.

تمت



.* **Innocent III;**

- Regesta, in P.l. vol.ccxiv - ccxvi. (12, letters).

*1- James of vitry, Jacobi de vitriaco Libri duo, quorum prior Orientalis sive Hirosolymitanae, alter Occidentalis Historiae nomine inscribuntur, Douai 1597, reprinted Gregg International pubbishers, franborough 1971.

2- Letters de Jack de Vitry in (R.P.C. Huygen, leidn, 1960.pp 71- 134).

3- The History of Gerusalm, Trans. by Stawart. vol x1, London, 1896. (In P. P. T. S - vol x1).

* **J.P. Douovan :**

Pelagius and the fifth crusade, (Philad.1950)

* Les Gestes des chiprois, ed.

G. Raynaud, Sociétè de l'Orient Latin, ser historique, 5, Geneva 1887, containing "Chronique de terre Sainté, "Memoires de Philipe de Novare", Chronique du templier de tyre.

* **Marino Sanutos;**

Secriets for the true crusaders to help them to Recover the Holy Land.A.D. in p.p.t.s, vol xll, London, 1896.

* Matthew Paris, Chronica Maiora, ed.H.R. Luard, RS, 57 (I - VII) London, 1872 - 83.

* **Mas - Latrie ;**

Histoire de L'ile de chypre sous le regne des princes de la Maison de lusignan, : 3 vols. vol. I. Histoire, vol. 2 -3 Documentes, Paris, 1852 - 1861.

* Monumenta Germaniae Historica.ed.G.H.Hertz,others, 32 vols. Hannoverae, 1826 - 1912.

* **Oliver of Padenborn, Historia**

I- Damiatina'ed.H.Hoogeweg, Die Schriften des Kolner Domscholastes, sputeren Bischiofs von paderborn und kardinalbishofs von s.salina, Oliverus Biblothek des literarischen vereins in stuttgart, 202 tubingen, 1894.

Bibliography

1- Sources

- ***General Sources*:**

* Annales de terre sainte'ed.R. Rohrichrt, voL, II.
* Bongers, J.ed.Gesta Dei per francos, 2 vols, Hanover, 1611
* Chronicles and biographies
* Chronique de terre sainte see Gestes des chiprois.
* Eracles. L'Estoire d'Eracles empereur et la conquest de la terre d'outremer, RHC Occ, I,II.
* Ernoul.La Chroouique d'Ernoul et de Bernard le Trésoruer, ed. L'de Mas latrie, Paris, 1971.
* Faleri, felix,
  The Book of wandering 2 vols, 4 parts. trans. by A. Stewart, London, 1893.
* Frenken, G;
  Die Exempla G;
  Die Exempla de Jacob von vitriy, Munich, 1914 (vol.V, I des Quellen und untersuchungen ser lat. philol. jes Mitteelatrrs.
* Funk,P. Jacob von vitery, lebeu und werke, lepoig 1909.
* Geoffrey of villehardonim, la conquéte de constantinople ed.E.Faral, 2 vols, Paris, 1938 -9نقله إلى العربية د/حسن حبشى
* Gerold, (patriarch of Jerusalem), letter of Gerold to pope Gregory Ix (18 feb.1229) ; in Historia Diplomatica friderici secundi, vol, 3 (pp.86 - 90)
* Histoire des patriarches d'Alexandrie, Extraites ed. Blochet, in R.O.L., vol, xl, Paris 1908.
* Historia Diplomatica friderici secundi, ed. J.L.A Huillard-Breholles, 7 vols, Paris, 1851 - 1862.
* Homorius III, pope Regesta Honori Papae III, ed.P. pressutti, 2 vols. Rome, 1888 - 1895.

* Flowers of History, trans. From the latin by Giles, J.A.Z 2 vols, London, 1849.

• أبدى جيمس الفيترى اهتماماً بتدخل المغول بأن ترجم من العربية بمساعدة بعض المتخصصين كتابًا عنوانه :

"Excerpta de Historia David Regis Indiorum qui presbyter Johannes a vulgo appellatur (ed.Rohricht, R;Z.K.G. vol.. Xvl, pp.93

* Rohricht,R. ed. Regesta Regni Hirosolymitani (Mxcvll-Mccxcl) 2 vols, oeniponti (1893- 1904)

* Rothelin ;
Continuation de Guillaume de tyre dite du conuscrit de Rothlin, Ed.R.H.C.Hocc. Paris, 1859 (pp.489 - 639).

* Wiegler, Paul,
The Infidel enperor and his struggle against the pope, trans. by B.W.Downs, London. 1930.

* Youssof Kamal.
Monumenta Cartographica A fricae et Aegypti. III Apoque Arabe, 5 Fasc. (1930 - 5.

II- The capture of Damietta, see christian Society, the crusades (1198 - 1229). Sources in translation. Trans.with notes by John Gavigan, edtied with introduction by Edward Petere, University of Pennsylvania, prers, 1971.

* Patriarche de Jerusalem, Rapport au poupe Innocent III, Dated 1214, see Y. Kamal, Mon. cart.t.III, fasc. IV,1034. (p.932).
* **P.A. throop.**
  Criticin of the Crusade.A study of public opinion and crusade propaganda (Amsterdam, 1940)
* **Peter de Montacute;**
  A letter sent to the Bishop of Elimenum about "the coudation of the Holy laud after the capture of Damietta. tains"see Roger of wendover, flowers of History,vol, II,pp. 433 - 35.
* **Philipe de Albeney;**
  Letter to Ralph Earl of chester entitled "of the loss of Damiette" see Roger of wendover, Flowers of History, II, London, 1849. (pp.435-6).
* **Purchard of Mount Soin,**
  Adescription of the Holy laud, trans. By A.Stewart in p.p.t.s vol, XII, London 1896.
* **REenoul,** chronique d'Ernoul, in R.H.Occ.
* **Richard, j ;**
  The latin kingdom of jerusalem, 2 vols. trans. from the original by Jenat Shirly, Amsterdarm, 1979.
* **Robert de clary,**
  La parise de constantinople
* Roger of wendover, chronica, sive flores historiarum, ed. H.G.Hewlett, Rs, 84 (I - III). London, 1886-9.

- وقد تم ترجمة الكتاب إلى اللغة الإنجليزية